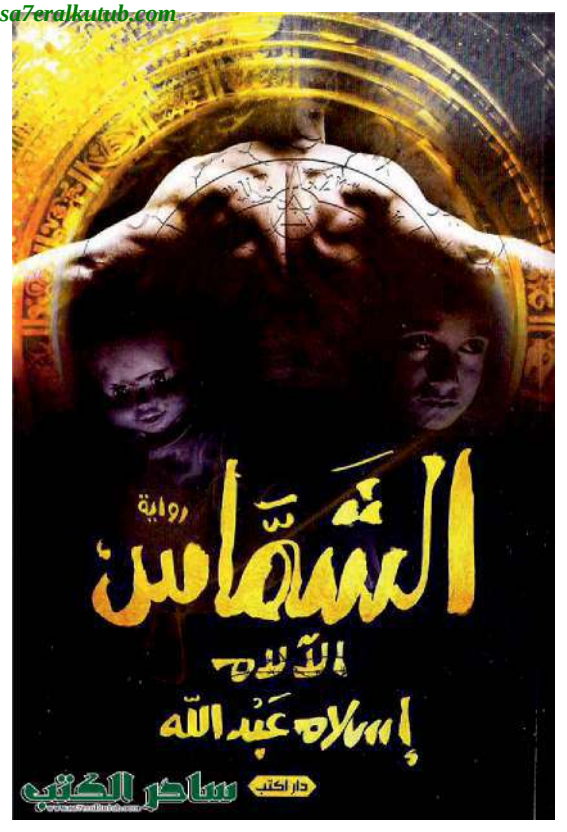




رواية

السبعة

الألم

إبراهيم بن آدم

دار الكتب

سائر الكتب

www.sa7eralkutub.com

الشماس

الآلام

إسلام عبد الله

رواية



دار الكتب للنشر والتوزيع

في أحد الأماكن الحدودية بمحافظة مرسى مطروح تتوسط
 الشمس كبد السماء لتنشر أشعتها في كل مكان بتحدٍ سافرٍ للسحب
 والغيوم التي خشت مواجهتها، وانسحبت في هدوء لتخلي لها الطريق
 لصبّ جام غصبتها على جندين يجلسان فوق أحد أبراج المراقبة في
 معسكر حدودي للجيش الثالث الميداني .. لكن أشعة الشمس لم تجد
 الترحيب المناسب من الجندين تقديراً لقوتها وحرارتها .. بل وجدت
 منهما الإهمال واللامبالاة نظراً لعودتهما الدائم على هذه الأشعة وما
 يصاحبها من حرارة وقيظ شديد .. وتبحث وسائلهم الدفاعية البدائية
 في التصدي لهذه الأشعة وجنودها الملونة المتقسية وتحت الحمراء
 وغيرها .. عن طريق الحديث الرتيب والممل الدائم بينهم، وهم يراقبون
 حواشي الصحراء وعقاربها وهي تتلوى بسرعة وتخفى من حرارة
 القیظ الشديد ..

كان أحد الجندين يتحدى قوانين الفيزياء والطبيعة بحمله كونيًا
 ساخناً من الشاي الأسود العتيق ليشربه على قم واحد في ظل هذا

الحر الخالق، والآخر ينظر له مبتسمًا وهو ينثُر دخان سيجارته الرخيصة وهو يتابع حديث زميله باهتمام شديد، ويتحسّس سلاحه الروسي بيده كل بضعة ثوانٍ ..

يقطع جلستهم الودية الرتبية تلك.. صوت ضخم وقويّ أشبه بصوت المدافع الثقيلة.. فيهب الجنديان من مكانهما وهم بمسكان أسلحتهما بقوةٍ وعنفٍ وفي تحفّرٍ شديد.. يبحثان بسرعةٍ بجوارهما عن مصدر هذا الصوت، وما سيّبه حتى يعلموا ما حَدَثَ حولهما وهما في غفلةٍ عنه.. لحظاتٍ وصدر صوتٍ آخر أقوى من الصوت السابق وأصخب منه.. فحفظا منه لحظاتٍ، ثم بدءا البحث باهتمامٍ حولهما فوق الأرض وبين السماء بحثًا عن مصدر هذا الصوت، ولكن لم يعثرا على أي شيءٍ غريبٍ في هذه السماء الصافية ولا فوق أرض المعسكر وما حوله..

فجأة سمعا صوت شيءٍ يحترق الهواء بسرعةٍ شديدة.. ومصدره يأتي من خلفهما فلتفتا تجاهه سريعًا.. فوجدا شيئًا يمرُّ بسرعة البرق بينهما وينغرز بأرض المعسكر.. جالا بأنظارهما تجاهه في فضولٍ شديد، فوجداه شيئًا معدنيًا وطويلاً ومعلقًا به مصباح.. مسحوا أعينهما بقوةٍ ونظرا إليه ثانية.. كان ظاهرًا بكل وضوح.. إنه عمود إنارة.. نعم عمود إنارة كامل قد سقط من السماء إلى داخل أرض المعسكر لديهم.. أخذت بعض الجنود القليلة تنسلُّ من أماكنها بالمعسكر

نيرانهم .. ولكنه سقط جثة هامدة على الأرض نظراً لكثافة إطلاق النيران عليه، ولكن ذلك لم يمنع الجنود من أن يُقرعوا ما تبقى من خزان أسلحتهم عليه وهو جثة هامدة أمامهم.. لحظات وتوقف الجنود عن إطلاق النيران وساد الصمت المكان كان جميع الجنود لا يتحدثون.. فقط ينظرون إلى المشهد الذي أمامهم في صمت مهيب..

ثلاثون دقيقة فقط هي الفترة التي استغرقها وصول قائد الجيش من مقر إقامته إلى المعسكر الحدودي.. هبطت طائرته وترجل منها القائد مُسرّعاً وهو في تشكُّك من صحّة ما قد سمعه من كبار الضباط بالمعسكر، وقرّر أن يشهد ذلك الشيء بنفسه.. لحظات وأصبح أمام عمود الإضاءة المُحطّم داخل المعسكر ثم رأى شيئاً أمامه ضخماً مُغطى بغطاء مُموّه كبير.. فأمر أحد الجنود بالكشف عن هذا الغطاء.. فامتثل الجندي وهو مُتردّد وتقدّم ورفع الغطاء ليظهر ما يخفيه.. وتراجع الجندي سريعاً وهو فزع.. نظر قائد الجيش إلى ما أمامه فعقدت الدهشة والصدمة لسانه، فنظر للجنود وكبار الضباط حوله فوجدهم ينظرون إليه بلمهة منتظرين رأيه وأوامره.. فجأة صرخ أحد الجنود وهو يؤدي التحية العسكرية للقائد:

- "تمام يا فندم لقد وصلت لنا إخبارية من المخابرات الحربية.

ووضع رسالة مكتوبة في يد قائد الجيش فقرأها بسرعة وطفة.. ثم نظر مصدوماً إلى الضابط الذي يقف بجواره وقد تغيرت ملامحه..

وقبل أن يتحدث سمعوا صوتاً قوياً جداً كاد أن يصيبهم جميعاً بالصمم.. واهتزت الأرض بشدة أسفلهم فسقط الكثير من الجنود أرضاً والباقي حاول أن يحافظ على توازنه .. فجأة أشار أحد الجنود إلى السماء وهو يصرخ إلى القائد :

- انظر يا فندم .. إنها السماء .. السماء ..

نظر القائد إلى السماء وهو يسقط على الأرض وهي ما زالت تهتز أسفله .. قرأى مشهداً .. عجيباً غريباً .. لا يستطيع أحد أن يصفه .. حاول أن يعبر عن دهشته فلم يستطع، فقد عقدت الصدمة لسانه .. ولكنه نظر سريعاً إلى الرسالة التي بيده، ثم نظر إلى السماء مرة أخرى .. وهو يتمتم :

- إنه هو .. إنها لعنته ..

فسأله أحد الضباط بفضول شديد :

- من قصد بكلامك يا سيدي .. غمّن تحدث؟

فصرخ القائد بقوة :

- إنه هو .. إنه ..

(الشمس)



ذكريات

وقف حاتم فوزي بداخل الغرفة أمام جثمان أحد الفتيات المسجى أمامه على الأرض، وهي غارقة في دمانها، وهو ينظر إليها بلا ميالة..
فُتح باب الغرفة بقوة ودُفّ منه رجلٌ بدين في منتصف الخمسينيات..
لاحظ أن حاتم واقفاً أمام جثمان الفتاة وهي غارقة في بحر دمانها، غلبته الصدمة، وشعر بالدُّعر.. فهمٌ بسحب مسدسه من جيبه وصرخ في حاتم:

- كنت متأكد .. إنت اللي بتقتلهم .. إنت اللي بتقتلهم .. أنا هاتخلص الناس منك ومن شرك.

صرخ به حاتم مُترجياً إياه:

- استنى يا مجنون .. أنا هافهمك.

صرخ به الرجل مجنون:

- أنا هموتك .. أنا هموتك ..

وضغط على زناد المسدس.. لكنه لم يطلق شيئاً.. فابتسم حاتم بشدة.. فارتبك الرجل، وحاول أن يضغط عليه مرة أخرى.. ولكن مسدسه لم يطلق الرصاص مرة أخرى.. فضحك حاتم بصوت عالٍ.. فشعر الرجل بالارتباك.. فحاول مرة ثانية، وثالثة، ورابعة دون جدوى.. اقترب منه حاتم وعلى وجهه ابتسامة كبيرة :

- نسيت تحط دول .

وألقى طلقات الرصاص ببطء من كف يده واحدة تلو الأخرى ..
فشعر الرجل بالذعر، وألقى بسلاحه جهة حاتم.. الذي تفادها برشاقة وهو يضحك من مشهد الرجل.. وبدأ يقترب منه بسرعة وأمسكه من ملابسه :

- دلوقتي بعد ما عرفت سري .. مش ممكن أسبلك تعيش.

محاظاً بالخوف الشديد، وبأنفاس يملؤها اليأس بدأ الرجل يستجدي حاتم على حياته..

- أرجوك .. سبني .. أنا مش هقول لحد أرجوك .. متموتيش .

فابتسم له حاتم وهو يترك ملابسه.. بدت علامات الفرح والارتياح على وجه الرجل وهو يتنسم فرحاً بخلاصه ونجاته.. ولكنه شعر فجأة بشعور غريب يصدر من معدته .. فتحسّسها بيده ليجد دماء على يده، نظر إلى حاتم الذي نظر له شذراً من عينيهِ المخيفتين،

وهو يحمل سكينًا بيده اليمنى ملطخة بدماءه.. شعر الرجل بالذعر الشديد ينتاب قلبه، ويهزُّ جوارحه .. وبدأ يهرب من أمام حاتم وهو مصاب فتعثر قلمه وسقط على الأرض بقوة شديدة.. فاقترب منه حاتم بسرعة وهو قلق ماذا له يده محاولًا مساعدته أن يقف مرة أخرى..

- في إبه يا أستاذ مالك .. ؟

صرخ شخص من خلفهم وهو يشاهدهم بصوت عالٍ وحاذٍ :

- كات .. هایل يا جماعة .. مشهد ممتاز ..

فجأة انتشر عدة أشخاص داخل الغرفة وهم يحملون الملابس والإضاءات والمكياج مقتربون من حاتم والرجل الخمسيني والفتاة التي كانت جثة هامدة.. والتي هبت واقفة وهي تشعر بالثأر.. اقترب المخرج من حاتم وهو يحاول أن يساعد الرجل الخمسيني على الوقوف..

- هات إيدك يا فتان.

هناهم المخرج :

- الله ينور يا حاتم .. إنت والأستاذ لطفي عملتم مشهد ولا

أروع من كده .

أمسك لطفي بيد حاتم وهو يهتفه بشدة :

- إيه الأداء ده يا حاتم ؟ اندعاجك في المشهد ونظرة عينيك حسوني إنك قائل فعلاً لدرجة إني حسيت إنك موتني مجد ومشهد هروبي منك كان واقعي مش تمثيل..أنا بقالي ٣٥ سنة بمثل مشغتش أداء واقعي للدرجة دي .. يرافو يا حاتم .. يرافو ..

ابتسم حاتم ابتسامة باهية:

- العفو يا فنان .. إحنا كلنا هنا تلاميذك ..

شد لطفلي على يده:

- حبيبي يا حاتم .

ثم تركه مع المخرج وانصرف.

مخرج حاتم والمخرج خارج استوديو التصوير واتجهوا إلى أحد الحدائق أمام الاستوديو وهم يتحاورون.. وضع المخرج يده على كتف حاتم الذي يفوقه طولاً بكثير وهو يهمس له:

- بالراحة على الراجل يا عم حاتم.. الراجل خلاص عجز .. مش لازم يعني تمتنظر قدامه بقدراتك التمثيلية يا عم الباشينو.

- شوقت يا رامي.. دلوقتي يقول إني ممثل هايل مع إنه من ٧ سنين مثلت قدامه برضو وكان عايز يخلي المخرج يشيل أدواري من الفيلم.. علشان إيه .. عابرقش أمثل .

- يا عم أدبك ردتله الموقف بتاعه أجه، وحليتني في فيلم بطولتك ويقوم بدور كومبارس.

أزاح حاتم يد المخرج من على كتفه وهو يتسم:

- يا عم لوحلي رقتي.. مش لازم تشعلني فيه يعني.. راعي طولك يا أحي.

قام المخرج بضرب حاتم بقبضة يده وهو يمازحه:

- مش عمك شكلي ولا إيه؟ ذي المرز بتحدف علي من شكلي وجسمي المناسق.

- بيتحدفو عليك بردو علشان كده.. أنا بتكتشفهم يعني.. المهم الفيلم فاضله كام مشهد؟

- ٣ مشاهد، وإنت مش فيهم.. يعني كده يعتبر الفيلم خلص.. هصور ٣ مشاهد بكرة وأدخله بمتج على طول.. متصدقش أنا زعلان قد إيه إن الفيلم خلص ومش هشوفك كل يوم.. أنا بتقطع من جوايا ونسيت طعم الفرح.

- خلاص يا عم إنت هتغيلي.. إخلص، آخر التيت ده إيد؟ أنا عارفك.. مايتعمدش كده إلا لما تكون عايز حاجة.

- حبيبي باللي فاهمني على طول.. بقلك في بنت صحفية ممتازة
عايزتها تعمل معاك لقاء صحفي كده exclusive علشان إنت نجم
مشهور وهتسمع معاها.

حاتم بضيق:

- إيم .. ودي برضو هاتكتشفها هي كمان؟!!

ابتسم المخرج:

- لا يا عم دي مايفعش اكتشفها خالص أصلها بنت أختي .

- خلاص اديلبا غرة إبراهيم وتبقى تحدد معاها ميعاد لتقابل فيه .

شدّه المخرج من يده ودخل به إلى غرفة باستديو آخر:

- إبراهيم مين يا عم؟ هو حد هيشوفك تاني تعالى معايا.. أنا

جيتها جوّه أهه .. تحطف منك الحديث على السريع في الإنجاز.

حاول حاتم أن يوقفه مُتردّداً :

- استني بس يا رامي أنا مش مجهر حاجة هحاولها إزاي .. ؟

- يا عم حاتم .. هي كيميا .. بنحب تاكل إيه؟ .. بنحب تشرب

إيه؟ .. بتستحمي فين؟ .. إنت عارف الأسئلة العبيطة دي .. يلا بقى

متصغريش مع البنت.

جذب حاتم من يده ودخل الغرفة فاستسلم له حاتم بصيق ..
 ليجد أمامه فتاة جميلة تجلس على أحد المقاعد وأمامها مقعد فارغ
 ويدها مسجل .. هبت واقفة عندما رأتهما وبدا عليها الارتباك لحظات
 حاولت معالجته بابتسامة مضطربة .

تحدث رامي وهو يحتضن يد حاتم :

- أي خدمة يا ست سميرة جيتلك سي حاتم أهه اللي صدعتيني
 بيد عايزة تقابليه .. عايزة تقابليه .

شعرت سميرة بالحجل :

- خالو .. إنت بنقول إيه؟ .. فرصة سعيدة يا أستاذ حاتم .. أنا
 سعيدة جدًا إني حضرتك هتديني شرف إني أعمل مقابلة النهاردة .
 ابتسم حاتم لها بود :

- أنا اللي سعيد إني شفتك النهاردة يا سميرة .

قال رامي بسرعة :

- هاروح أنا علشان أطبط اللوكيشنات بتاعت المشاهد الجاية ..
 أهو حاتم معاكمي يا سميرة .. إسألوه براحتك بقى .

ابتسمت سميرة بفرحة شديدة :

- حاضر يا خالو .

جذب رامي حاتم من رقبته وهمس في أذنه:

- بقلك إيه.. سميرة دي بنت أخني .. تعرف لو فكوت تكتشفها
أقطع رافيتك... ماشي؟.

ابتسم حاتم له بسخرية :

- حاضر.

- خلاص .. أنا في اللوكيشن بعد ما تخلصي يا سميرة تعاليلي على
هناك .. سلام.

تركهم رامي وانصرف مبتعداً.. فجلس حاتم على المقعد الفارغ،
وجلست سميرة بسرعة أمامه .. وبدأ عليها الارتباك:

- إمم .. أنا مش عارفة ابتدي مين؟.

ابتسم حاتم:

- هي أول مرة تعملي حديث مع حد؟

ابتسمت بخجل:

- بصراحة آه ..

- متقلقيش إسالي عن أي حاجة وأنا هجاوبك عليها؟.

ابتسمت وهي تفتح مسجلها:

- أنا مش عارفة .. امم .. طيب تبدي باسمك الأول ..

وضع حاتم يده على ذقنه وهو ينظر للأسفل، وبدأت عليه الحيرة:

- إمام سؤال صعب .. استغني كده .. افكرت .. حاتم فوزي .

ضحكت بشدة:

- أنا أسأله .. معلىش .. حضرتك عندك كام سنة؟

نظر حاتم إليها وهو يتسم:

- تديني كام ؟

- ٢٥ .. بالكثير ٢٨ .

- ههههههه .. لا مش للدرجة دي يعنى .. أنا يا ستي في أوائل

الأربعين.

- مع إنه مش باين على حضرتك خالص إنك في الثلاثينات

أصلًا.

قام حاتم بالتخميس بيده بوجهها وهو يتسم .. ضحكت بشدة:

- لا والله أنا مش قصدي أحسد حضرتك خالص .. يا خير .. شكلك

فهمتني غلط .. طيب نخش للسؤال الثاني حضرتك مثلت في كام

عمل؟

نظر حاتم بطرف عينه جهة اليسار وهو يحاول أن يتذكر:

- حوالي تقريباً ٦ مسلسلات، و ١٢ فيلم .. لا .. ١٥ فيلم ..
في ثلاث أفلام كنت طالع بأدوار صغيرة فيها.

- دخلت إزاي طريق الفن ؟

حضر إلى مُخيلة عادل سريعاً صورة لرجل مربوطة يده وقدماه،
وقطعة قماش تسدُّ فمه .

فأجابها بحزن:

- عن طريق المخرج محمود وهبة هو اللي اكتشفني ودخلني مجال
الفن.

- الله يرحمه .. اتقتل بطريقة بشعة جداً، ووفاته ما زالت لغز لغاية
دلوقتي .. حضرتك معدكش أي فكرة عن مين اللي قتله؟

استرجع حاتم سريعاً مشهداً غمود وهبة وهو مشدود وثاقه ..
وفمه به قطعة قماش والدموع بين عينيه وهو غارق في دماحه، وهو
ينظر إلى حاتم ..

رد عليها باقتضاب:

- معديش أي خلفية عن الموضوع ده ويا ريت حضرتك
متكلميش فيه.

شعرت بالحجل:

أنا آسفة.. معلى مقدار شعور حضرتك وإنك كنت قريب منه
قوي.

- أنا اللي بتأسفلك .. إنتي مقلتش حاجة غلط بس الموضوع ده
يشيرني نفسيًا مايجبش أتكلم فيه.

- خلاص نسقل لسؤال تاني .. حضرتك متجوز ؟

- لأ لسه .. مفيش نصيب.

- ولا أعجبت بحد من الفنانات اللي مثلت معاهم؟

باقتراب:

- لا.

"ولا حيت قبل كده حتى من خارج الوسط..".

- لا.

- ولا حتى بنت الجيران؟

ابتسم حاتم لها وتجاهل سؤالها وهو يشير إليها بيده أن تكمل
استئنها.

-- بتحب ألوان معينة؟..

- محب كل الألوان الفسفرية.

- بتكره لون إيه .. ؟

تذكر حاتم الدماء، وهي تتساقط على الأرض:

- الأحمر .

- بتشجع مين في أوروبا؟

- برشونة.

- وفي مصر؟

- اللعبة الحلوة.

ابتسمت :

- رد دبلوماسي طيب أنا عندي أسئلة كثير قوي ليك .. بس أنا عايزة أكتب عن حاجة جديدة محدش كتب عنك فيها قبل كده .. أنا لاحظت إن مفوش أي معلومات عن فترة طفولتك هائي .. يا ريت بقي تحكي لي شوية عن طفولتك .

- عادي .. طفولة عادية خالص.

اعتدلت في جلستها:

- لا مش معقول .. أنا عايزه تركز شويه وتفكر لي أحداث طفولتك كده وإنت صغير .. مثلاً علاقة أهلك بيك إيه .. إخوانك .. أصحابك .. مدرسينك .. ركز كده وقولي ؟

إتكأ حاتم على مقعده وذهب بذاكرته بعيداً .. إلى الماضي منذ طفولته .. مسترجعاً ما حدث له في خلال حياته الماضية ..

توت.. توت

أول ذكرى كانت في مخيلته ووعيه عندما كان في عمر أربع سنوات عندما عادت أمه من الخارج وهي تحمل بعض الحقايب البلاستيكية ومعها أخته الكبيرة ذات التسع سنوات، ونادتا عليه بفرح وأعطته بعض الحقايب ليفتحها فوجد سيارة صغيرة ومسدسًا بلاستيكيًا كبيرًا وكرة قدم بيضاء، ففرح بها أشد فرح، ووجد أخته الكبيرة ثقيلًا ووالدته تحضنه في حنان كبير، كم شعر بالسعادة تعمّر قلبه الصغير وهو يتحسس هذه الهدايا! حملته أمه برفق وأخذت من يديه هداياه الجديدة فشعر بالخوف.. فطمأنته والدته، وأبلغته بأنه سوف يلعب بها مرة أخرى، ولكن بعد أن تقوم بالاستحمام.. فاطمأن ورضخ لها بخضوع وذهب معها إلى الحمام، وبدأ يلعب في المياه الدافئة، ويقوم بسكبها على والدته وهي تحمّله وهو يضحك وهي تضحك من أفعاله وتلعب معه أثناء الاستحمام.. خرج هو ووالدته من الحمام ليجد والده في صالة المزل يتحدث مع أخته.. وعندما رآه ذهب إليه مُسرّعًا واحتضنه بشدة وهو يقبله ويقول له :

- كل سنة وانت طيب يا حاتم يا حبيبي.

وأعطاه هديته، كانت عليه ألوان خشبية كبيرة .. فرح بها حاتم بشدة وقبل والده، وحضرت والدته مأدبة ضخمة من الطعام الحبيب إلى قلبه من جميع الأصناف التي يعشقها، أخذ يتخطف لقمة من هنا ولقمة من هناك، ومرعان ما أحس بالشبع.

تركهم وذهب مسرعاً ليلعب بكرته البيضاء، بجري وراءها هنا قليلاً، وفي غرفة المعيشة قليلاً، وفي غرفة نوم أبويه قليلاً، وهو يحمل مسدسه بيده اليمنى والسيارة بيده اليسرى.. يرسم آلاف المشاهد في مخيلته التي يكون بها البطل محبوباً بسيارته أثناء العالم، ويُطلق بمسدسه على آلاف الأشرار، ويعزز أهدافاً تملأ شبك العالم.. فعقل الأطفال بعكس البالغين ليس له حدود أو موانع وخيالهم خصب يصنع أي شيء ومن كل شيء، وما زلنا نجهل لماذا ذلك.. هل للأطفال القدرة على رؤية أبعاد أخرى وعوالم غير عوالمنا لا نراها.. لا يوجد تفسير منطقي آخر غير ذلك.. أم نحن بالفعل نراها ولكننا لا نعبأ بها مثلهم.. فواقعنا يشغلنا بمشكلاته ولسنا باحثين عن متاعب أخرى في عوالم وأبعاد ثانية.. بدأ يشعر بالنعاس يتغلل في جسده فوضع لسلطان النوم وذهب في سبات عميق ..

استيقظ بعد عدة ساعات ليجد نفسه على سرير، أخذ ينظر حوله مندهشاً كيف أتيت إلى هنا.. فقد كنت نائمًا في مكان آخر.. فكيف انتقلت إلى سريرى.. لم يعبأ كثيراً وأخذ يبحث عن ألبابه

الجديدة.. فوجدهم موضوعين بغرفته وبالقرب منهم علبة ألوان الجديدة.. فتفحصها سريعاً وترك باقي الألعاب فأخذها بيده، وانطلق يبحث عن شيء يرسم عليه فلم يجد شيئاً ملائم مطلقاً غير حائط غرفة المعيشة ناصع البياض هو ما لفت انتباهه، وبدأ بتجربة علبة الألوان الجديدة عليه.. مرت نصف ساعه تقريباً ثم وجد أخته واقفة وراءه وتصرخ به:

- حاتم.. إنت عملت إيه؟

ثم ذهبت مُسرعةً إلى الداخل وهي تصرخ:

- ماما.

هنا شعر حاتم بالخوف، فعلى الرغم من صغر سنّه لكنه بالفطرة علم أن صُراخ أخته بكلمة ماما لا يُشترُ بخير.. لحظات ووجد حاتم والدته وأخته وأباه أمامه، وبدأ بالارتعاش والخوف من المصير المجهول الذي سوف يلُمُّ به.. ولكنه وجد شيئاً آخر مختلفاً.. لقد وجد والده يتسم وهو يقول لأُمّه:

- استنى يا هناء هروح أجيب الكاميرا واجي.. محادش يمسخ

حاجة.

واختفى والده سريعاً عن عينه.. نظر حاتم إلى والدته بخوف.. فوجدتها تنظر إليه وهي تتسم نصف ابتسامة وعلى وجهها نظرة عتاب له.. ثم توجهت إليه واحتضنته:

- كده يا حاتم .. حد يرسم على الحيطه برضو يا حسيبي؟

عاد والده سريعاً ومعه شيء غريب، كان نادراً ما يراه بيد والده أو والدته، وذبحش أكثر عندما تركته أنه يقف بجوار رَسْمِه علي الخائط، وطلب إليه أَلَّا يتحرك، ثم فجأة ضوئ ضوء أبيض شديد لامع أذى عينيه فشعر حاتم بالضيق لهذا الموقف، وشعر بالضيق أكثر عندما طلب والده أن يكرر هذه العملية أكثر من مرة.. ثم أخذ والده يحْتَضِنُه وهو يُقَبِّلُه ويعبره بأنه.. فنان مثل أبيه، وأشياء أخرى لم يفهمها، ولم يستطع نسيان نظرة أخته الكبرى أميرة وهي تنظر إليه بضيق لنجاته من جريمته تلك التي أبلغت عنه بها، وموت دون عقاب.

في نهاية ذلك اليوم تناولوا العشاء ما تبقى من الوليمة السابقة، وبعد ذلك وجد شيئاً أبيض ربه عدة نيران أمامه ووالدته ووالده وأخته يلتفون حولها بعد أن أغلقوا الأنوار وبدؤوا يغنون ويصفقون بيدهم، وبدأ حاتم يفعل مثلهم.. ثم طلبوا إليه أن ينفخ في تلك النيران ليُطْفِئُهَا.. ففعل مثل ما طُلبَ إليه، ثم وَضَعَت والدته قطعة من تلك المادة البيضاء أمامه، وبدأ يتناولها، ولقد أعجبته للغاية، وطلب منها المزيد وتناولها بنهم .. بعد أن انتهوا من الطعام وقف والدهما وهو يتسم لأُميرة:

- يلا .. مين اللي غايز يلعب توت .. توت؟

فقفزت أميرة من مكانها وهي تصرخ:

- أنا.. أنا.

وروقت خلف والده وهي تمسكه من ملامسه بالخلف.. شاور والده إلى زوجته هناء بيده أن تقف خلفه:

- بلا يا هناء.. القطر هيمشي من الخطوة بسرعة.

ابتسمت هناء وهي تنظر له بتردد قليلًا ثم سرعان ما وقفت خلفه وهي تمسكه من ملامسه من الخلف وهو يصرخ:

- توت .. توت.

وروقت أميرة خلف هناء.. ثم نظروا جميعًا جهة حاتم وناداه والده:

- بلا يا حاتم إمسك أميرة علشان هنلعب توت توت.

قفز حاتم سريعًا من مكانه، ووقف خلفهم، وبدأ يثقلهم وهم يلفون غرف المنزل، وهم يغنون بصوت واحد:

- توت .. توت .. توت .. توت .. توتوتوتوت.

كم كان حاتم سعيدًا بهذا الموقف وهذه الأحداث! .. أخذ يلعب ويلهو ويركض هنا وهناك مع والديه وأخته الكبيرة .. وانتهى هذا اليوم الرائع بذكرياته الخلابة .. وتناساه حاتم في وسط الأيام.. إلى أن أتى والده من عمله في أحد الأيام .. وهو ينادي على حاتم:

- تعالى يا حاتم .. بص صورك أهه جبتها من الاستوديو ..

ذهب حاتم مسرعًا، وتفاجأ كثيرًا عندما رأى صورته وهو واقف وبجواره الرسم الذي رسمه من قبل، ومسحته والدته بعد ذلك.. إذًا ..

تلك وظيفة هذه الآلة الغريبة التي كان يحملها أبي في ذلك اليوم ..
نظر حاتم إلى الصورة فوجد نفسه يقف ويده وملابسه ملطخة
بالألوان وخلفه الصورة التي رسمها وهي رسمة لقوس قزح وشمس على
يسار قوس قزح، وبعض الأشعة الخارجة منها، وجميعها ملونة باللون
الأحمر، وشخطة كثيرة على يمين الصورة باللون كثيرة أخرى، كمن
كان يحاول الكتابة وبهذا قد عايش حاتم الصغير .. أول شعور نوستالجيا
وحين إلى الماضي لأول مره في حياته .. هذه الصورة ذكرته بأسعد
لحظات عاشها خلال الفترة السابقة .. فقرر أن يأخذها، ويضعها معه
فوق سريره وهو نائم، ولكن اقتراحه ذلك قوبل بالرفض الشديد من
والدته التي أخذت منه تلك الصورة ولم تعأ بيكانه.

مرت الأعوام؛ وأصبح عمر حاتم ٨ سنوات؛ وأصبح الآن الطفل
الثاني بالعائلة فقد ولد بعده بأربعة أعوام حنان، وبعد عامين آخرين
وصل الأخ الأصغر حسام .. كبر الآن حاتم وبدأ يعي ما حوله ويفهمه
جيداً ووعى لماذا كان والده يصرخ أحدهما بالآخر دائماً .. فتارة
يصرخ والده بما بأنها مهملة .. وهي تصرخ به بأنها هي من صنعتها من
أموال والدها، ولسبب ما دائماً ما كان ينتهي هذا الصراخ بأن يقوم
والده بضرب والدته وتركه للمزول .. لا شعورياً بدأ يتخذ صف الأم
فهي دائماً التي تهم به وترعاه، ولكنه أيضاً يحب والده، فهو دائماً ما
يُدافع عنه وعن أفعاله أمام أمه .. بدأ حاتم يعتاد الشجار الدائم بينه
وبين والدته، ولكنه لم يعتد ضرب المدرسين الدائم له بالمدرسة، ولماذا

بطلابون دائما باستدعاء والده إليهم.. الذي بدأ هو أيضًا يضربه، ويصرخ فيه، وبعبارة لماذا لا تكون مثل أصدقائك بالمدرسة؟

لماذا درجاتك منخفضة دائمًا؟.. لماذا لا تكون مثل أولاد عمك المتفوقين؟ الكثير من الكلام المعتاد الذي ينتهي دائمًا بالضرب فأصبح يكره المدرسة؛ لأنه سوف يُضرب من مدرسيها ويكره البيت؛ لأنه والده سوف يتشاجر مع والدته كالمعتاد، ولكن بعد أن يضعه في المعادلة هذه المرة فينال نصيبه من الضرب المبرح.. مَرَّت ثلاثة أعوام كاملة حتى انتهى شجار والديه بالطلاق، فأخيرًا خلى المنزل من والده.. الذي أصبح يكرهه من كل قلبه ويغضه أشدَّ الغضب.. وفرح أمه بأنها قد انتهت من تلك الزيجة النعيسة، ومن ذلك الزوج البغيض، ولكنه تفاجأ بكاء والدته الدائم وحزنها الشديد شعر بشعور غريب وعجيب، كيف لها أن تبكي على هذا الشخص؟.. لماذا لا تفرح برحيله؟.. ولكن لم يجد إجابة.. ولكنه كان يرى أمه من حين إلى آخر وهي تخرج ألبوم صور قديمة، وتنظر إلى صورها مع أبيه وتبتسم.. ثم بعد ذلك تبكي.. فتشعر بالفضول في أحد الأيام، وأخذ ألبوم الصور، ونظر إليه، فوجد نفسه تلقائيًا يبتسم وهو يسترجع هذه الذكريات المسروقة من ذاك الزمن الطويل.. فظل يُقلبُ سرور في هذه الصور، وهو يشعر بالسعادة وهو يسبح في ذكريات الماضي، ولكنه تذكرَ حاضره والوضع بين أبيه الآن فتشعر بالحزن، وأدرك الآن ما كانت والدته تشعر وتقرُّ به.. وقعت عيناه فجأة على صورته

القديمة وهو بعمر ٤ سنوات، وتذكر أول رسم بحياته، وتذكر هذا اليوم بتفاصيله كاملة فشعر بالسعادة الشديدة من رؤية هذه الصورة، فسحبها من الألبوم واحتفظ بها.. وظل كلما يحدث له شيء يخرج هذه الصورة وينظر بها ويهرب بذكرياته السعيدة من مشكلاته وواقعه الألم .. مرَّ عام كامل ولم يسمعوا خلاله أي شيء عن والدهم، وقد أصبحت حالتهم المادية سيئة للغاية.. وعلم من أمه أن هناك قطعة أرض في مسقط رأسها ورثتها عن والدها، سوف تذهب هنالك لبيعها ليعاشوا من ثمنها، وبذلك ذهب حاتم ووالدته وأخته للريف لبيعوا أرضهم .

البداية

في إحدى ليالي الصيف الحارة أخذت هباء أولادها الأربع لتسفل القطار لتذهب إلى قرية الأقواز بمدينة الصف مسقط رأسها.. مرت ساعات حتى وصلت إلى المدينة، واستقلت سيارة من هناك إلى القرية وجلست بصحبة أختها الوحيدة التي تزوجت واستقرت في فيها.. أخذ حاتم وإخوته يجولون ويركضون بسعادة مع أولاد خالتهم في وسط الحقول والخضرة والمياه وأجواء الطبيعة غير الملوثة، والسعادة تغمر حاتم وهو يتطلق بلا قيد أو خوف من السيارات أو أي من المعوقات التي كان يقابلها في المدينة.. ولكم كان يشعر بالإنارة وهو يسرق النوت من الأشجار هو وأقرانه، ثم عندما يطاردتهم صاحب هذه الأشجار ويكيل لهم السباب واللعنات وهم يركضون أمامه تملوهم الضحكات والابتسامات البريئة.. وبالليل يجتمع الجميع أمام المنزل يشيرون أعواد الذرة الصفراء ويلتهمونها بنهم..

ولي إحدى تلك الليالي الصيفية جلس حاتم وإخوته كالمعتاد مع أمهم وخالتهم وأولادها وزوجها حول حلقة النيران يشربون الشاي ويلتهمون حبات الذرة الصفراء.. سمع لأول مرة قصة صابر.. هذه القصة الغريبة التي سمعها عندما سألت والدته هناك عن ابن عمها صابر، وكيف أنه هو الوحيد الذي لم يُزَرَّها أو يَرَّاها.. فأخذت حالته تشرح لها بأن صابر كان في ريعان شبابه ويهتم بالأرض جيدًا، وكان مُقبلًا على الزواج بابتنة عمهم خديجة، ولكنه بدأ يشعر فجأة بالتعب، وبدأ يمرض يومًا بعد يوم.. فأخذه عمي - رحمه الله - وذهب به إلى الأطباء، واكتشف أن صابر - أعاذنا الله - قد أصيب بالمرض الخبيث، وأخذ عمنا يترددُ على الأطباء في مصر، ولكن بلا فائدة، وباع أرضه كلها، وأخذ يطوف بصابر على أولياء الله الصالحين حتى ثمن عليه الله بالشفاء، ولكن صابر لم يتعاف، ومات عمي - رحمه الله - بسبب مرض صابر وحزن عليه صابر للغاية واشتد مرضه.. ولكن حدث شيء غريب، فوالدته ذهبت به ذات ليلة خارج القرية مدة أسبوعين أو أكثر وعادا بعد ذلك، وأصبح صابر سليمًا مُعافى فجأة، ولكن والدته هي التي مرضت، لا نعلم ماذا حدث، فصابر أصبح مُعزلاً وغريبًا عما لا يتحدث إلى أي شخص غريب أو قريبٍ خلاف أمه التي سرعان ما ماتت ولم يحرك صابر ساكنًا، فإنه لم يشهد جنازتها، ولم يحضر عزاءها، وعندما وجّه أقاربه اللوم إليه اكتفى بالنظر إليهم فقط، ومنذ ذلك الوقت وهو منعزل

عنا في بيته، لا أحد يزوره ولا يزور أحدًا .. تعجبت هناء من تلك القصة، ولامت نفسها لأنها كانت منعزلة في مصر عن البلد وأهلها، وطالبت أختها أن تزور صابر للاطمئنان عليه. فنهزمت أختها وطالبتها بالعدول عن تلك الفكرة، ولكن تدخل حاتم فجأة في الحوار وهو يشجع والدته ويحدث خالته :

- متخافيش يا خالتو .. أنا هاروح مع ماما .. علشان تطمني.

نظرت هناء إلى حاتم ثم ابتسمت وهي تحت أختها :

- آه .. يا أسماء معايا حاتم راجل قد الدنيا أهه .. ولأ حاتم مش عجبك ولا إيه ؟

نظرت أسماء إلى حاتم وابتسمت :

- يا سلام .. ده راجل وسيد الرجالة كمان .. ده عريس بنتي بطة .. أنا حاجزاه من دلوقتي.

ابتسم حاتم من كلام خالته ونظر إلى فاطمة الطفلة الصغيرة التي بجواره ويدعوها بطة، فشعر بالفخر والقوة، وأنه وصل إلى مبلغ الرجال .. اتفقت هناء وأسماء على زيارة صابر في الغد، وأن يذهب معهم حامد زوج أختها وحاتم ابنها في زيارة سريعة لصابر .. وبالفعل في عصر اليوم التالي ذهب حامد زوج أسماء وهناء وحاتم إلى منزل صابر الريفى المكون من الطوب اللبن وسقفه المغطى بقش القصب وأعواد الخوص مثله كمثل باقي منازل القرية التي قلما كان يوجد بها

مزل أو اثنان مبيان بالطوب الأحمر في ذلك الوقت.. يُغلق مزل صابر بباب خشبي قديم مُتهالك لا يصلح لیسد نور الشمس فما بالك للحماية.. قام حامد بطرق الباب بيده ففتح الباب بسرعة فدخل ببطء وهو ينادي:

- يا رب يا ساتر.

فتبعه حاتم وهناء.. إلى الداخل.. نظر حاتم إلى الداخل، فوجد المزل له رائحة غريبة ليست كريهة، ولكن ليست محبة أيضاً، والمزل يكاد يكون مظلمًا من الداخل على الرغم من وجود الشمس بالخارج.. شعر حاتم بالخوف من المزل فنظر خلفه إلى أمه فوجدها تشعر بالاضطراب، فتفخ صدره وتقدم أمام أمه وهو يتصنع الشجاعة حتى لا تشعر بالخوف.. فنظرت أمه إليه وابتسمت.. ظل حامد ينادي على صابر بقوة، وهو في وسط المزل :

- يا صابر.. يا صابر.. الست أم حاتم بنت عمك جمال جات من مصر وعازية تشوفك.. يا صابر.. نظر حامد إليهم متعجبًا :

- راح فين يا خويا ده ؟

صفق بيده وهو يدخل غرفة من الغرف الثلاث التي بالمزل وينادي على صابر :

- يا صابر . إنت فين .. الجماعة عازين يسلمو عليك؟

بحث سريعًا في الغرف الثلاث عن صابر فلم يجده، فرجع إلى هناء وحاتم وهو يحدثهما مُدهشًا ..

- شكله مش موجود هنا يا أم حاتم!!

لم يكده يكمل جملة حتى فوجئ الجميع بأن صابر يقف خلفهم.. ففزعوا بشدة، ورجعوا للخلف متعدين.. لحظات قليلة وهدؤوا.. وتوجّه حامد بالحديث إليه ..

- كنت فين يا سي صابر؟؟ بنت عمك جمال هنا وجاية من مصر مخصوص علشان تسلم عليك.

نظر صابر إلى هناء ولم يتحدث.. تطلّع إليه حاتم ناظرًا له بتصمّن فوجده رجلًا في منتصف الأربعينيات.. حليق اللحية، له شارب رفيع، عيناه ضيقتان، ولكن بنظرات حادة، طوله متوسط، وملابسه مُمزقة، وغير مهنتم.. شكله عادي للغاية، لا شيء فيه مميز أو يثير الريبة إلا صمته الدائم.. توجّهت هناء إلى صابر ومدّت يديها إليه لتُسلم عليه.. فنظر إليها صابر قليلًا ثم تجاهلها ونظر إلى حاتم.. فسحبت هناء يدها بحجل، وابسمت وهي مرتبكة، ثم وضعت يديها على رأس حاتم وحَدّثت صابر ..

- ده حاتم ابني الثاني.. عنده ١٢ سنة دلوقتي.

نظر صابر إليها ثم ابسم لأول مرة منذ رآته.. ثم أعطاها ظهره وانصرف في صمته.. تعجّبت هناء من شخصيته.. ونظرت إلى حامد مندهشة.. فأشار إليها حامد بيده ..

- يلا بينا بأم حاتم.. إنني كده عملي اللي عليكي وزيادة.

فهزت هواء رأسها مصدقة على كلامه، وسحبت حاتم من يده وانصرلوا.. فنظر حاتم نظرة خاطفة خلفه، فرأى صابر ينظر إليه ويهمس له بصوت منخفض ..

- أهروب -

لم يكذ ينطق كلماته حتى انسحب جسد صابر بقوة شديدة إلى داخل الغرفة واختفى عن نظر حاتم.. الذي فزع لما رآه والتفت خلفه بقوة فنظرت هواء وحامد إليه مُدهشين ..

- ما لك يا حاتم؟ .. وقفت فيه؟

حاتم بحيرة ..

- عم صابر .. عم صابر كلمني وبعدين .. لقيتو .. اختفى..

ابتسم له حامد:

- كلمك كمان .. شكله إنت الوحيد المبسوط منك.. أنا عمري مشفته ابتسم لحد قبل كده من ساعة اللي حصله.. بقلك يا حاتم بقى إنت وأملك إعمللكم همة شويه خاللونا نلحق الغداء علشان لو إتأخرنا العيال وأهمهم مش هيخلولنا حاجة.

ابتسم الجميع وهموا بالرجوع إلى المنزل ..

موً يومان منذ لقاء حاتم بصابر وجرت الأمور عادية حتى حدث ذات يوم أن اختفى حسام أخو حاتم الأصغر في القرية، ولم يستطع أحد الوصول إليه .. فذهب حاتم وسط أهل القرية ورفاقه من أبناء

عمومته ليبحثوا عن حسام أخيه.. وتواصل البحث حتى غروب الشمس، ولم يستطع أحد الوصول إلى حسام الصغير.. وهم الجميع بالعودة لحدول الظلام إلا هناء التي ظلت تبكي وهي تحمل طفلتها حنان وابنتها الكبرى أميرة تقف بجوارها تبكي.. بعد محاولات كثيرة أقنع أهل القرية هناء أن تذهب إلى منزل أختها، وسيكمل حامد زوج أختها وبعض رجال القرية البحث هم بدلاً منها، ورضخت هناء على مضض وهي تبكي هي وصغارها.. تأثر حاتم للغاية من مشهد أمه وأخته يبكين.. فطلب إلى الرجال أن يذهب معهم للبحث عن حسام.. فرفضت هناء طلبه ولكن تدخل حامد وأقنعها أنه سوف يصطحبه معه وسيكون دائماً برفقته، فذهب حاتم معهم.. وظلوا يبحثون في أرجاء القرية وهم يحملون المشاعل والقناديل القديمة وهم ينادون ويصرخون على حسام الطفل الصغير الذي لم يكمل ٥ أعوام.. ولكنهم لم يعثروا عليه في أي مكان.. هم الرجال بالعودة وهم ينوون الذهاب للبحث مرة أخرى عن الطفل، ولكن في الصباح عند ظهور ضوء النهار شعر حاتم بخيبة أمل وهم عائدون ولم يكملوا بحثهم ولكنه كان يعذرههم لأنهم ليس لديهم كهرباء مثل المدينة.. مر الرجال وهم عائدون على حقل القصب وبجواره ترعة تفصل الحقل عن الطريق، ويصل الحقل بالطريق بواسطة جزعين كبيرين للنخل يستخدمه الأهالي للعبور من فوق التربة ذهاباً وإياباً.. التفت حاتم إلى يساره فوجد ظلًا أسود يقف بجوار حقل القصب.. فتوقف فَرَحًا لظنه

أنه يمكن أن يكون أحده الصغير حسام، ولكنه تراجع عن تلك الفكرة
لرؤية ظل شخص بالغ وليس طفلًا صغيرًا.. حاول أن يتحدث للرجال
ويوقفهم لينظروا إلى ظل الرجل لكنه وجدهم منهمكين في الحديث،
ويتابعون طريقهم متناسيه بينهم.. نظر حاتم مرة أخرى إلى الظل،
واقترب من حافة التربة قليلًا ليحاول أن يرى من يقف بجوار حفل
القصب على الجهة الأخرى.. فرأى الظل بوضوح تلك المرة.. إنه
صابر يقف بجوار الحقل وهو يتسم له.. ثم أشار إليه أن يأتي إليه..
فشعر بالاضطراب لحظات، ولكنه قرر أن يذهب إليه، فذهب مُسرعًا
جهته ومرّ يحذر على جذعي النخل فوق التربة المظلمة ووقف أمام
صابر الذي حينما رآه دخل مُسرعًا إلى حفل القصب.. اندهش حاتم
من فعل صابر وهم بالوجوع لكنه نظر خلفه فلم يجد أي أثر للرجال،
فنظر حوله فلم يجد إلا ظلامًا دامسًا.. ولا يوجد أي بشر حوله..
والتربة لها مشهد كئيب مظلم وصوت صرصور الحقل يصم أذنه..
والهواء البارد يخترق حفل القصب فيصدر صوتًا مُرعبًا قيل أن
يصطدم بأسفل رقبته فيشعره بالبرد الشديد، بدأ الرعب يتسلل إلى
قلبه الصغير.. فقرر سريعًا أن يتبع أي بشر حوله حتى ولو كان
صابر.. فدخل حفل القصب سريعًا.. وهو ينادي عليه..

- يا عم صابر.. عم صابر.. استاني.. -

وكض داخل الحقل عدة أمتار، ثم اصطدم بجسد شخص ما ..
نظر أمامه فلم يستطع أن يرى شيئاً أمامه بسبب الظلام .. تحركت
بعض السحب قليلاً تحت القمر، فبدأ يسقط جزء من إضاءته على
ذلك الجسد الذي بدأ يتكشف قليلاً أمام حاتم .. ليرى بالنهاية صابر
يقف أمامه .. حاتم ابتسم له سريعاً وهدأت دقات قلبه وهو يحدثه ..

- عم صابر .. إيه اللي جابك هنا .. ؟

ابتسم صابر له وحديثه بصوت ضعيف للغاية ولكنه مسموع ..

- إنت جي هنا ليه .. ؟

- بدور على أخويا الصغير حسام .. أصله تاه منا ومش لاقينه ..
مشتفتوش ؟ .. هو طفل صغير عنده خمس سنين ولايس قميص أحمر
مخطط !!

- قولي يا حاتم .. حيث وراياه في الغيط ليه في الضلمة دي ..
مش خايف ؟

ابتسم بثقة ..

- أنا راجل مبخافش ..

- مبخافش من أي حاجة .. ؟

- لا .. أنا قتلتك أنا راجل والراجل مبخافش ..

- طالما مايتخافش .. تبقى لسه مايقتش راجل ا.

- يعني إيه مش فاهم .. ؟

- إنت لسه صغير يا حاتم .. صغير قوي ..

- انا مش صغير .. أنا عندي ١٢ سنة .. وعش صغير.

ضحك صابر بشدة ..

- ١٢ سنة هههههههههه

ضحك حاتم لضحك صابر وهو يجهل لماذا يضحك من كلامه..

وضع صابر يده على كتف حاتم ..

- قولي يا حاتم .. بتحب أخوك الصغير ؟

- آه طبعًا بحبه.

- مستعد تعمل أي حاجة علشان تلاقيه ؟

شعر حاتم بالريبة من سؤاله ..

- أعمل أي حاجة زي إيه مثلاً؟

نظر صابر إلى يساره.. ثم نظر إليه ..

- تصاحب واحد غريب عنك .. ويبقى صديقك!؟

ابتسم حاتم بشدة ..

- أصحاب واحد غريب .. عادي .. أنا بصاحب أي حد ..
- آخذ منك عهد على كده .. نساعدك تلاقي أخوك .. وتبقى
صديقه .

- آه .. أنا موافق .. إنت عارف مكان حسام؟؟
إبستم صابر له ثم تركه وتحرك للأمام ..
- تعالى ورايا ..

تبعه حاتم سريعًا وظل يتحرك خلفه مخترقًا حفل القصب حتى نهايته
فوقف حاتم في نهاية الحقل، ثم أشار إلى جهة اليمين.. نظر حاتم بسرعة
إلى اليمين فوجد عشة صغيرة مبنية من أعواد الخوص والقش وحسام
نائم بداخلها يعمق فرح حاتم للغاية وذهب إليه مسرعًا وحمله بين
يديه.. فأفاق حسام ببطء وظل يمسح عينيه بيده

- ماما فين؟

فحمله حاتم وهو مسرور وطمأنه ..

- رايحين أهه لماما يا حسام .. متخافش.

نظر صابر لهما مبتسمًا ثم أرشدهما إلى الجهة الأخرى من الحقل،
ومرَّ حاتم سريعًا فوق جذوع النخل فوق السرعة وهو فرح، فنظر
خلفه ليحدث صابر فوجده يقف أمام حفل القصب ..

- إيه يا عم صابر مش هتيجي معانا؟

فهز صابر راسه يمينا ويساراً له وهو ينسم..

فابتسم له حاتم وهو يحمل أخاه ثم تركه ومضى في طريقه .. ثم تذكر أنه لم يسأله عن اسم من سوف يصبح صديقه، فنظر خلفه مرة أخرى ولكنه لم ير صابر في أي مكان .. لم يعبا كثيراً، وأخذ طريقه عائداً وهو يقبل أخاه الصغير حسام الذي غطى في النوم على كتفه .. بعد عدة دقائق وجد أمه تركض باحثة عنه ومعها حامد وبعض رجال القرية، وما إن رأتهما حتى صرخت من الفرحه، وأخذت تحتضن حسام وهي تقبله بجنون ومن ثم احتضنت حاتم وهي تبكي وتشكره على إيجاد أخيه الصغير.. تصنع حاتم الجلد وهو يكاد أن يبكي من مشهد أمه وهي تحتضنهما وحاول أن يظهر بمظهر الرجل القوي ولكنه لم يستطع إخفاء شعوره بالفخر وقد أصبح البطل الجديد أمام القرية..

مرت عدة أيام لم تكف أمه خلالها عن امتداحه أمام أي شخص تراه حتى بدأ حاتم يملُ حديثها ذلك وأصبح يزهده.. باعت أمه نصيبها من الأرض، وأصبح لديهم مالاً يكفيهم للعيش من خلاله.. فودعت أختها وزوجها، وسافرت مع حاتم وإخوته إلى موطا بالقاهرة مرة أخرى، وضعت أمواها بأحد البنوك، وظل تتعاش من فوائدها .. مر شهران منذ عودة حاتم من القرية ولم يحدث أي جديد في حياته حتى ذلك اليوم ..

الصديق

عاد حاتم من مدرسته وتناول غداءه وتشاجر كالعتاد مع أخته الكبرى أميرة التي أصبح عمرها الآن ١٧ عامًا، لعب قليلاً مع أخويه الصغيرين حنان وحسام، ثم اتجه إلى غرفته التي ينام بها هو وحسام الصغير، وأخرج من أسفل سويده المجلدات الحديدية من مجلة ميكې، وأخذ يتفحصها باستمتاع شديد لمدة نصف ساعة ثم دخلت أمه عليه فجأةً فارتبك، وأخفى المجلة سريعاً، فصرخت أمه بأن يكف عن قراءة هذا الهراء، وأن يقوم بعمل واجبه المدرسي، وإلا فسوف ينال العقاب الشديد .. هز رأسه على مضضٍ ثم ذهب إلى حقيبتة وأخرج كتبه وكشاكيله وهو ينوي أن يُنهى واجبه بسرعة ويعود لقراءة مجلته الغبية .. فأغلقت أمه الباب بسرعة وهي ترافق ما يفعله .. فتح أحد كتبه وبدأ في واجبه ليفاجأ بأن جميعها محلولة .. شعر بالاندهاش الشديد .. أخرج باقي واجباته فوجدوها جميعها محلولة أيضاً .. شعر

بالفرح فحل جميع واجباته يعني زيادة الوقت في الانغماس بقراءة مجلته
 الخفية واللعب بأشياءه المفضلة .. حاول أن يتذكر كثيراً مَنْ حَلَّ هذه
 الواجبات، هل هو ذاته لا يتذكر أنه فعل ذلك؟ .. أم شخص آخر من
 أصدقائه .. لم يعبأ بالأمر كثيراً، وسرعان ما فتح مجلته وبدأ يستكمل
 قراءتها .. ذهب إلى المدرسة في اليوم التالي، وسأل أصدقائه عَمَّن حَلَّ
 له واجباته، ولكن الجميع أنكر أنهم فعلوا ذلك .. شعر حاتم بالحيرة ..
 وظن أن أخته الكبيرة أميرة هي مَنْ فعلت ذلك .. ذهب إلى المنزل
 واتجه إلى أخته أميرة بغرفتها التي تشارك أختها حنان بها، وشكرها
 على فعلتها، ولكن أميرة اندهشت من فعله، وبدأت بالسخرية منه،
 وانتهى حديثهما بشجار وصريخ كالعتاد .. ترك غرفتها غاضباً بعد أن
 وبختهما أهمهما على فعلهما، وذهب إلى غرفته، وفتح واجباته فوجدها
 محمولة مثل أمس وليس ذلك فقط، بل وجد عددًا جديدًا من مجلة
 ميكي في حقيبته .. شعر حاتم بالسعادة، وأخذ يقلب بالمجلة ويقرؤها
 في غمٍّ حتى وجد مكتوبًا بخط سبيٍ بنهاية المجلة كلمة ..

"هدية من صديقك"

إذا كان من فعل هذا أحد أصدقائي بالفعل فمن هو يا ترى؟ ..

مرت الأيام واستمر الحال كما هو، جميع واجباته محلوكة، وما
 يتمناه يحده هدية في حقيقته .. رأت أمه الهدايا التي معه، ولكنها لم

تسأله عنها ظناً منها أنها من والده الذي يقابله سرّاً ويعطيه هذه الهدايا وطلب إليه ألا يجربها.. وغنت أن يكون هذا هو بداية الطريق لأبيه أن يعود إليهم مرة أخرى فهي تحه بالفعل، ولكنها لم تعد تستطيع تحسّل تصرفاته.. فتخيلت أنه قد عاد إلى رُشدِه، وأنه يجهد لطريق عودته من خلال حاتم.. هذا كان تحليلها للموقف.. لكل إنسان يحل أي شيء في الكون لمصلحته هو فقط.. ظلّ هذا الأمر مدة من الزمن وحاتم يستغلّ هذا الصديق أسوأ استغلال، يطلب إليه جميع طلباته ويتركه يحل جميع واجباته.. ووصل الأمر أن طلب إلى صديقه أن ينتقم من عماد الشاب المشاغب الذي يكبره بعدة أعوام والذي قام بضربه ضرباً مبرحاً.. **طلب إلى صديقه السريّ أن ينتقم له، وبالفعل علم في اليوم التالي أن عماد قد أصيب بجراحات خطيرة وأنه بالمستشفى..** شعر حاتم بالسعادة تحقّق أحلامه الجذائبة التي لم تطعم، ولا يفعل حاتم أي شيء بالمقابل لهذه الخدمات والهدايا بل كل ما يفعله أن يهمس لنفسه بما يُريد فيجده قد تحقّق.. فالنوس مسحري.. مصباح علاء الدين قد وقّع بين يديه، فقرّر ألا يتركه.. ظلّت الأمور على ما يُرام حتى بدأت تشعر هناء بأن هناك شيئاً خاطئاً في علاقة حاتم ووالده لما لم يُعدّ والده إليهم أو لماذا لم يصارحها حاتم بمقابلته أبه، وأنه هو من يعطيه هذه الهدايا.. وهتّت بسؤال حاتم عن أبه، ولكن كبرياءها منعها في اللحظة الأخيرة، وفضلت أن تأتي إليها زوجها راكعاً لها، يترجّأها، أفضل من أن تسأل هي ولدها حاتم عنه أولاً..

في تلك الليلة كان حاتم نائماً في سريره، وشعر بيد صغيرة باردة على وجهه تصفعه بخنان.. فاستيقظ فوجد أخاه الصغير يصفعه على وجهه بيده الصغيرة وهو ينادي عليه ..

- حاتم .. حاتم ..

فنظر إليه بعينين نصف مغلقة ..

- إيه يا حسام .. إيه اللي مصحك دلوقتي؟

أشار أخوه الصغير إلى جوار سريره وهو يحذّره ..

- الراحل اللي هناك ده هو اللي صحّاني.

نظر حاتم إلى ما يشير إليه حسام، فلم ير شيئاً ..

- فين ده يا حسام؟ .. مفيش حد هناك.

أشار حسام مرة أخرى ..

- هناك واقف جنب السرير أهه ..

- ابتسم حاتم بسخرية ..

- ماشي .. ماشي ... عايز منك إيه الراحل ده؟؟

- يقولني أقولك إن صديقك هيجي يشوفك.

حاتم مُندهشاً ...

- صديقي هيجي يشوفني .. مين اللي قالك الكلام ده .. حد في

الشارع .. حد من صحاب ماما .. ولا أميرة ..؟؟

هز أخوه رأسه ناهياً وأشار بجوار سريره ..

- الرجل اللي هناك هو اللي قاللي.

هبّ حاتم سريعاً بملاذه القُطُول، وأخذ حسام من يده، وانجه إلى سريره، وأخذ ينظرُ حوله فلم يجد شيئاً .. فنظر حاتم إلى حسام مُرتاباً يرفض تصديق خيال الطفل الصغير، ولكنه مُندهشٌ من كلماته، وأنه علم بسر صديقه الشبهول ..

- أنا مش شايف حد يا حسام .. إلت شايفه قدامك؟ ..

هز الصغير رأسه بالإيجاب، وأشار أمامه فوق السرير ..

- قاعد على السرير بتاعي وبيصلك ..

بلع حاتم ريقه بسرعة وهو ينظر إلى السرير بقلق :

- إساله قوله .. صديقي ده يبقى مين .. وعاييز مني إيه؟

ردّد الصغير كلمات حاتم .. ثم هز رأسه عدة مرات .. انتاب حاتم الذُّعر من حديث أخيه إلى شيءٍ خفيٍّ وغير مرئي .. ابتسم الصغير ثم نظر إلى حاتم ..

- يقولك صديقك .. هو الأمير .. وهو عايز إنك تبقي صديقه ..

شعر حاتم بالخوف وصرخ جبهة السرير ..

- أمير مين؟ .. أنا مش عايز أبقي صديق حد .. إنتم فاهمين؟

أنا مش عايز أبقي صاحب حد ..

وركض سربعاً جهة سريره، وأخرج الهدايا والجللات ومنعها
ورماها غاصباً ..

فجأة انفجر مصباح الغرفة وأصدر صوتاً قوئاً، ففرغ حاتم،
وصرخ حسام خائفاً .. فذهب حاتم مُسرِعاً جهة صوت حسام وهو
يتخبط في الظلام ليحد شيئاً يقبض على ملابسه، ويرفعه إلى أعلى
دون أن يرى شيئاً في الظلام، ثم قذفه للحائط، وسمع صوتاً عالياً
وغلظاً يصرخ به ..

- محدش يرفض صداقه الأمير .. محدش يقول للأمير لا .

سقط حاتم على الأرض فزعاً مما حدث له، وظل حسام يصرخ في
خوف وهو ينادي على أمه التي ذهبت إليه مُسرعة، فوجدت الغرف
مظلمة

- إيه في إيه؟ .. إيه الصريخ ده؟

عندما فتحت باب الغرفة تسلس نور غرفة المعيشة إلى داخل غرفة
حاتم، فزأت حاتم مُرتاعاً إلى الأرض، وبجواره مجلته ممزقة وألعابه
وهدايا مبعثرة، وحسام الصغير يبكي وهول إليها عندما رآها ..
أنت أختاه أميرة وحنان على أثر الصوت الصاحب، ودخلتا إلى
الغرفة مستغسرتين عما يحدث .. احتضن حسام أمه وهو يبكي،
فنظرت إليه فوجدت جبهته جريحة بفعل تحطُّم زجاج مصباح الغرفة،
فنظرت إلى حاتم غاضبة تلومه لجرح أخيه ظناً منه أنه فعل ذلك،

وظلت تصرخ به: لماذا فعل ذلك؟ ولماذا حطّم المصباح وبغّث محتويات غرفته وجرح أخاه؟.. وحاتم ينظر إليها مصدوماً ممّا حدث، ولم يستطع فتح فمه بحرف واحد ليشرح لها ما حدث.. تركته أمه وهي تصرخ به بأن ينظف غرفته، وأخذت أخاه حسام إلى غرفتها، وتركوه وحيداً في غرفته التي فرغ منها فجأة، خرج منها وظلّ جالساً في غرفة المعيشة يفكر فيما حدث.. علم الآن أنه حان الوقت ليسدّد لصديقه الجاهول ثمن هداياه وخدماته، وأن هذه الأشياء لم تكن مجانية مثلما كان يعتقد.. ظلّ يفكر كثيراً: مَنْ هو ذلك الأمير الذي يريد صداقته؟ ولم هو بالذات؟.. وهل هو الصديق الذي أخبره به صابر في القرية من قبل؟.. حاول كثيراً أن يفكر كيف يستطيع التخلص من هذه الورطة التي تورط بها، فلم يهده تفكيره إلا أن يُصارع أمه بحقيقة ما حدث، وأن يطلب إليها مساعدتها ليتخلص من تلك الصداقة المزعجة، ظلّ مُستيقظاً حتى الصباح، واستيقظت أمه فرأته مستيقظاً، وطلبت إليه أن يتجهز ليذهب إلى مدرسته.. أراد أن يحدثها بشأن ما حدث البارحة، فطلبت إليه التوقّف الآن، وأن يتحدثا بعد أن يعود من المدرسة.. رشح لها في النهاية ودخل إلى غرفته المبعثرة سريعاً والنقط ملابسه وحقيبته، وهبّ طائراً خارجها، وذهب إلى مدرسته لا يفكر بشيء إلا ما حدث له..

وبالطبع حدث تفيتش مفاجيء على واجبات أمس، وفتح حاتم كراساته ليجدها فارغة من واجبات أمس؛ ليأخذ نصيّه من عقابه اليوم عدداً من العصي، لسبب ما جميع المدرسين اليوم لم يضربونه على يديه، بل انتقلت العصي إلى مؤخرته، وحدث ذلك في جميع

حصى ذلك اليوم.. ولسب مجهول أيضًا شاركه جميع المتسمرين بالمدرسة اليوم أيضًا خبراتهم في فنون (الشلايت) السحرية، وفنون ضرب القفا السريعة؛ ليسر على حاتم أسوأ يوم على الإطلاق في حياته المدرسية..

عاد إلى المنزل يشعر بالضيق والحزن ليتفاجأ بمفاجأة عظيمة جهّزها والده في انتظاره.. فوجد والده منتظرًا إياه متسميًا، وفي يديها قطعة لا تعدى المتر من خرطوم المياه النقي الأصلي القديم الذي لا يوجد مثله الآن، وعزفت سيمفونية رائعة تضاهي سيمفونية بيتهوفن التاسعة، ولكن ليس على بيانو ونوتة موسيقية مثل بيتهوفن، ولكن بخرطوم مصري أصيل وعلى جسد حاتم.. وأخذت تعزف وتعزف على جسده، وحاتم يُترجمُ هذا العزف إلى ألحان شجية غنية بالمشاعر الفياضة التي أضحكت أخته الكبيرة أميرة كثيرًا وهي تنظر إليه متشفية ومستمتعة بغنائه وآهاته، وأخافت أخويه الصغيرين حنان وحسام.. انتهت الأم من العزف، وطلبت إليه أن يعتذر عما حدث منه أمس، فرفض وهو يبكي لما حدث له من مصائب في ذلك اليوم.. جلس في غرفته مُتألمًا يلعن الحياة، ويتمنى أن يتخلص منها.. عدة لحظات ودخلت أمه تنظر إليه، وتعالج جراحه وهي تصرخ به بألا يتحرك، وهي تضع الضمادة الطبية على جراحه، وجسده المتورم.. شعر حاتم بتناقض بداخله: أتحبه أمه أم تكرهه؟ كيف لها أن تضربه بكل هذه القوة وتأتي بعد ذلك لتضمّده؟ ولكنه لم يجد إجابة لما بداخله، فقرّر أن يروح لها بما في داخله وليكن ما يكون.. فنظر إليها مُستعطفًا..

- والله يا ماما .. ما ضربت حسام إمبراح.

فصرخت به بضيق ..

- إنت لسه هتكذب عليّ؟! ده أنا أمك اللي حفظاك..

- والله ماما .. مش أنا اللي عملت كده .. أنا هاقولك كل حاجة.

وبدا حاتم يشرح لها ما حدث له أمس، ويربط ما بين حديثه مع صابر وعنود على حسام أخيه، وما بين الصديق الذي كان يساعده في وجباته ويقدم له هدايا.

شعرت هناء بالضيق والغضب الشديد من كلام حاتم .. حيث إنه قد دسّر النظرية التي وضعتها في مخيلتها عن رجوع والده إليهم، وأنه هو من كان يبعث له بالهدايا ..

- يعني أبوك مش هو اللي كان بيحبلك الحاجات دي..؟

شعر حاتم بالاندهاش ..

- أبويا؟! لأ مش أبويا .. أنا أبويا بقالي مستين مشفوش.

شعرت هناء بالغضب من نفسها لأنها ما زالت تفكر في زوجها، وكانت تعتقد أنه سوف يعود إليها، فنقلت غضبها على حاتم ..

- طالما مش أبوك .. مين اللي جبلك الحاجات دي؟ وجيهالك

ليه؟

بخوف:

- والله ما اعرف يا ماما .. أنا قولتلك كل حاجة أعرفها إن حد

أمير عايز يبقى صاحبي .

- إنت هستهبل .. أمير مين اللي عايز يصاحبك يا فاشل .. ده

إنت مش فالح في حاجة خالص .. ولا دراسة ولا غيره .. ما هو انا

مش هسيك النهارده إلا لما نقولي مين اللي جبلك الحاجات دي؟

- والله يا ماما ما اعرف كل اللي اعرفه قولتهولك .

هبت غاضبة وهي تنظر إليه:

- يبقى إنت عايز تاخد علاقة تاني تحليك تقول الحقيقة.

وخرجت مسرعة إلى خارج الغرفة .. فارتعب حاتم أن تضربه مرة

أخرى، وتقدم بشدة أنه أخبرها.

عادت إليه مسرعة وهي تحمل خرطوم المياه بيدها

- انطق بدل ما قطعو عليك.

قور حاتم أن يكذب عليها ليخلص جسده المتشنج بالآلام التي

تعرض إليها اليوم .. من سقمونية الألم جديدة

- خلاص يا ماما.. خلاص.. بابا هو اللي جايهملي وقالي
مقلو كيش..

وقفت هناء تنظر إليه قليلاً، ثم جلست بجواره على السرير

- أمان لما قولتلك إنه أبوك كذبت ليه؟.. خيبت علي ليه..
بتحب أبوك أكثر مني.. نسيت اللي عمله فيكم.. وإنه طلقني وساب
البيت مفهوش ملهم؟!

ظلت قرابة خمس عشرة دقيقة تدمُّ في أبيه، وفيما فعل لها وهم..
وأما على حقّ فيما فعلت عندما تركته وطلت إليه أن يُطلقها..
إح.. إح.. ثم جلست تستقضي منه.. أين رآه؟ ومتى آخر مرة قابلته؟
وحاتم يرد عليها بكل حُرْفية.. لم يكن يعلم أن لديه هذه القدرة
الكبيرة على اختلاق الكذب أو أن أمه التي هي من لديها القدرة
الكبيرة على تصديق هذا الغراء بخصوص والده..

ظَلَّ الاستجواب طويلاً ومن ثمّ انقنعت والدته بكلامه، فطلبت
إليه أن يجمع هذه الهدايا التي أرسلها له والده، شعر بالحيرة من
كلامها.. ولكنه رضى لها، وجمع الهدايا والاشجالات، وتقدّمت أمامه،
ودّعت إلى المطبخ، وطلبت إليه أن يضع هذه الأشياء في حوض
المطبخ، فنقد ما تقول مُتَحَيِّراً.. أمسكت أمه ببعض الكيروسين،
ورضعته على الهدايا ثم أشعلت بها النيران.. نظر إليها حاتم غاضباً

ومستكراً، ولكنه لم يتحدث خوفاً منها.. نظرت إلى النيران وهي
تحدثه بحدة ..

- منأخذش حاجة من أبوك تاني، ولو عرفت في يوم من الأيام
إنك قابله من رايأ هتقطعك ..

هز رأسه في رضوخ .. فاستكملت محذرة ..

- وأخوك حسام .. لو مديت إيدك عليه تاني هتقطعالمالك فاهم؟

هز رأسه مرة أخرى برضوخ .. فتركته والدته وانصرفت وهو
ظل ينظر إلى مجالات ميكي وهي تحترق وهو يشعر بالاضطراب
داخله، ويتقلب شعوره مثل الإعصار ما بين الخوف والحيرة والغضب
والأسى .. انصرف إلى غرفته التي وجد والدته استبدلت المصباح
بداخلها، وأغلق على نفسه الباب، ووسط جسده على السرير
لحظات، وسمع أمه تبكي بحرقة خارج الغرفة، وأخته أميرة وحنان
ملتفتان حوفاً تحاولان تهدئتها.. شعر بالضيق مما يسمعه ومن الآلام
التي يجسده فسحب الوسادة التي أسفل منه ووضعها فوق رأسه لكي
لا يسمعها، وانهمرت الدموع من عينه بصمت .. لحظات وغط في
النوم ..

الأمير

استيقظ حاتم فجأة ليجد نفسه على الأرض نالماً أسفل شجرة خضراء لها رائحة كريهة، فهبّ واقفاً، ونظرَ حوله، فوجد نفسه بمنطقة فارغة من أي شيء بخلافه هو والشجرة وجميع ما حوله أسود مظلم، ولكنه يرى كل شيء بوضوح .. اندهش بشدة ..

- إيه ده؟ أنا فين؟

نظر حوله فلم يجد أحداً .. ركض سريعاً مُخترقاً الظلام فترة طويلة، ولكنه لم يجد شيئاً .. ظل يركض وهو خائف ومرتعب يبحث عن أمه وإخوته، ويصرخ عليهم، ولكن دون مُجيب .. لَمَح شيئاً أخضر بعيداً أمامه، فتوجّه إليه مُسرّعاً، فوجد نفسه يقفُ أمام الشجرة ذات الرائحة الكريهة مرةً أخرى .. شعر بالخوف الشديد، وظل يصرخ ويصرخ .. دون مُجيب .. فجأة وجد رجلاً يقفُ بعيداً

في الظلام ويرتدي جلباباً ويرتدي غطاء الرأس الرَبِّي التقليدي..
صرخ عليه وتوجّه إليه مُسرّعاً ..

- يا عم .. يا عم .

كلما اقترب منه حاتم لا يجد وجهه، فيذهب إلى اليمين أو اليسار
يجد الرجل يُعطي له ظهره.. فصرخ به يئأس:

- يا عم.. أنا فين .. مبتردش عليّ ليه .. متصلي هنا.

جذبه حاتم من يده، فنظر إلى وجهه أخيراً ليحده صابر الذي قابله
بالقربة.. فشعر بالفرح وأخذ يُحدّثه مُبتسماً ..

- عم صابر .. عم صابر أنا فين ؟

لم يجابه صابر واكفى بالنظر له .. فعاد حاتم سؤاله ..

- مبتردش عليّ ليه .. عم صابر أنا فين ..؟

نظر إليه واقترب منه وهمس له ..

- عندهم !.

نظر حاتم حوله بفضول ولم ير أحداً غيرهما ..

- عند مين .. عند مين .. طيب أخرج من هنا إزاي ..؟

نظر له صابر قليلاً ثم أشار بساكنة خلفه .. فنظر حاتم إلى الجهة
التي أشار إليها صابر، فوجد باباً كبيراً عليه نقوش ورسوم غريبة

للعناية كان غير موجود مسبقاً.. شعر بالاندهاش، ونظر أمامه ليحدث صابر، ولكنه اختفى من أمامه فجأة.. ظل حاتم يبحث عنه باصماتة، فلم يجد أي شيء غيره هو والشجرة والباب الكبير المفتوح الذي بدأ يُغلق أيضاً.. ارتاع حاتم عندما رآه يُغلق، وركض مُسرّعاً إلى الباب ودخل من خلاله والذي أُغلق فوراً بعد دخوله.. نظر حاتم إلى ما يوجد خلف الباب، فوجد عالماً غريباً لم يَره أو يسمع عنه في حياته من قبل.



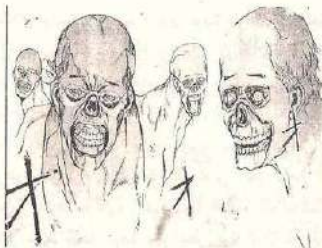
أول ما شدَّ انتباهه هو لون السماء، والإضاءة لونها أحمر يحيلُ إلى البرتقالي كلون الشَّمْسِ الأحمر بالمساء، وبيوت من طابق واحد مبنية وسط شيءٍ يُشبه المقابر أمامه، والشمس في كبد السماء، ولكن لونها أحمر وأكبر من الشمس التي عادةً ما كان يراها .. عندما تحرك خطوة واحدة إلى الأمام شعر بالخفاف الشديد، وحلقه أصبح جافاً للغاية، فأمسك حلقه، وقام ببلع ريقه بصعوبة شديدة .. وتقدّم عدة خطوات إلى الأمام بسرعة ليشعر فجأةً بالجوع الشديد .. جوع لم يشعر به من قبل، كاد أن يمزق معدته من شدته حتى أنه انساه شعوره بالعطش .. فنظر حوله بسرعة يبحث عن أي شيء يسدُّ به رَمَقَه سريعاً .. فوجد عدة أشجار لها لون رمادي، وألوان أوراقها برتقالية. فذهب جهتها سريعاً، ونظر إلى الأوراق، فوجدتها كبيرة للغاية بالنسبة إلى الأوراق التي يراها عادةً .. سحب أكثر من ورقة بسرعة من الشجرة ووضعها في فمه سريعاً وأخذ يأكلها بسرعة لعل شعوره بالجوع الشديد يتوقف، أغمض عينه وجلس على ركبتيه وهو يُتابع حركة أوراق الشجر وهي تنزل ببطء من بلعومه إلى معدته .. لحظات قليلة وبدأ شعور الجوع يخفُّ تدريجياً حتى اختفى تماماً. شعر بالارتياح، ونظر أمامه مُضطرباً وهو يسأل نفسه: أين أنا .. هل ما أراه حقيقي أم خيال؟ .. تقدّم خائفاً متوجساً ومَرَّ بجوار أحد البيوت بالمقابر، ثم تقدّم جهة المدخل الذي كان مُكوّناً من طابقٍ واحدٍ وشكله غريب للغاية، حيث إنهبيضوي تقريباً وبدون أبواب، ولكن له نوافذ صغيرة على

جانبه، طُرق حاتم على المزل، فوجد ملمسه خشبيًا، وعندما طرق على جدار المزل تغير لونه إلى الأبيض .. فتعجب للغاية، ثم طرّقه مرة أخرى فتغير إلى عدة ألوانٍ سريعًا، وظلّ حاتم يطرق جدار المزل، ويتغير لونه حتى أصبح لونه أحمر، ثم انفجر فجأة أمام حاتم دون أن يُصدر صوتًا، ففرغ حاتم وابتعد سريعًا عن المزل، فارتطم بحفرة خلفه، فسقط بسرعة على الأرض، فوجد الأرض قد اهتزت قليلًا ثم ظهر شيء يشبه القم بالقرب منه، فتعجب لما رآه، ووقف سريعًا وتقدم جهة القم البارز من الأرض، فوجدته قد فتح فجأة وصدر صوت خفيف للغاية منه، فشعر بالاندحاش مما يراه، ثم فجأة خرج صوت صراخ قوي جدًا من الأرض .. جعل حاتم يركض وهو خائف مبتعدًا عنه، ويُغطي أذنيه اللتين تكادان تنفجران من هذا الصوت ..

صوت الصراخ يشتد أكثر فأكثر .. فبدأ حاتم يصرخ في خوف، وهو يهرب بعيدًا عنه، ويتمنى أن يتخلص مما هو به .. فجأة لمح أمامه شيئًا غريبًا، فبحوار أحد القبور وجد شيئًا يشبه الكلب يقف على أربع، ولكنه يدين وقدمين بشريتين وله وجه مُفزع، ليس بشري، ولكن أقرب إلى البشر، ولكن دون أنف بارز، ولكنه مُحوف للداخل، وعينان سوداوان كبيرتان، وجسده ليس عليه شعر أو فرو ..

فجأة توقف صراخ الأرض عندما كثر هذا الكائن إلى حاتم الذي بدأ يتراجع في خوفه، لكنه وجد من الجهة الأخرى كائناً آخر شبيهاً يقف خلفه، ثم كائناً عن يمينه ويساره، ثم فجأة أصبح مُحاطاً بالكثير من تلك الكائنات .. شعر بالخوف الشديد، وكاد قلبه المراهق أن يصاب بأزمة شديدة، وظل يصرخ مِمَّا يُشاهدُه، اقتربت منه الكائنات وهي تركض جهته، وتحاول أن تقتك به .. واستسلم حاتم إلى مصيره بخوف وهو يصرخ ..





فيحاة ظهر أربعة أشخاص .. سقطوا من أعلى ويحيطون به مدافع
عنه ضد هذه الكائنات .. يرتدون عباءات سوداء بها غطاء رأس أسود
يغطي وجوههم فلا تستطيع رؤيتها ..

عندما شاهدتهم هذه الكائنات هربت مغزوعة .. الأشخاص
الأربعة أعطوا حاتم ظهورهم، وبدؤوا يتحدثون بكلام غريب وهذا



الكلام تحول إلى رسومات ونقوش غريبة على الأرض، عدة لحظات، وأحاطت هذه الرسوم بحاتم والرجال الأربعة، من ثم سقطوا فجأة بداخل الأرض ... صرخ حاتم بشدة فلما يحدث له، ووجد نفسه يسقط بداخل حفرة عميقة سوداء فترة قليلة، ثم وجد نفسه على الأرض في مكان واسع ومزخرف ومضاء ومزين، وبه عدد كبير من الأشخاص يرتدون مثل الرجال الأربعة المحيطين بحاتم .. نظر الرجال الأربعة إلى حاتم وحدّثوه بلغة غريبة.. فلم يفهمها، فأشاروا إليه أن يقف.. فوقف حاتم سريعاً متقدماً أمرهم وهو ينظر حوله بارتياح.. فجأة انحنى الرجال الأربعة إليه ثم أشاروا إليه أن يتقدم أمامهم .. فتقدم حاتم وهم يتبعونه .. فوجد أنه يحشي على بساط مزخرف مرصع بالذهب والجواهر الثمينة، ووجد رجالاً وسيدات يتسمون إليه ويحنون له وهو يتقدم.. شعر حاتم بالارتياح قليلاً وهو ينظر إليهم وهم يرحبون به ويتسمون في وجهه، وبدأ قلبه يسترّد عافيته وأمنه.. في نهاية البساط وجد حاتم نفسه يقف أمام بعض الشيوخ الكبار يحملون صولجانات ذهبية في أيديهم، ويقفون بتبجيل أمام أحد الأشخاص الذي يقف أمام كرسي عرش كبير ومزخرف ومرصع بالجواهر الثمينة، ولكنه على أشكال مرعبة .. توقف الرجال الأربعة المحيطين بحاتم، وتحدثوا إلى شيخ كبير يبدو عليه أنه كبير هؤلاء الشيوخ .. فنظر إلى حاتم، ثم قال له بصوت رخم ..

- الأمير ..

ثم أشار إلى الرجل الواقف أمام كرسي العرش، ويُعطي الجميع ظهره .. نظر حاتم بصحيل إلى الرجل الذي يُعطيه ظهره أمام العرش وابتسم ..

- أنت الأمير .. اللي قالي عليه صابره؟ ..

نظر الجميع إلى الأمير الذي لم يتحرك من مكانه، ولم ينظر إلى حاتم .. ونطقَ بعدة كلمات لهم ..

- تو .. بياتورن ..

فنظر الشيخ إلى حاتم غاضباً .. وصرخ فيه ..

- رفضت صداقة الأمير؟!

فصرخ في الجميع بقوة ..

- بيوكان ناراكما ..

فنظر الجميع بغضبٍ وصرخوا في حاتم ..

- بيوكان ناراكما ..

وفجأةً مالَ الظلام المكان والجميع تحول إلى أشكال مفرعة ومخيفة وعيونهم تضيء بلونٍ أحمَر مُخيف وهم يصرخون غاضبين ..

- بيوكان ناراكما ..

فقر قلب حاتم من مكانه عندما رأى الرجال الأربعة الخيطين به
يلشون حوله بغضب وقد ظهرت وجوههم من داخل عباءاتهم، والتي
كان ملاصقهم قد دمّرت ما تبقى من أعصاب حاتم في تلك اللحظة
فسقط على الأرض، وغاب عن الوعي، وأخبر ما رآه عيناها حينها
هو ظهر الأمير الذي كان يقف في مكانه ولا يُعير أي اهتمام لما يحدث
لحاتم خلفه ..



(الرجال تحت العباءة بعد تحوّلهم)

طوقت حنان الباب ثم دخلت سريعاً ..

- حاتم .. ماما بيتقولك تعالى انعشى ..

استيقظ حاتم وهو ينظر إليها بعينين نصف مغلقتين ..

- طيب .. طيب .. ماشي ..

انصرفت حنان بسرعة واستيقظ حاتم وهو يتأهب .. ثم نظر حوله فجأة متعجباً وتذكر ما حدث .. ثم أمسك صدره بارتياح، وأخذ نفساً عميقاً ..

- كان كابوس الحمد لله ..

قام من سريره وهو يشعر بالنشاط فجأة .. حلت رأسه قليلاً، ثم لفت انتباهه شيء على معصمه، فنظر سريعاً إلى معصمه، فوجد أثر عضبة أسفل معصمه الأيمن، ثم نظر إلى يده اليسرى ليجد آثار عضبة أعلى معصمه، شعر بالاضطراب، فسحب ملابسه عن معصمه، فوجد هناك آثار عضبة أخرى بالأعلى، فخلع ملابسه العلوية، ونظر إلى جسده، فوجد آثار عضبات كثيرة في أنحاء جسده، ثم شمر بظلمته، فوجد نفس الحال في قدمه .. شعر بالخوف الشديد .. لحظات ثم سمع صوت أمه تنادي عليه ليتناول العشاء، فأجابها وارتدى ملابسه بسرعة، وتوجه إلى مائدة السفرة، وهمّ بتناول الطعام مع أمه وإخوته، وهو يحاول جاهداً ألا يكشف معصمه وهو يأكل حتى لا تراه أمه ..

التي لاحظت ما يحاول أن يخفيه بعيني الأم الناقبتين، ولكنها لم تحدثه أثناء الطعام.. بعد أن انتهى من عشاءه ذهب مسرعاً إلى داخل غرفته فتبعته هناك وحادثته ..

- مالك يا حاتم .. في إيه ؟ .. عملت حاجة ومحبي .. ؟

شعر بالاضطراب وهو يحاول أن يخفي يديه بملابسه ..

- لا يا ماما معملتش حاجة .. معملتش حاجة والله.

لاحظت أنه يحاول إخفاء يديه عنها .. فجذبت ملابسه بسرعة عن يديه، لترى آثار العض على يديه .. نظرت إليه مُستكربة .. فشعر حاتم بالخوف ونظر إلى الأرض وتحاشى أن ينظر إليها لأنه لا يعلم ما سيبرز به حدوث هذا في يده .. ولن تصدقه إذا ما حكى لها ما حدث له .. اقتربت هناك منه قليلاً .. ثم ضمتها إليها ..

- متزعش يا حبيبي .. أنا هاجبك كل اللي إنت عايزه .. اللي إنت نفسك فيه تقولي عليه هاجبهولك على طول بشرط إنك تذاكر وتدح وتبقى شاطر في دراستك .. وإوعي تشيل في نفسك وتعمل في نفسك كده ثاني .. ماشي ؟

- حاضر يا ماما.

- يلا بقي ذاكر ..

نظرت إليه أمه بأسى وهي تلوم نفسها أنه قد عض نفسه بسبب تخلصها من مجلاته وهداياها التي أرسلها إليه أبوه .. أغلقت عليه غرفته

وانصرفت.. فهبَّ واقفاً وركضَ بفتح الباب، وأضاء أنوار الغرفة كاملةً، وجلس على سريره مُترقبًا.. جلس على وضعه ذلك كثيرًا، فلم يحدث شيء، بدأ يسترخي على سريره أكثر فأكثر.. ولكن كان خائفًا أن ينام ويحدث له مثل أمس، ظلَّ يفكر في أشياء تشغل تفكيره عمَّا حدث أمس، ولكن لم تُجدْ نفعًا.. ثم تذكرَ شيئاً فجأةً، فوضع يده أسفل سريره بسرعة وأخرج صورته التي أُلقطت له وهو في سن ٤ سنوات، وهو يرسم الشمس وقوس قزح، فنظر إليها طويلًا يتأملها ويتذكر معها ذكريات طفولته السعيدة، ووجود والده وأمه في حياته.. هذه الصورة هي الوحيدة التي كانت تستطيع أن تُخرجه من أي شيء يُحزنه، ويصبح بعدها سعيدًا.. ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهه برؤيته لتلك الصورة، ثم وضعها مكانها مرة أخرى.. وأغلق عينيه يتأمل تلك اللحظة بتفاصيلها.. ثم أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه ببطءٍ فشعر بارتياحٍ شديد تغلب على جانبيه الأيمن واستعدَّ للنوم.. فوجد إضاءةً شديدة تضرب في عينيه بقوة فوضع يده أمام عينيه بحجب عنهما الضوء، وجلس على سريره ونظر حوله مندهشًا.. لحظات وارتاع رُعبًا عندما أدرك ما حدث.. إنه يجلس بسريره بجوار مصباح الغرفة.. ولا.. لم يسقط المصباح أرضًا.. بل سرير حاتم هو الذي أصبح بالسقف.. اجتاح الخوف الشديد قلب حاتم وهو يرى نفسه جالسًا على سريره الموضوع أعلى سقف الغرفة، ويرى أسفل منه سرير أخيه حسام وخزانة ملابسه ومكتبه الذي يدرس عليه، كل

شيء في غرفته في مكانه بالأسفل ما عداه وسريره بالأعلى، حاول أن يتشبث بالسريير لكيلا يسقط منه على الأرض.. صرخ على أمه لكي تأتي وتُقذّه من هذا الموقف المستحيل.. وظل يصرخ ويصرخ ولكن لم يجاوبه أحد، نادى على إخوته جميعاً، ولكن لم يأت أحد لتجذّته.. نظر حوله متعجباً: كيف حدث ذلك؟ ومتى؟ فإنه لم يغفل لحظة واحدة، فكيف أصبح في ذلك الوضع؟.. نظر إلى الأرض التي أصبح أسفل منها، أو بمعنى أدق فوقه، فوجد آثار السريير بآلية على سجادة الغرفة، أي إنه ارتفع بسريره فعلاً.. فكّر سريعاً وهو يخائف: كيف له أن يتحاشى السقوط والخوف الأكبر أن يتحاشى سقوط هذا السريير فوقه؟ فهذا سوف يكون مؤلماً أكثر من عملية السقوط نفسها.. فهداه تفكيره أن يختبئ أسفل سريره، ولو سقط في حينها سوف يسقط هو على السريير وذلك سيكون أقلّ إبلاماً من أن يسقط السريير فوقه هو، وبالفعل بدأ يضع يده إلى جانب السريير، ونظر أسفل منه ليجد نفسه بالحال ثقيلًا للغاية، وسوف يسقط بفعل الجاذبية التي كانت غير موجودة منذ لحظات. فتعلّق بجانب السريير، هو يصرخ خوفاً، وينادي على أمه وإخوته.. تعلّق بقوة بجانب السريير الذي بدأ يشعر بأنه يميل به.. لقد بدأت أقدام السريير تنزع من على الحائط ليسقط أرضاً ويتخلع قلب حاتم كلما انحلت قدم من السريير.. وفجأة وجد نفسه يسقط أرضاً والسريير يسقط بسرعة فوقه، فأغلق عينيه خوفاً وهو

يصرخ بأعلى صوته وهو يتوقع الألم الذي سوف يحدث له الآن .. ظل
يصرخ بقوة، وشعر بيد تمز كتفه بقوة، وصوت أمه يحدثه:

- حاتم .. مالك في إيه؟

فتح عينيه سريعاً ليجد أمه جالسةً بجواره على سريريه الذي عاد
إلى طبيعته وهو ينام فوقه بصورة عادية، وإخوته يقفون عند الباب
ينظرون إليه بخوف .. فصرخ مرتاعاً ..

- السرير اتعلق في السقف .. أنا مش عايز أنام هنا .. مش عايز
أنام هنا

نظرت هناء إليه مندهشة، ونظرت إلى سريريه فوجدته طبيعياً ..
ونظرت إلى حاتم فوجدته مُرتاعاً .. فطمأنته ..

- خلاص .. خلاص .. نام في أوضة اخوانك البنات.

فاعترضت أميرة ..

- لا يا ماما .. محدش ينام في أوضي.

فتنهت غاضبة ..

- حاتم هينام في أوضتكم وانتم نامو في أوضته النهارده وحسام

هينام معاها .. بلا ..

ترجأها حاتم ..

- لأ يا ماما أنا مش عايز أنام لوحدي .. خلني حسام ينام معاها.

فصرخ حسام غاضباً ومتمسكاً بأمه ..

- لا .. يا ماما .. أنا هانام معاكمي.

فحدثت حاتم برفق ..

- إيه يا حاتم.. أنت راجل دلوقتي.. في راجل بيخاف ينام لوحده..

يلاً تحش الأوضة بتاعت إخوانك نام هناك، وانتم يا بنات يلاً ناموا

هنا .. يلا علشان متأخروش على المدرسة الصبح.

دخلتا أميرة وحنان الغرفة على مضض وقالت أميرة لحاتم:

- إوعى تلعب في حاجتي إنت فاهم.

خرج حاتم مع أمه وحسام فأدخلته غرفة أميرة وأخذت حسام

بيدها ..

- يلاً يا حاتم.. تصبح على خير، وأنا جنبك لو عايز حاجة

ناديلي ..

صرخ حاتم:

- سبي الباب والنور متفلهوش ..

- حاضر .. أهم سيياهم أهم.

نظرت إليه بقلق شديد وهي تغادر الغرفة ..

جلس حاتم على السرير، وأخذ ينظر في محتويات الغرفة، فوجد على الحائط صوراً كثيرة لمغنيين وممثلين، ولفت انتباهه صورة كبيرة لطرب وسمير يرتدي (تي شيرت) أسود ومخططاً بخطوط زرقاء وحمراء، ومكتوب أسفل الصورة عمرو دياب .. هلا .. هلا صوت الدلتا .. وصورة أخرى لطرب شاب يرتدي قميصاً أسود بخطوط بنفسجية وهو يبتسم، ومكتوب أعلى صورته محمد فؤاد .. خفة دم .. صوت الحب .. وصورة كبيرة لطرب أجنبي أتمر يتكئ على جانبه ويبتدي بدلة بيضاء، ومكتوب بجواره بالإنجليزية مايكل جاكسون .. ثريلر، والكثير من شرائط الكاسيت موضوعة بجوار مسجل كبير على مكتب دراسة أميرة وبالجبهة الأخرى سرير حنان الصغيرة وعليه الكثير من الألعاب والدُمى مختلفة الأحجام .. جلس على السرير يقاوم النوم ويحاول أن يطرد مخاوفه، ولكن النوم سلطان سيفه على رقاب الجميع .. فأخذ يتساقط في غفواته سريعاً، ثم يستيقظ مرة أخرى محاولاً ويحاول أن يُغيّر من جلسته حتى لا ينام .. تنقلت إلى أنفه رائحة زكية للغاية لا يدري من أين أنت؟ ولكنه كان يشعر بالاسترخاء كلما تشققها أكثر .. فأخذ يرتشف منها أكثر فأكثر، وأصبح جسده مسترخياً أكثر فأكثر، فذهب برأسه إلى عالم الأحلام ..

جسدها .. وأخذت تقترب منه ببطء وهي تضحك بشدة .. فأخذ
حاتم يصرخ من داخله وهو يراها تتقدم جهته .. ثم اختفت فجأة ..



توقف المسجل، وتوقفت الأصوات التي بالصوت فجأة سكون تام
نظر حاتم مُترقبًا يخوف يحجب بعينه في أنحاء الغرفة وهو يهز جسده
بعنف يحاول أن يتحرك من مكانه فجأة وجد الذئمة أمام قدمه على
السريр، وعاد المسجل بموسيقاه الجنائزية وصوت الأصوات التي
تخرج من صور الحائط أصبح أكثر علوية ومتاعماً مع الموسيقى التي
يخرجها المذبح، والذئمة وقفت أمامه برأسها المتضخم عن جسمها،
وعلى وجهها البلاستيكي ابتسامة ثابتة شريفة وأخذت تتقدم جهته
ببطء ورأسها الكبير يتمايل يمينا تارة ويساراً تارة على نغمة الموسيقى
الجنائزية .. تقترب منه أكثر فأكثر .. وبجن جنونه أكثر فأكثر يحاول
أن يهرب فلا يستطيع .. وقفت الذئمة أمام وجهه، ونظرت إلى عينيه
وهي ما زالت تميل برأسها يمينا ويساراً، والابتسامة الكبيرة على
وجهها البلاستيكي هي التي أمام عين حاتم وفؤاده .. أصبحت الموسيقى

أكثر رعباً وتوقفت الذميمة عن الحركة، ولكنها اقتربت برأسها من وجه حاتم أكثر وبيطء شديد.. شعر حاتم بأن يده اليسرى أصبحت خفيفة قليلاً.. فحاول أن يحركها بسرعة ويحاول أن يتغلب بكل قوة، والذميمة تقترب منه، وصيحات الصور تزداد أكثر فأكثر.. بعد جهد شديد نجح حاتم في أن يزع يده من مكانها وأطبق على الذميمة بكل قوة بيده اليسرى.. وجذبها بكل قوة بعيداً عن وجهه.. فجأة فتحت الذميمة فمها وقامت بعض حاتم في سباته بقوة شديدة.. فشعر بعظام أصابعه تنحطم، فصرخ بأقصى ما لديه، وسرعان ما لم يتحمل ذلك الألم فأغمى عليه في الحال..

استيقظ حاتم فوجد نفسه في مكان واسع وكبير للغاية.. في مكان صخري غريب.. نظر حوله مندهشاً ومُرتاباً أين هو الآن.. فوجد أشخاصاً يجرون بسرعة جهته وهم يصرخون به أن يهرب.. شعر بالاضطراب، ووقف في مكانه لا يدري ماذا يفعل.. فاصطدم به الهاربون، وهم يصرخون، ويركضون بفرح.. حاول أن يقف مسرعاً وقام بالركض بينهم، وهو مدعور لا يدري أين هو؟ ومن هؤلاء؟ ولماذا يركضون هرباً ويهربون من؟.. نظر خلفه، وهو يركض فوجد شخصين لولهما يحيل إلى الرمادي يحملان سكينين كبيرين كسيفين ويركضان وراء هؤلاء الأشخاص، ومن يلحقان به بضربانه ضربة واحدة من السكين الضخم، فتارة تطير رقية هذا، وآخر يطيح بكف أحد الهاربين.. وتارة يطيح بجذع ذلك.. رأى حاتم هذا فصرخ وهو يركض بسرعة شديدة، وأصبح يدفع من يهرب حوله بقوة طلباً

للخلاص، فيسقط إثنان على الأرض فيقتلهما مطارديهما في الحال ..
 فجأة ضاق الطريق أكثر .. وتوقف الرجال الرماديان عن مطاردة
 حاتم، ورفاقه .. توقف حاتم وأخذ يلتقط بعض أنفاسه مع بعض
 الناجين المتبقين، فظهر فجأة أربعة أشخاص يركضون جهتهم والنيران
 مشتعلة بهم، وهم يصرخون ويطلبون النجدة .. ويتجهون إلى حاتم
 ورفاقه فيمسكونهم وهم يصرخون .. "الحقونا .. الننااااااااااا .."، ويصرخون
 وهم يمسكون الناجين الذين يشتعلون بدورهم .. رأى حاتم ذلك
 فأصبح يركض بكل قوة ويركض وراءه الناس المشتعلون والذين حين
 يسون أي شخص يشتعل هو الآخر، ويصرخ بشدة ويمسك بالذي
 بجواره وهلم حوا حتى اشتعل معظم الناجين، وظل حاتم ومن تبقى
 منهم يهرولون خائفين، وخلفهم يركض ورائهم المشتعلون كجبل من
 نار يطاردهم، وكلما تقدموا للأمام يضيق الطريق أكثر، وأصبح ممراً
 ضيقاً بين جبلين هو المخرج الوحيد الذي أمامهم وخلفهم الرجال
 المشتعلون .. فتوجه الجميع إلى الممر الجملي الضيق ليهربوا من
 مطاردتهم .. ليظهر فجأة شخصان يحملان معولين وحادين ويقفان على
 جانبي الممر، وعندما يقترب أي شخص يضربونه بالمعول فوق رأسه
 بقوة .. شاهد حاتم ذلك فتوقف فجأة عن الركض، فاصطدم به من
 يهرولون خلفه فسقط على الأرض .. حاول أن يقف بسرعة .. ولكنه
 وجد فجأة أحد الرجلين يرفع معوله ويضربه به بكل قوة على رأسه ..

صرخ حاتم بكل قوة فزعاً .. ونظر أمامه فوجد أنه ما زال بغرفته
 ينام على سريره، وما زال مصباح الإضاءة يصدر إضاءة خافتة،
 ويدور حول نفسه ببطء، ولكنه لم يجد الدمية وتوقفت الصور عن

الغناء ولكن ما زال المسجل يعمل ويصدر الموسيقى الجذابة، ولكنه يستطيع أن يتحرك بسهولة الآن، قفز من السرير بسرعة واتجه إلى باب الغرفة، حاول فتحه بقوة فلم يستطع، طرّق عليه كثيراً فلم يجبه أحد.. ثم فجأة وجد شئ يطرق على الباب بقوة شديدة من الجهة الأخرى طرقات غنيقة حتى كاد الباب أن يتحطم في أي لحظة منها.. فابتعد حاتم عن الباب في الحال، وأخذ يصرخ، ويصرخ دون مُجيب.. ثم سمع شخصاً يُنادي عليه بصوت أشبه بصوت الأطفال..

- حاتم..

نظر حوله فلم يجد شيئاً.. سمع صوت المسجل يصدر الموسيقى فذهب مُسرعاً وألقاه على الأرض فتحطّم وتوقف الصوت في الحال.. سمع الصوت يناديه مرة أخرى من خلفه، وشعر بشيء صغير يجري مُسرعاً.. نظر خلفه فلم ير شيئاً.. سمع الصوت مرة أخرى يضحك ويناديه..

- حاتم أنا هنا.

ذهب يبحث بالغرفة عن مصدر الصوت، ولكن تلك المرة لم يشعر بالخوف، ولكن بالفضف من ذلك الشيء الذي يسخر منه.. لَمْحَ بطرف عينيه شيئاً يختبئ أسفل السرير.. فترجّاه إليه ببطء وحذر، ونظر أسفل السرير بنفس الحذر والبطء فوجد الدمية تنظر له وتضحك بشدة..

- حاتم.....

فصرخ وابتعد مهرولاً، ولكنه فجأة وجد نفسه يُسحب أسفل السرير ووجد نفسه مُعلقاً أسفل السرير من يديه ومن قدميه مُقيّداً بشيء أشبه بالحبال ولا يستطيع الحركة .. فصرخ بأعلى صوته يُنادي على أمه وإخوته .. وركضت الدُميَّة بعيداً عنه جهة قدمه، وبدأت بعَضه بقوة وهو يصرخ من الألم ويهزُّ قدمه بقوة يحاول أن يخلص قدمه .. فركضت الدُميَّة ووقفت أمام وجهه وهي تبسم ابتسامتها الصماء ..



ونَهزُ رأسها يمينا ويساراً وتقول بصوت طفولي ..
 - حاتم .. تقدر تقول أنا مين .. لو معرفتش قول عرووروسقي ..
 ثم تركضت إلى قدمه الأخرى، وعَضَّتْهُ من أصابع قدمه ..
 فصرخ بقوة وهو ينادي على أمه وإخوته .. عادت إليه سريعاً، ووقفت أمام وجهه وهي تمايل يمينا ويساراً وهي تقول له ..

- ها .. عرفت أنا مين .. لو عرفت قول عرووسقي ..

لم يفهم حاتم ما تريده منه الدمية فصرخ بما ...

- عرووسقي .. عرووسقي ..

فذهبت أمامه الدمية وابتمت وهزت رأسها يمينا ويسارا ..

- هاها... غلط .. أنا مين .. لو معرفتش قول عرووسقي ..

- ثم تركته وركضت عند يده اليمنى، وعصتها بقوة فصرخ حاتم غاضبا ..

- عايزه مني إيه؟ .. مش عارف .. مش عارف ..

فاقتربت منه الدمية ووقفت أمامه تتمايل .. فانتبه حاتم اقترابها منه، ثم عصتها بأسنانه وهو مُقَيَّد وظلَّ يُطَبِّقُ عليها بقوة. فسمع صوت صراخها مُترجما بصوت ضحكاتها .. ضغط بأسنانه أكثر وأكثر وهو يحدثها بغل وهي بين أسنانه ..

- بتوجع .. حسيتي باللي أنا حاسس بيه؟

كان لسانه يتلمس جسد العروس البلاستيكي وهو يضغط عليه بأسنانه، فتذوق طعما غريبا بدأ يخترق فمه بقوة .. طعما نحاسيا غريبا .. ظلَّ على ذلك لحظات، ثم لم يسمع الدمية تتحدث ولم يشعر بما تتحرك، فتركها من بين أسنانه، فوجدتها وقعت على الأرض هامدة لا تتحرك، والدماء تغطي فمه وأسنانه .. فظلَّ يصبُق الدماء من فمه

بضيق، وقرق شديدتين.. لحظات ووجد الدمية تذوب بالأرض وتكون
مادة سوداء كبيرة.. صرخ في ضيق ..

- عايزين مني إيه؟ .. عايزين مني إيه؟

تحولت المادة السوداء إلى وجه كرهه أمام حاتم الذي ما زال مُقيّداً
من يديه وقدميه أسفل السرير.. وحذق الوجه بقوة في وجه حاتم
الذي صرخ.. عندما هجم الوجه الأسود عليه فجأة بأسفل السرير ..

لاح الصباح واستيقظ الجميع .. ذهبت هناء مسرعة إلى غرفة
بناتها لتوقظ حاتم، فدخلت الغرفة وجدت الدمي مُبعثرة بالغرفة،
وصور المطربين مثرقة والمسجل مُحطماً.. شعرت بالغضب وهي تتوعد
حاتم، إلا أنها صدمت عندما وقعت عيناها عليه، فلقد وجدته
مستيقظاً يجلس على السرير، عيناها حمراوان كالدماء، وأسفل عينيه
مخاطٌ بمالة سوداء كبيرة، ولونه يميل إلى الاصفرار، ويميل برأسه يمينا
ويساراً .. فحدثته بقلق ..

- ما لك يا حاتم؟.. إيه اللي حصل؟.. وعملت كده في الأوضة

ليه؟..

توقف حاتم عن إمالة رأسه، ونظر إليها ولم ينطق بحرف .. دخلت
أميرة الغرفة مسرعة فهاها ما أصاب غرفتها .. وصرخت في غضب:

- يا غار إسود .. مين اللي عمل في أوضي كده .. إنت يا سي

زفت .. مبدلت أوضي ليه ..؟

فجأة وقف حاتم على سريريه وهو ينظر إليها في غضب.. فشعرت
هنا وأميرة بالخوف من نظراته، ثم تحرك خارج الغرفة ولم يتحدث
إليهما.. تابعت هنا وهو ينصرف بقلق وحيرة.. حين صرخت فيها
أميرة..

- شفتي يا ماما.. ابنك عملي إيه في الأوضة.. علشان تخليه ينام
في أوضتي تاني.

نظرت إليها أمها بغضب، وتركتها وغادرت الغرفة.

خرج حاتم من منزله حاملاً حقيبتيه على ظهره متوجهاً إلى مدرسته
دون أن يتفكر في شيء واحد من الصباح.. وهو ذاهب إلى طريق
المدرسة رآه فتحي الشاب الصغير الذي يخرج كتته وطاقته في
زعماله بالمدرسة.. ذهب مسرعاً جهة حاتم وهو يمشي على رأسه وهو
يتسم:

- رايح فين يا ض؟؟

نظر إليه حاتم بغضب شديد.. فوضع فتحي يده على وجه حاتم ثم
دفعه بقوة فسقط حاتم على الأرض.

- إيه يلا بتبرقلي.. فاكروني هخاف منك؟؟

بدأ حاتم يصلي أصواتاً من فمه ويروم وتحس الأرض بيده فوجد
حجرًا بالقرب من يده، فأخذه سريعاً وأثبته جهة فتحي مسرعاً الذي

قابل حاتم بدورده بدفعة من يده فأوقعت حاتم أرضاً، ثم جثم على جسده سريعاً وأمسكه من ملابسه، وبدأ يسبه ويلعنه .. فعاجله حاتم بالحجر الذي في يده وضربه بكل قوة في أنفه وفمه .. فوقف فتحي متألاً والدماء تسيل بغزارة من أنفه المَحْطَم، وروضع يده على فمه فسقطت بعض أسنانه في كفه .. رأى ذلك فظل يصرخ ويبكي .. فوقف حاتم سريعاً وأعطاه ظهره وتركه وغادر في طريقه ..

أكمل حاتم يومه الدراسي بشكل عادي، وطبيعي، إلى أن جاء وقت حصة الرسم .. فتح الجميع كراسيهم أمامهم وكذلك فعل حاتم .. الذي ما إن فتح كراسه حتى شاهد شيئاً عجيماً .. فلقد وجد فتحي يقف أمامه ويجري عسراً إلى موله، ورأى أخا فتحي الأكبر يحدث فتحي بغضب، وذهب إلى أصدقائه وأخذهم ووقفوا أمام مدرسة حاتم ينتظرونه، وهم يحملون العصي وبعض الزجاجات الفارغة، ويحتبئون في أحد الأماكن القريبة من المدرسة .. ورأى أحد زملائه يقف بجوارهم ثم يتركهم ويذهب إلى حاتم يتحدث معه ثم يأخذه ويذهبان إلى الجهة المختص بها أخو فتحي وأصدقائه ويعتدون بالضرب عليه .. رأى ذلك جميعاً يحدث أمامه بشكل مُتتابع كأنه يشاهد فيلمًا أمامه، ولكنه يحدث على أوراقي كراسة الرسم .. عَلم الآن بالمؤامرة التي تُحاك ضده، وبالفعل مثلما رأى بالضغط وخذ زميله يقابله بعد المدرسة ويطلب إليه أن يأتي معه ليبادل به مجلة جديدة من مجلات مبكي .. نظر له حاتم بغل ثم ضربه برأسه على أنفه فسقط زميله متألاً والدماء تتدفق من أنفه .. نظر إليه حاتم مُبتسماً ثم تركه

وانصرف عائدًا إلى منزله .. فاستقبلته أمه بترحابٍ واهتمامٍ .. فنظر إليها حاتمٌ مُندهشًا، ثم ازداد اندهاشه أكثر عندما لم تتشاجر معه أميرة أو تُحدثه عن عبثه بغرفتها أوس .. رفض أن يدخل غرفته أو عُرفة أخيه .. إلا في وجود أمه بجواره، شعرت هناء بالخوف على حاتم، ولم تعلم ما الذي أصابه وجعله يشعر بكل ذلك الخوف؟.. فقررت ألا تُضربه مرةً أخرى لظنّها أن ما حدث له بسببها.. وتغرّق قلبها ببطء عندما رأت ظهورًا كثيفًا لبعض الشعر الأبيض في أسفل رأس حاتم الصغير، ولاحظت أنه يتحاشى الجلوس بمفرده أو دخول الحمام دون أن يقف أحد بالخارج .. حزنت، كيف تحوّل ابنها الكبير ذو الإنثى عشر عامًا إلى طفلٍ صغيرٍ مثل حسام، بل حسام الصغير لا يخاف مثله .. جلست معه بمفردها، وطلبت إليه أن يتحدث معها ..

- قول لي يا حاتم يا حبيبي .. في حد يعملك حاجة في المدرسة .. حد مضايك؟؟

نظر إليها قليلًا وهزّ رأسه نافيًا ..

- آمال إيه اللي مخوفك كده يا حبيبي؟.. إنت زعلان مني علشان ضربتك؟.. لو علشان ضربتك منزعلش مني والله ماهضربك تاني.

نظر إليها وبكى بشدة ..

- مش انت يا ماما .. مش انت!..

- آمال مين يا حبيبي اللي مخوفك كده؟.. قول لي متخافش .. مفش مخلوق هيقدر يعملك حاجة طول منا موجودة.

نظر إليها حاتم بسرعة وصرخ ..

- الأمير يا ماما.. الأمير.. خذني عنده، وبعذبني، وورائي النهارده
فتحي واخواته وهما عايزين يضربوني.

وأخذ يسرد لها ما حدث معه بشكل مُقطَّع ومُبَعَث فلم تفهم هناء
من كلامه الكثير.. نظرت إليه متشككة، وقررت أن تحاول أن ترى
بنفسها ما يحدث لابنها ..

- طيب يا حاتم حد شاف الأمير ده؟ بيظهر لحد تاني .. حد شافه
غيرك؟

هز رأسه بسرعة:

- آه يا ماما .. حسام شافه.

نادت سريعاً على حسام.. لحظات وأتى إليها حسام أجلسه
بجوارها، وأخذت تُداعب شعره بيديها وتبتسم له ..

- قولي يا حسام.. حاتم أخوك يقول إنك شفت واحد اسمه
الأمير، وقالت تقول لحاتم إنهم عايزين يقبوا صحاب.. صح الكلام
ده

هز الصغير رأسه نافيًا .. نظر له حاتم بغضب ..

- كذاب والله يا ماما .. هو شافه وقال لي والله.

- شعر حسام بالخوف واحتضن أمه بقوة.. فاحتضنته هباء
- متخافش يا حبيبي.. متخافش.. بس متكذبش على ماما ..
- لكلام اللي بيقولو حاتم اخوك حصل حقيقي؟؟
- هز رأسه بنفي .. فتابعته سريعاً ..
- آمال مين اللي عورك في رأسك طيب ..؟
- أشار حسام إلى أخيه وقال:
- حاتم .. عورني.
- شعر حاتم بالغضب الشديد وأراد أن يضرب حسام فأبعدته أمه
- مارجتا وصرخت في حاتم ..
- إيه يا حاتم هتضرب اخوك قدامي؟؟
- كذاب يا ماما .. بيكذب .. والله بيكذب ..
- نظرت له مُعَابَةً ..
- حاتم .. اخوك هيكذب عليك ليه؟
- والله كذاب يا ماما، والله كذاب.. طيب باني في أروضي
- النهارده وانتي هتشوفي بنفسك اللي بيعملوه في كل يوم!!
- خلاص أنا هنام في الأوضة النهارده، وهنيم اخوك مع اخواته
- ونشوف كلامك كذب ولا لا؟؟

نظر حاتم إليها مُتحدثاً:

- هتسوفي بنفسك .. إني مش كداب.

وبالفعل جلست أمه معه في غرفته، وظلا يتحدثان ويتسامران معظم الليل ولكن لم يحدث شيء ..

- أهه يا عم حاتم .. أدبني بابتة في أوضك أهه ولا شفتا أمر ولا غفر .. إنت بس كان بيتهالك .

- متسبش يا ماما .. هما هاييجولي لما اتام .. خلّيك قاعده جانبي علشان تصحيني ومتخلهمش بعدوني.

- حاضر يا حبيبي .. أنا جنبك أهه ومفيش مخلوق هيقربلك.

سرعان ما نام حاتم بعمق شديد، وعلا شعيره دليل على إبحاره في عالم الأحلام.. نظرت إليه هناء، وهو نائم، ثم ابتسمت ونامت على سرير الصغير حسام بملء ولم يحدث أي شيء غير طبيعي ..مرت عدة أيام، تمام هناء في غرفة حاتم كل ليلة دون أن ترى أو تشعر بشيء غير طبيعي، فتوقفت عن النوم بغرفته وسط توسلاته بالآ تتركه، وأنهم سيعاودون الظهور إليه مرة أخرى، وصرخت به والدته وطلبت إليه أن يتعامل كرجل كبير، وأن يترك أفعال الأطفال تلك وهراء الأمر ذلك، وطلبت إليه أن يكف عن قراءة مجلدات ميكي وأمثافها لأنها هي التي أدخلت إلى عقله كل ذلك الحرف والتخيلات الحمقاء، وفي نفس اليوم نام حاتم بمفرده، وبدأت الحفلة اليومية

المعتادة معه وهو يواصل صرخاته وتوسلاته بائيل، وبالنهار يحكي والدته ما يحدث معه ولا تُصدِّقه، وبدأت تواصل ضربه مرة أخرى إذا ذكر لها ما يحدث معه لأنه يُشعرُ أطفالها الصغار بالخوف من حادِثه.

بدأ حاتم ينقلب على نفسه ولا يتحدث مع أحد في الأسرة كلها، بدأت حالته تسوء يوماً بعد يوم .. فعرضته أمه على بعض الأطباء، لكنهم لم يجدوه يشتكي من أي مرض، ويمكن أن يكون ما يحدث له سبب نفسي وأنه يريد أن قُتْمَ به أمه أكثر، ويريد أن يلفت له الأنظار ..

ظَلَّت الأمور مع حاتم تسير من سيئ إلى أسوأ، فهو دائم الشجار مع إخوته، وبالمدرسة فُصِّلَ أكثر من مرة لتعديده الدائم على زملائه، وأصبح شبه منعزل بغرفته لا يحدثُ أحدٌ ولا يكاد يأكل .. رأت أمه ما يحدث له، ولم تعلم ماذا تفعل معه؟ .. فهداها تفكيرها في يوم من الأيام أن تدعو أختها وزوجها وأولادها من القرية لعل وجود أشخاص آخرين في حياته يُخرِجُه من حالته تلك .. وبالفعل أتى إلى موطنهم خالته وزوجها وأولادها، وتجمَّعوا جميعاً حوله، وبعضهم نام معه في غرفته، وبدأ حاتم يشعر بالتحسن واختفى زوار الليل من القُدم إليه .. ظل الوضع كذلك حتى تلك الليلة .. عندها أغلقوا الأنوار والتفَّ الجميع حول التلفاز في غرفة المعيشة يشاهدون مسرحية سيدتي الجميلة .. وتعلو ضحكاتهم على كلمات شوبيكار وهي تقول .. "أنت الكلب الكبير" .. ضحك حاتم بشدة .. ضحكات

لم يشعر بها من داخله منذ مدة كبيرة للغاية.. عدة دقائق وسرع حاتم صوت شخص يبحث بمقبض باب المنزل الذي أمامه غرفة المعيشة.. نظر حاتم حوله فوجد الجميع منغمسين بمشاهدة المسرحية ولم يشعروا بشيء يحدث.. فتابع ما يحدث بقلبي شديد فوجد مقبض باب المنزل يتحرك بشدة.. شعر حاتم بالخوف ولكنه شعر بالفرح أيضًا لأن ما سيحدث الآن سوف يراه الجميع، ويصدقونه بعد أن كانوا يكذبونه، فجلس في صمت يُتابع ما يحدث دون أن يخبرهم.. فجأة اهتز باب المنزل بشدة وبُعثَ وظهر صوت طرْق قوي للغاية على الباب.. نظر حاتم مُضطربًا إلى الجميع فوجدهم لا يعيرون للأمر اهتمامًا، فشعر بالاندهاش.. بعد قليل توقّف الطرْق على الباب.. وفجأة احترقت بسرعة يد الباب وكسرت من أعلى بقوة.. وظهر جزء من اليد من الكف حتى الكف وعليها شعر أسود طويل، وبدأت اليد تتحسّس الباب بحثًا عن مقبضه.. نظر حاتم بخوف إلى ما يُشاهده والاندهاش ألا يعبر أحد ما يحدث أيّ اهتمام.. فصرخ فيهم..

- بصوا على الباب.

فنظر الجميع إليه.. وأمرأة ابتسمت..

- ماله الباب؟

فصرخ فيهم حاتم..

- الباب.. حد كسر الباب عايز يخش.

نظر الجميع جهة الباب بفضول ولم يروا شيئًا.. وجد حاتم أن اليد بدأت تبحث عن المقبض بشكل أسرع.. فهبّ واقفًا وهو يُشير إلى الباب..

- أمه .. أيد هناك .. أمه في الباب عابزه تفتحه.

تقدّمت أميرة جهة الباب ووقفت أمامه قليلاً ثم ابتسمت:

- مقيش حاجة يا حاتم .. أمه.

نظرت هناء إلى أختها وحدثها بصديق:

- شفيق .. زي ماقلتلك ..

نظرت أختها إلى حاتم بأسى ..

- يا يحيى يا ضناها.

شعر حاتم بالإهانة من كلام أمه وبخالته .. فصرخ فبهمت:

- إنيتم كلكنم عميرو .. مش شايفين اللي بيحصل؟ ..

ثم جرى مسرعاً جهة الباب، فسحبت اليد نفسها بسرعة من الباب واختفت .. ووقف حاتم أمام الباب يشعر بالغضب، فنظر خلفه فوجدهم جميعاً ينظرون إليه ينظرات الأسي والحزن ونادى عليه حامد زوج خالته:

- تعالى اقعد جني هنا يا حاتم .. تعالى تنفوج على المسرحية مع بعض.

نظر حاتم إليه بصديق وأراد أن ينصرف، ولكنه شعر بالخوف، ففصل أن يجلس معهم ثم اتجه بجوار أمه وجلس يتابع المسرحية .. فجأة اهتز الباب بقوة شديدة .. فمزع حاتم ونظر إليه الجميع مرتابين

مرة أخرى يضرب الباب بشدة ثم ينخلع بقوة ويسقط على الأرض ويدخل من الباب شيء أسود لجسد علوي لشخص مُخيف يمشي على يديه بسرعة ويتجه إلى حاتم سريعاً.. فيصرخ حاتم عندما يشاهده ويُشير إليه فينظر الجميع إلى ما يشير إليه فلا يجدون شيئاً أمامهم، وفجأة يشرب الكائن من حاتم ويطارده وحاتم يهرب مبتعداً عنه، والجميع ينظر إلى حاتم بخوف وقلبي وهم يحدثونه ويحاولون تهدئته، فهم يرون من وجهة نظرهم حاتم قد قفز من مكانه فجأة وهو خائف، وأخذ يركض باتجاه الغرفة.. قفز عليه حامد وأمسك حاتم واحتضنه وهو يطمئنه ..

- مالك يا حاتم .. متخافش في إيه؟ .. اهدي.

أشار حاتم إلى الكائن الذي توقف عن مطاردته، وظل ينظر إليه فقط ..

- واقف هنا.. هناك.. بيصلي أهه.. انتم مش شايفينه .. ؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض.. ثم بدأ حاتم يأخذ الأثاث ويلقيه على الأرض أمامهم وهو يصرخ ..

- انتم مش شايفينوا .. إزاي؟ واقف هناك أهه ..!

وبدا الأطفال بالصرخ خوفاً لما يفعله حاتم، فاخذه حامد سريعاً ودخل به إلى غرفته وحاول تهدئته.

ظل حامد بجوار حاتم إلى أن نام، ثم تركه في الغرفة وانصرف إلى الجميع بالخارج وهو يضرب كفاً بكفٍّ ..

- يا حول الله .. يا حول الله .. الواد يا عيني تعبان خالص.

أخذت هناء تيكى بشدة وأختها تحتضنها وهي تصرخ في أظفارهم:

- يلا.. كلكم خشو نامو.. يلا.. إطفي التلفزيون يا حامد ونيهم.

فروض الجميع إلى كلامها وانصرفوا إلى غرفهم بعدما أغلق حامد التلفاز .. احتضنت أسماء أختها وربت على كفتها ..

استيقظ حاتم في الصباح على صراخ أخته حنان.. ذهب مُسرعا إلى غرفتها ليجد فتحي الفقى المنتمر البدين يقف أمامها وهي تيكى .. ذهب حاتم إليه غاضباً، وضربه بكل قوته فسقط فتحي على الأرض وجلس حاتم سريعاً على جسده وضربه بكل قوة وعنف وهو يصرخ فيه أنه سوف يقتله لأنه يؤذي أخته الصغيرة التي حاولت أن تخلص فتحي من يديه وهي تيكى، وجاءت أمه وحاولت أن تخلصه من يديه فلم تستطع، وأمسكت خائنه به بقوة وهي تصرخ فيه أن يترك فتحي، ولكنه دفعها بقوة بعيداً عنه، وبدأ يكيّل الضرب إلى فتحي الذي امتلأ وجهه بالدماء .. فجأةً أمسك به حامد زوج خائنه بكل قوة وأوقفه بعيداً عن فتحي وهو يسبه ويكيّل له اللعنات.. ذهبت إليه أمه وصغته بشدة.. نظر إليهم حاتم غاضباً لدفاعهم عن فتحي الذي أبكى أخته الصغيرة ..

- بتضربيني ليه؟.. بدافعو عنه ليه؟ ده ضرب حنان אחتي .. أنا لازم أموته.

صرخت أمه ليه، وهي مُره بقوة ..

- فتحي مين؟ .. إنت ضربت ابن خالتك.

نظر حاتم إلى فتحي مرة أخرى، فوجده ليس فتحي، وإنما ابن خالته يسقط على الأرض والدماء تملأ وجهه، وخالته تنظر إليه وهي تبكي وتمسح وجه ابنتها المصاب، وحامد (أبوه) ينظر إليه وهو يعرض على أسنانه.. ثم صرخ في زوجته ..

- إنت يا ست إنت .. خدي العيال وبلا تغور من هنا .. علي الطلاق منا بايت هنا تاني.

ثم تركها وخرج إلى خارج الغرفة غاضباً .. فنظرت هناء إلى حاتم بضيق ثم تبعت زوج أختها تحاول أن تهدئه قليلاً.. جلس حاتم في غرفته .. وسمع خالته وزوجها وهما يصيان حمام غضبهما على أمه ثم يوحلون وهم يغلغلون الباب بقوة.. سمع أمه وهي تبكي بالخارج وتصرخ:

- ليه بس كده يا ربي؟.. أنا عملت إيه لكل ده؟

هنا شعر حاتم بالغضب الشديد، وأغلق على نفسه غرفته، وأغلق أنوارها وهو ينتظر زوار الليل اليوم على أحر من الجمر.

وبالفعل عندما دقَّت الساعة 12 مساءً وجد حاتم باب الغرفة
متَّحٍ ببطء ثم يُغلَق بسرعة وبقوة شديدة.. جثث حاتم لحظات، ولكنه
سَمِعَ القوة، ولم يتحرك من مكانه.. ثم فجأة وجد 4 ظلال ترتفع
من الأرض بكل بطء، وبهم عيون حمراء تنظر إليه وهي ترتفع أمامه..
خلع قلبه من مكانه وكاد أن يغشى عليه من مشاهدتهم، ولكنه
ماضى أعينهم ونظر للأسفل، وتوقَّف أمامهم، ثم صرخ فيه واحدٌ
بهم..

- إنت خايف؟؟

دقَّ قلبُ حاتم بشدة وبسرعة شديدة.. ثم هزَّ رأسه ناقيًا..
فجأة وجد وجه واحد منهم أمامه وهو ينظر إليه بعينه المرعبتين..
كاد حاتم أن يصرخ، ولكنه أغمض عينيه وحذَّته..
- مش خايف.

لحظات قليلة لم يسمع من خلالها شيئاً، ففتَح عينيه فوجد نفسه في
حديقة بيضاء واسعة والرجال الأربعة يرتدون العباءات السوداء التي
آهم سابقاً يقفون أمامه وجميعهم ينحنون إليه ويشيرون بيدهم إلى
لأمام.. فوجد كرسي عرش كبيراً أمامه، وشخص يجلس عليه.. فنظر
حاتم إلى الأرض وهو يتفكَّر ببطء ليقف أمامه.. فسمع صوتاً قوياً،
لكن غير مُخيف يُحدِّثه..

- ارفع راسك يا حاتم.. متخافش

رَفَعَ حاتم نظره فوجد شخصاً يرتدي ملابس مُزركشة ومُنمقة
ومُحلاة بالذهب والجواهر هو وكُرسيه المصنوع بشكلٍ غريبٍ على
هيئة كائنات غريبة يتصارع بعضها مع بعضٍ .. وملائحه وسمته، عيناه
زرقاوان، وشعره يميل إلى الصُّفرة، ويرتدي تاجاً على رأسه .. ينظر
إليه ويتسمم ..

- أنت عارف أنا مين؟ يا حاتم؟

- أيوه .. أنت الأمير.

ابتسم الأمير ..

- أيوه أنا الأمير، وبنفس الوقت صديقك .. بس برضو مجاوبتيش ..

أنت عارف أنا مين؟

هزَّ حاتم رأسه بالإيجاب .. أمسك الأمير بسكين في يده اليسرى:

- طالما عارف أنا مين أمان كنت حاطط دي في هدومك ليه ؟

ارتبك حاتم وهو يبحث داخل ملابسه .. ونظر إلى الأمير بقلق ..

فابتسم له الأمير ..

- أنت لو عارف كويس أنا مين .. تبقى عارف إنه عمرك ما تقدر

تغلب حاجة عليّ .. ولا عمرك تقدر تاذيني .

نظر حاتم له بضيق ..

- إنت عايز مني إيه؟

- زي مافلتلك بقي صاحب.

- واللي عايز يصاحب حد يخوفه؟!

اجتمع بسخرية :

- يخوفه.. إنت فاكرو إني كده بخوفك.. أنا كنت بجهزك نفسيًا
عابليتي.. أنا لو عايز أخوفك.. ولأ يلاش أقولك علشان متخافش،
عمومًا أنا هاعوضك عن كل اللي فات.. زي مانت شفت أنا أقدر
حقق لك أي حاجة إنت عايزها.. تحبك أي بنت إنت عايزها..
جملك أي حاجة نفسك فيها .. أي شيء تتمناه يتحقق فورًا.

- اسمعنى اخترتني أنا يا أمير ؟

- تقدر تاديلي باسمي.. سيسيل.. إحنا صحاب دلوقتي.. واخترتك
به إنت بالذات.. هيسطلك الموضوع وهقولك لك بالتفصيل.. إحنا
بترككم.. أنا عايش بقالي كثير.. كثير قوي.. أكثر مما تتخيل ونتيجة
كده جسمنا يبدأ بضعف ومبتقدرش نبقى عندكم في العالم بناحكم ..
لشأن كده لازم يبقى ليك صاحب تعمل معاه عهد.. العهد ده
يخليني أقدر اساعدك.. أنفذك كل اللي إنت عايزه في مقابل إن
حنا نعيش مع بعض، وطبعًا مش أي حد يقدر عندنا يقدر يعمل
كده.. لازم يكون في شروط معينه.. والشروط دي لحظتك الخلو ..
ناسيني أنا ريس .. فهمت؟؟

حاتم بحدة ..

- أيوه ..

- طيب نفسك في إيه وأنا أحققهولك حاتًا.

- نفسي تسيبوني في حالي .. أنا مش عايز أبقي صاحبكم.

نظر سمسيل له بغضب ..

- أنا قولتلك يا حاتم قبل كده .. إن الأمير سمسيل مايتقالوش لأ

ووقف فجأة من مكانه .. فذعر حاتم، وسقط على الأرض نظر
إليه سمسيل قليلًا ثم جلس في مكانه:

- إنت لسه صغير يا حاتم، ومش فاهم الدنيا دي إيه، وأنا أفكر
أفيدك فيها إزاي .. عامة العهد ما بينا لازم يكون بروضك مش غضب
عنك أنا هاسيك براحتك، ومش هعملك حاجه تاني، وكده كده ..
أنا واثق إنك هتحلي بس إعمل حسابك أنا عرضت عليك العهد
بشروطك .. بعد كده العهد اللي ما بينا هابقي بشروطي أنا

يفرك سمسيل إصبعيه ليحتفي من أمامه حاتم في الحال ..

تحدث كبير الشيوخ بوقار:

- مولاي الأمير .. هاتسب حاتم .. هتتحلي عنه بسهولة كده؟؟

نظر سمسيل إليه بحدة ..

- أنا عايزه يعمل العهد اللي ما بينا برضاه مش غصب عنه.. أنا
 مش عايزه يكرهني.. أنا عايزه يكره البشر، والسنين الطويلة اللي
 عشتها علمتني.. إن أفضل شيء يخليك تكره البشر.. إنك تعيش
 بينهم.."

استيقظ حاتم ليجد نفسه بغرفته.. نظر حوله بحذر باحثاً عن أي
 شيء غريب، وغير طبيعي فلم يجد.. جلس على سريره مُرتقباً يفكر
 في الحديث الذي دار بينه وبين الأمير سيسيل، ويتساءل: هل ستركه
 فعلاً يعيش بسلام أم أنه كان يكذب عليه؟.. ظل يفكر طويلاً، ثم بدا
 يشعر بالثعاس، فنام بعمق وراح بال.

مضت عدة أيام منذ أن قابل حاتم سيسيل ولم يحدث شيء يُعكّر
 صفو باله.. فحياته أصبحت عادية للغاية، وبدأ يفتح على أهله مرة
 وهو فرح بأن سيسيل يحافظ على وعده معه.. كانت أمه تُراقب
 التحسن الذي ظهر على حاتم بقلق وارتباب، وتتمنى أن يكون قد
 شفي بما قد حل به من قبل.. وأصبح أخوه الصغير ينام في غرفته مع
 حاتم مرة أخرى، وبدأت الحياة تعود إلى طبيعتها.. وظلت الأمور
 كذلك حتى ذات يوم حلّ المساء، وبدأ الجميع يذهب إلى غرف
 نومهم.. وذهبت أميرة وأختها حنان للنوم في غرفتهما.. فخلدت
 أميرة للنوم سريعاً، ولكنها شعرت بشيء يسحب الغطاء عن
 جسدها، وهي نائمة.. فسحبت الغطاء مرة أخرى عليها.. ظل ذلك
 الأمر طوّل الليل حتى استيقظت في ضيق، ونظرت حولها فلم تجد
 شيئاً.. اتجهت إلى أختها حنان وأيقظتها.

فاستيقظت حنان بضيق ..

- سيبني يا أميرة عايزه أناام.

فحدثتها أميرة بعدة ..

- بتشدي من علي البطانية ليه وأنا نائمة ..؟

فنامت حنان على جانبها وهي تتجاهل أميرة ..

- بطانية إيه بقى سيبني أناام ..

نظرت إليها أميرة متشككة ثم عادت إلى نومها مرة أخرى وأحكمت الغطاء عليها. استيقظت بالصباح وقامت بإحضار ملابسها من خزانها استعداداً لاستحمامها اليومي .. نظرت في خزانها طويلاً ثم أخذت تبحث عن شيء بالخزانة ولم تجده .. فذهبت مسرعة إلى غرفة أمها ..

- ماما .. يا ماما.

نظرت أمها إليها بضيق ..

- أبوه يا ست أميرة .. عايزه إيه على الصبح ..؟

- في حاجات من هدرمي مش لافياها ..؟

- دورري عليها كويس .. يكون هنا ولا هنا.

- دَوَّرت يا عماما، ومش لاقياها، والموضوع ده مش أول مرة بحصل .. كل شوية حاجة من عندي تختفي.

- يا بنتي دورى كومس .. يعنى هايكولو فين .. أحتك الصغيرة مبتلبسش مفاسك.

تركتها أميرة وذهبت إلى غرفتها بضيق ..

في مساء تلك الليلة نامت أميرة بعمق .. لتفاجأ بشيء يرفع ملابسها ويكشفها .. استيقظت بفزع وبحتت عمن يفعل ذلك، فوجدت باب غرفتها قد أغلق بسرعة.

قفزت أميرة من مكانها وذهبت إلى خارج غرفتها، وظلت تبحث عن وجود أي شخص فلم تجد .. توجهت إلى المطبخ والحمام وغرفة أمها، ووجدتها نائمة .. فدخلت إلى غرفة الصبية وفتحتها لتجد حاتم مستيقظاً يقرأ في إحدى الغلات .. فنظرت إليه برية وحادثته ..

- إنت صاحي ليه لغايه دلوقتي يا حاتم؟

حاتم نظر إليها بضيق:

- وإنني مالك .. إقفلني الباب وامشي.

أغلقت الباب وهي تشعر بشعور غريب، ولكنها ذهبت إلى غرفتها واستكملت نومها .. فتشعرت بشخص يُراقبها فتحت عينها ببطء، ونظرت إلى مَنْ يُراقبها فوجدت حاتم يقف على باب الغرفة

ينظر إليها .. فاستيقظت سريعاً وخرجت بسرعة تبحث عنه خارج غرفتها، فلم تجده، ثم اتجهت إلى غرفته وفحتها .. فوجدت حاتم نائماً بعمق والجلّة بجواره على السرير.. نظرت إليه مُتَحِيرَةً، ثم أغلقت الباب، ودلفت إلى غرفتها وجلست على سريرها تفكر بقلق..

في اليوم التالي ظَلَّت تُراقِبُ حاتم وأفعاله، فلم تجده يفعل أي شيء غريب عما كان يفعله من قبل، وتَحَاشَت الحديث إليه وسؤاله عما حَدَثَ مساء أمس ذلك اليوم .. نامت أميرة بسريرها ولكنها شعرت أن هناك مَنْ يتكشّف ملابسه، فلم تتحرك وتَصَنَّعت أنها نائمة.. ولكن فجأةً بدأ شخص يتحسّس جسدها فاستيقظت على الفور.. فلم تجد أحداً، فجلست على سريرها وهي تُعدِّلُ ملابسها، واحتضت قدميها وبدأت تكي ..

استيقظ حاتم وجهاز ملابسه، وجلس يتناول هو، وإخوته طعام الإفطار، ولكنه لاحظ انفراد أخته أميرة بأمه أمام المائدة، وظلت تمسّ لها في أذنها وفجأةً نظرت إليه أمه وهي مصدومة.. نظر إليها حاتم مندهشاً من فعلهما، وتركهما وخرج إلى مدرسته، وهو يشاهدهما ترمقانه بنظرات غريبة عند مغادرته ..

عندما غادر ذهبت أمه وأميرة إلى غرفته، وفَتَشَتَا غرفته، ونظرت أمه أسفل سريرها فوجدت قطعةً من ملابس أميرة الداخلية، فنظرت إليها ولم تتحدث ..

الصُّدْمَة

جلس حاتم في غرفته فدخلت عليه أمه .. فحدثتها بابتسامة:

- إيه يا ماما .. إنني كنتي فين؟! .. أنا جيت ملقكتكيش!

فابتسمت له بحزن.

- كنت في مشوار مهم يا حبيبي.

وظلت تنظر له لحظات وعيناها مغروورتان بالدموع ..

- أنا عايزاك تعرف يا حاتم إن مهما حصل أنا بحبك.

ثم تركت الغرفة وركضت مسرعة.

شعر حاتم بالاندهاش من فعلها، ولكن تفكيره لم يهده إلى شيء.

في اليوم التالي عاد من مدرسته لوجد أمه تجهز الغداء على المائدة،

ووضعت عليها جميع الأصناف التي يحبها، فشعر بالفرح الشديد ..

وشكرها وقبلها وهو يشعر بالسعادة.. جلس الجميع يأكل في ثم
وانتهوا من الغداء، ثم أحضرت أمهم بعض الحلوى التي أكلها حاتم
بسرور.. ظل حاتم يأكل في ثم وهو مستعجباً من فعل أمه.. لقد
قامت بإعداد جميع الطعام والحلوى الشجية إليه فجأة، وهذا شيء
غريب.. مَرَّت لحظات، وسمع جرس الباب يؤن.. ذهبت أميرة بسرعة
للتفتح، وجلست أمها تشاهدها.. فدخل من الباب رجل يرتدي بدله
أنفقه سوداء، وبجواره شخصان يرتديان معطفين أبيضين، وقبعين
بيضاوين، وتقف أمامهما أميرة.. نظر حاتم إلى الموقف مندهشاً، ثم
نظر إلى أمه، وحادثها باندھاش ..

- مين دول يا ماما؟

تقدّم أحدهم، وأشار إلى الرجلين خلفه جهة حاتم فذهبا مُسرعين
إلى حاتم، وأمسكاه بقوة، فصرخ حاتم في أمه مُندهشاً ..

- مين دول يا ماما؟.. في إيه ؟

فبكت أمه وهي تنظر إليه وأميرة احتضنت أخويها الصغيرين..
فصرخ حاتم وهما يلبسانه قميصاً أبيض بكمين كبيرين، ويُقيدان
حركته بذلك القميص، وحاتم يصرخ ..

- ماما.. ردي عليّ يا ماما .. ماما .. إلحقيني يا ماما.

ظلت أمه تبكي وهي تراقبهم يسحبونه بعيداً وهو يرتدي القميص الأبيض الفضفاض.

- أنا آسفة يا حبيبي.. أنا آسفة.. كل ده علشان خاطرك.

صرخ حاتم بحرقه شديدة، وهم يسحبونه على درجات السلم، وأمه تبكي خلفه، وهي تجمعهم، والجيران يذووا يفتحون أبوابهم وينظرون إلى الموقف مندهشين

قام الممرضون بسحب حاتم في ممرات مستشفى الأمراض العقلية، وأمه تركض وراءه، وهي تبكي، وحاتم يصرخ لها مستغيثاً..

- ماما.. متسبتيش.. أنا عملت إيه يا ماما.. خلاص يا ماما، والله ماهعمل حاجة تضايقك.

أدخلوه إحدى الغرف ودخل الممرضون إليها، ومنع الطبيب هناك من أن تدخل معه، وظلت هناك تراقبه من خلف العرفة وتسمعه وهو يصرخ ويستنجد بها.. فبكت وتوسلت للطبيب:

- أرجوك يا دكتور ما ينفعش نعالجه في البيت؟

رد الطبيب في ضيق..

- يا مدام.. كل الأعراض اللي حكيلي عنها امبارح دي أعراض فصام، والحالة اللي وصلها حاتم دلوقتي أصححت خطر عليه وعلى

اللى حواليه، انتي نسيقي عمل إيه لأخوه وابن خالته وآخر حاجة
الموضوع المشين بناع أخته.. هنا في المستشفى هيلاقى كل الرعاية
اللازمة له.. حضرتك تقدرى تفضلتي دلوقتي وتسيي الولد في رعايتنا.
نظرت إليه بحزن ثم قطعت الممر إلى خارج المشفى وهي تنظر
خلفها كثيراً باكبة، وعادت إلى منزلها واحتضنت أطفالها وهي تبكي
بحزن ..

المجننون

مستشفى المجانين.. لا تدع الاسم يخدعك.. لن نجد هنا إسماعيل يس.. أو نابليون معه الأرنب، والبطّة أو ليرون وهو يبحث عن ولاعته.. لا.. لن نجد ضحكات هنا مثلما كانت تصور لك السينما ذلك.. فهذا المكان لا تجرؤ أن تقترب منه الضحكات.. أو تنسل إليه السعادة.. فالكأبة جاثمة فوقه.. منتشرة بأرجائه..

هنا لن نجد بشرًا.. بل أشباه بشر.. أمواتًا ساترين.. نعم يأكلون، ويشربون، ولكن لا يجب أن تكون لديك روح لكي تكون حيًا.. فكم من أموات يحيون بين قلوبنا وعقولنا دائمًا! وكم من أحياء لا نتذكر وجودهم.. ولدوا وفنوا مثل كثير غيرهم.. لكنهم لم يبرزوا ما بين المئة مليار شخص الذين عمروا هذه الأرض منذ بدء الخليقة.. نعم جمع من عاشوا قد ماتوا.. ولكن ليس جميع من مات قد عاش.. وهذا حال جميع المرضى الموجودين بالمشفى هنا الآن وبالمستقبل أيضًا.. فهنا نجد جميع فئات المجتمع من الأمير إلى الفقير.. لا شيء

بجمعهم في التعليم أو المستوى الاجتماعي غير شيء واحد، إنه ذهاب عقولهم، ولكن ذلك من وجهة نظرنا فقط.. فمن وجهة نظرهم نحن من فقدوا عقولهم، ولهم في ذلك وجهة نظر عندما تنظر إليه من نظرة موضوعية غير متحيزة.. فنحن نعت بالجنون كل من لديه تفكير مختلف عنا.. رأي مخالف لجماعتنا.. رؤية جديدة لحياتنا.. ماذا لو قابلك شخص وقال لك.. نابليون ليس قائداً عسكرياً عظيماً بل هو حرامي غسيل؟.. ماذا سيكون رأيك؟.. ستقول: إنه مجنون.. إن نابليون هو قائد عظيم بالفعل وتوجد له تكتيكات عسكرية كثيرة ومنها ما وُضِعَ بالشرط.. حسناً من قال لك ذلك؟.. من؟.. الأهل؟.. المدرسة؟.. أم التلفاز؟.. حسناً جميعهم.. لكن من قال لهم؟.. من أخبرهم؟.. هل عايشوا نابليون هذا؟.. بالطبع لا.. إذاً من أين لهم بتلك الأخبار؟.. الإجابة واضحة.. من التاريخ بالطبع.. جيد.. من وضع هذا التاريخ؟ اليسوا أناساً مثلنا.. نعم مثلنا.. إذا يأكلون ويشربون ويحفظون مثلنا.. نعم.. هم مثلنا، ولكنهم لا يخطئون.. لماذا لا يخطئون؟.. فلنضع مثلاً لك أنت.. هل أخطأ شخص من قبل بك وفسر سلوكك تفسيراً غير صحيح؟

نعم حدث معي، وفسرت أنت سلوكك لمن حولك وأقنعتهم أنهم يخطئون.. إذا سيصدقونك لأنهم يعلمون من أنت، وما هي طابعك، وأن من نشر هذه الأخبار الخاطئة، والإشاعات تلك حافد عليك.. حسناً ما الحال إذا نشر أحقاد هذا الحافد هذه المعلومات الخاطئة عنك؟.. من سيدافع عنك حينها؟

لم أقتنع بكلامك .. حسنًا .. من هو محمد علي باشا؟ .. إنه حسب كتب تاريخنا مؤسس مصر الحديثة .. هل تعلم أنه انقلب على من ساعدوه على الوصول إلى حُكْم مصر؟ .. هل تعلم أنه وعد المماليك بالأمان ثم خائهم وقتلهم جميعًا في مذبحه كبيرة؟ .. هل تعلم أنه منع تقوية الجيش المصري وخفض عدد جنوده لكي يستمر في حكم مصر هو وأولاده؟ .. هل تعلم أنه أصيب بالجنون، وأولاده قد خلعوه من الحكم ليحكموا هم من بعده؟

حسنًا هذه الأشياء لن تجدوها في الكتب الدراسية .. لا لم أقتنع بكلامك .. مَنْ يُدرِّن التاريخ هم علماء، والعلماء لا يخطئون .

نعم فعلاً .. العلماء لا يخطئون .. حسنًا .. ما أخيار نظرية تفسير الأحلام لسيجموند فرويد؟ .. نظرية النسبية لأينشتاين؟ .. نظرية التطور لدارون التي يؤمن بها معظم علماء العالم ويفسرون معظم النظريات من خلالها؟ .. فلننظر إلى كم النظريات العلمية التي يُكتشف أخطاءها كل يوم .. حسنًا .. أتريد أن تشككني في العلم نفسه؟ .. إذا أنت مجنون ..

نعم .. هذا هو الجنون .. ولكن ليس هذا ما حدث لمعظم زوار هذا المكان .. فمنهم من كان مجنونًا بسبب حُبّه، ومنهم من كان مجنونًا بسبب طموحه .. ومنهم من كان مجنونًا بسبب ثروته .. ومنهم من كان مجنونًا بسبب آرائه السياسية .. ومنهم مَنْ ليس لديه مكان آخر ليذهب إليه .. اختلفت الأسباب لوجودهم، ولكنهم جميعهم الخون والتسيان ..

لم يلحظ حاتم لأوامر الأطباء ولا لتهديدهم له بالويل. والوعيد، وظل يصرخ ويقاوم حتى بعد أن حققوه بالمهديء الذي لم يفعل أي شيء لإيقاف هياج حاتم الشديد الذي عبّر عنه بضربة من قدمه في صدر الطبيب الذي أخذ يتألم بشدة.. ثم نظر له نظرة غاضبة ثم هز رأسه للممرض الذي هز رأسه هو الآخر، وتركهم الطبيب وغادر، وسحب الممرض حاتم بمساعدة زملائه وتوجهوا إلى ممر كبير وطويل به غرف كثيرة وأدخلوه إحدى هذه الغرف، فوجد الطبيب يقف أمامه وينظر له بحقد.. "أنا ها علمك الأدب، وإزاي تحترمني كويس، ثم أمر الممرضين بأن يخلعوا ملابس حاتم، فخلعوا الجزء العلوي من ملابسه وهو يصرخ، ثم وضعوه على منضدة في وسط الغرفة بجوارها جهاز إلكتروني كبير، وقبّده على المنضدة بقيود جلدية قوية لم يستطع حاتم منها الحركة.. ثم سحبوا حذاءه من قدمه، ووضعوا شيئاً بلاستيكيّاً في فمه وهو يحاول أن يقاوم ولا يستطيع، ثم وضعوا مادة سائلة على جانبي جبهته من أعلى، ثم وضعوا جهازاً كبيراً أشبه بسماعات الأذن على جانبي جبهته، ونظر إليه الطبيب، ثم ابتسم وأدار مفتاحاً بجواره على الجهاز الإلكتروني، ثم أدار مفتاحاً آخر بجواره على جهاز أشبه ببطارية السيارة فأخرج قوة كهربائية شديدة مرت من خلال رأس حاتم الذي انفضت بقوة وهو يعص على المادة البلاستيكية بفمه.. حاول أن يصرخ فلم يستطع.. ثم فجأة دلفت ذكريات غريبة في رأسه.. ذكريات لم يكن يتذكرها قط في حياته..

صور وأحلام ومواقف مخلطة بذاكرته.. جميعها ظهرت في رأسه في تلك اللحظة.. أغلق الطبيب المفتاح بجواره فتوقفت الكهرباء.. ولكن لم يتوقف الألم الذي شعر به حاتم، وظل يصرخ بداخل نفسه من الألم.. لحظات ثم أدار الطبيب المفتاح مرة أخرى.. فمرت في مُحيلة حاتم الكثير من الذكريات مرة أخرى.. صورة له وهو يرسم قوس قزح على الحائط ووالده وأمه يضحكان أمامه، ثم صورة للذئبة وهي تقف أمام رأسه وتمايل برأسها يمينا ويسارا.. نظرة أمه له والمريضون يسحبونه أمامها وهو يصرخ أن تنقذه وهي تكتمني بأن تراقبه وهي تبكي.. صابر وهو يقف بجوار حقل القصب يرمقه بالظلام، وهو يتسمم هو والوالد حائل عندما يهربون ويطاردهم صاحب شجر التوت، وهو صغير والوالد يصنع مع أمه القطار ويصرخ توت توت.. والده يضربه وهو يسهه وينعته بالفشل.. سينتقل حاتم أمامه وينظر له بغضب.. أميرة أخته تنظر له بشفقة وهي تحتضن حسام، وحنان.. بحر الألم في جميع جسده.. يشعر بأعصابه تنفجر.. يموت في اللحظة مئة مرة.. يضحك.. يبكي.. يتور.. يشعر بالحنان.. آلاف الذكريات تصحها آلاف المشاعر المتضاربة.. آلام جسده متشابكة مع آلام عقله.. ثم هدوووو..

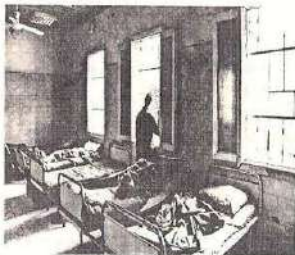
أسبوع مرّ على حاتم في هذا المستشفى يعاني الجحيم كل يوم أثناء
جلساته الكهربائية، والتي إن حاول أن يرفضها وقاوم.. يجعله الطبيب
يعمر بها ٣ مرات يوميًا.. تعلّم هنا.. أن يكون مُطيعًا، ويتعاضى عن
أي شيء يقولونه أو يفعلونه له.. أن يتحمل الألم والإيذاء ويصبر عليه
فترة أفضل من أن يُغضب الطبيب والممرضين الذين لهم اليد العليا
هنا.. فهم الأناس الوحيدون بهذا المكان الذين ما زالوا محافظين على
عقوفهم، ولكن بالفعل لا يوجد أحد سيظل بعقله في هذا المكان..
فإنك إذا حدثت بالجحيم فسوف يحدق بك الجحيم.. فماذا سيحدث
إذا صاحبت الجنون؟، وأصبح لديك سلطة على أشخاص تفعل بهم ما
تشاء دون أن يحاسبك أحد؟، ولماذا؟ لأنه مجنون.. من مُصدق
مجنونًا؟.. رأى حاتم بعينه عشرات الانتهاكات اليومية التي تحدث له
وللمجانين أمثاله، ولم ينطق ببنت شفة.. رأى ذات يوم أحد الممرضين
وهو يتبول على أحد المرضى ويطلب إليه بعد ذلك أن ينظف الأرض
بلسانه، ورأى إحدى الممرضات اليدنيات القبيحات تمارس الجنس مع
شاب صغير في السرير الذي بجواره، ورأى ثلاث جنث تخرج من
غرفة جهاز الصدمات الكهربائية قبل أن يدخل واحد من الممرضين
ويساوم الخاتوني الذي سيأخذ الحث، ويطلبه بأن يعطيه نسبة أكبر
من أرباحه التي سيحققها من الأطباء ومشتري الحث من ذلك
المستشفى، وإلا سوف يجعل حانوتيًا آخر.. من له الحق الحصري

لمصادرة جثث المستشفى.. كانوا يتفاوضون على السعر أمام حاتم، ولم يخفوا شيئاً.. لماذا؟.. لأهم مجانين..

رأى حاتم كل ذلك خلال أسبوع واحد.. فما بالك بمن يعيشون هنا سنوات؟ أصبح لديه خبرة كبيرة في كل المجالات.. أصبح يرى البشر على حقيقتهم.. لماذا؟ لأهم مجانين.. مهما تحاول أن تتحول بخيالك فيما يحدث هناك فلن تستطيع أن تأتي بجزء من الحقيقة.. تخيل أن لك حقاً إلهياً بأن تفعل ما تشاء بأي شخص داخل أسوار هذا المشفى بشرط ألا تعدى مكانك ومسواك.. كاد حاتم أن يُجنّ فعلاً.. كان عمره يُقاربُ الثلاثة عشر عاماً ولكنه يحمل عقل من رأى أشياء لم تحظر على بال من تعدى المئة عام..

جلس حاتم في عنبه الواسع الذي يحتوي على عشرين سريراً من الحديد المغطى باللون الأبيض والصدأ الأحمر ينهش في جسده كما ينهش السرطان في البشر.. رائحة أكسدة الحديد تملأ رائحة الغرفة التي تتداخل مع رائحة العطن الصادرة من المراتب القديمة الممزقة التي يرتفع عليها القوارد ومختلف أنواع حشرات القوارض المعروفة وغير المعروفة، والتي تتركز على بلاط أبيض قذر لم يمسسه الماء إلا كلما رحم ري وأنت زيارة من مفتش هنا أو مراقب هناك، والحائط ملتف نصفه بسيراميك أبيض أيضاً وتظهر عليه علامات الإهمال والتسيان.. نظر حاتم حوله إلى المرضى الغيظين به.. فرأى ذلك الشاب الواجم

السّاكن الذي كانت تمارس معه الجنس الممرضة العجوز الفبيحة منذ أيام وهو يقف أمام شبّاك زجاجه مكسورٍ ومُغطّي بالقضبان الصدئة المهترئة ينظر إلى أشعة الشمس المنسابة إليه عسى أن تشعره بحزّه من آدميته المنسية، وعجوز آخر يجلس في زاوية الغرفة على الأرض، يضمُّ يديه وقدميه وهو بهزُّ رأسه ويتمتم لنفسه ببعض الكلام غير المفهوم لنا، ولكنها له تمثل أعظم القصائد أو المعلقات المنسية، ورجلان آخران يقفان فوق السرير، ولا يتحدثان.. فجأةً وجد حاتم شخصاً يضع يده على كتفه.. فنظر خلفه بسرعة.. ليرى أمامه سيسيل يرتدي ملابس الأطباء ويضع سماعة على رقبته ويرتدي نظارة.



حاتم متفاجئ ..

- سيسيل ١٩ -

جلس سيسيل على سرير أمامه وابتسم له ..

- إزيك يا بطل .. ها .. إيه رأيك في مستشفى المجانين؟

نظر له حاتم بدهشة ثم نظر حوله بقلبي .. فحدثه سيسيل بابتسام ..

- متقلقش .. محدش شايفني غيوك .. أنا لبست بالطوبس علشان

الجو بتاع المستشفى ..

نظر حاتم له ولم يتحدث .. فربت سيسيل على كتفه ..

- متقلقش .. متقلقش اتكلم براحتك كده كده هما معتبرينك

مجنون ..

- إيه اللي جابك هنا ..؟ انت مش قلت مش هتدخل في حياتي

تاني؟

- إيه؟ أنا جاي أزورك مش احنا أصحاب .. دي أمك معمولتهاش

وجت تشوفك ..

- إحنا مش أصحاب، وأمي كده كده لو جت مش هتعرف

تشوفني هيتعوها من زيارتي لمدة أسبوع ..

- مالك بتدافع عنها كده؟ .. مش أمك دي اللي جابك هنا؟

- هي عملت كده بسبك.. من بعد ما أقنعتهم بإني بعمل الحاجات القذرة دي لأختي أميرة.

- إيه ده انت عرفت؟

- أيوه.. التمرجيه هنا.. ميفوتوش فرصة إلا لما يشتموئي، ويعابروني بالموضع ده كل شويه.

- بس متساش إن أمك مبتغش فيك.. مصدقتكش لما حكاتها عني، وصدقت إنك إنت اللي بعمل كده في أختك هي اللي جابتك هنا مش أنا من حقت تكرها هي مش أنا.

- مهما عملت مش هكره أمي.. أنا بكرهك إنت.. إنت السبب في كل اللي بيحصلي ده.. أنا عمري ما تعبرك صاحبي أو صديقي، ولا عمري هاعمل معاك عهد زي ما إنت عايز.. هتعذبني.. عذبني.. هحصل فيا إيه أكثر من إني دخلت مستشفى اغاين.. هتموتي؟.. موتني.. على الأقل هروح منك، ومش هتعرف برضو تعمل معايا عهد.

بدت على سيسيل علامات الغضب.. اتسم بسخرية..

- واضح إن عقلك نضج قوي في الفترة اللي قعدتها هنا.. يا حاتم أنا عايزك تعرف حاجة.. أنا مفيش مخلوق يقدر يقولي لأ في حاجة أنا عايزها.. بس أنا مراعي إنك صغير لسه.. أنا ممكن أخرجك من هنا

في لحظة.. أدمرتك المستشفى دي على اللي فيها لو حيت.. أخليك
تنقم من الدكتور، والمرضى اللي بيعذبوك.. أخلي أمك وإخوانك
يعيشو في قصور.. أخليك عايش طول عمرك في سعادة وراحة
للأبد.. أو.. فجأة تبدلت ملامح سيسيل بغضب شديد وارتفعت
جميع الأسرة التي بالغرفة ففرع المرضى وصرخوا بميستريا.. ابتلع حاتم
ريقه بصعوبة خوفاً من سيسيل.. مرت لحظات قبل أن تستقر الأسرة
في مكانها في الحال.

وقف سيسيل وترك حاتم وانصرف وهو يحادثه:

- أنا هأخرجك من هنا، ومش هدخل في حياتك زي ما اتفقنا..
ثم وقف أمام باب الغرفة، ونظر إلى حاتم..

- بس اتفقنا مكش يشمل أمك، وإخوانك.

شعر حاتم بالفرع وجري مسرعاً جهة سيسيل..

- سيسيل.. استنى.. استنى.. أمي، وإخواني ملهمش دعوة.. ملهمش
دعوة.

لحظات ودخل المريض الغرفة إلى حاتم..

- تعالى يلا كلم الدكتور.

دخل حاتم غرفة الطبيب ليجده جالساً إلى مكتبه، ووالدته تجلس أمامه.. صرخ بفرح لرؤيتها فقامت باحتضانه بخنان..

- ماما.. عوّجيني من هنا.. يعبّوني ويكهربوني..

نظرت إلى الطبيب مستنكرة.. فأجابها سريعاً..

- ده جزء من علاج القصام اللي عنده.. العلاج بالصدمات الكهربائية، وده أشهر وأمن علاج مكتشف في عصرنا ده.. ثم أنا شارح لحضرتك خطوات العلاج كلها زي ماقلتلك.

نظرت هناء إلى حاتم بهرج:

- معلش يا حاتم.. استحمل شويه.. إنت عيان، وده الحل الوحيد اللي هيخيلك تخرج من هنا.

حاتم يخوف..

- يا ماما.. إنت مش عارفة بيعملوا إيه هنا؟!

نظر إلى الطبيب فبعده ينظر له نظرات حادة، فابتلع ريقه بخوف..

- لازم تخرجيني من هنا يا ماما.. سيميل مش هيسيككم.. هياذيكم إنت وإخواني.

الطبيب:

- زي مانتي شايفه أمه يا مدام.. رجع للهيلاوس، والأوهام بتاعته
تاني أمه.. معلىش أستاذك لازم نأخده للجلسة حالاً.

ضغط على زر جرس بالمكتب ليدخل ممرض سريعاً ويبدأ يسحب
حاتم من أمه.. فصرخ بها..

- متخلهمش ياخدوني.. متسبش هنا يا ماما.. هياذيكم.. مش
هيسبكم يا ماما.. خرجيني من هنا.

بكت هناء، وهي تشاهدهم يسحبونه من أمامها وتركه وهي
حزينة:

- معلىش يا حاتم.. استحمل يا حبيبي.. كله علشان مصلحتك.

ترك الطبيب هناء بعد أن ودّعها خارج مكتبه وأتجه إلى غرفة
العلاج بالصدمات، وأجرى جلسة طويلة ومؤلمة لحاتم عقاباً له على ما
صدر منه أمام أمه..

في مساء تلك الليلة خلدت أميرة إلى النوم بغرفتها، ونامت بعمق،
ولكنها شعرت فجأة بشيء يسحب ملابسها.. فاستيقظت فرعةً تنظر
حولها وهي تصرخ..

- مين؟.. مين هنا؟

شعرت ببرودة بالغرفة فجأة، وشعرت بوجود حضور قوي معها
بالغرفة.. دقت ضربات قلبها بسرعة وقوة، ولكنها حاولت طرد
مخاوفها، فسحبت غطاء السرير عليها، وحاولت أن تنام مرة أخرى،
ولكن الغطاء انتزع من بين يديها بقوة شديدة.. فصرخت خائفة.
فجأة وقف أمامها غطاء السرير مفروذا ومشدودا بقوة عدة لحظات
ثم سقط على الأرض.. قفزت من سريرها إلى جهة أختها حنان،
وأيقظتها بقوة وذهبت إلى غرفة أمها، وأيقظتها.. أفاق هنا سريعا
وامتدحظ معها حسام الصغير النائم بجوارها.. فرأت أميرة مرتاعة
فهتأتا..

- مالك يا أميرة؟ في إيه؟ مفروعة كده ليه؟

فحدثتها أميرة بغزع..

- حصل ثاني يا ماما.. حد شديني من هدومي وشد الكوفرتة من

على جسمي.

نظرت لها هناء مستكورة حديثها..

- بتقولي إيه يا أميرة؟.. إزاي الكلام ده؟.. ده حتى حاتم مش هنا

أصلا!

فنظرت إليها أميرة بحزن:

كده يبقى مش حاتم اللي كان بيعمل معايا كده يا ماما.

نظرت هناء إلى أميرة مستكبرة حديثها، ورفضت تصديقها بقوة. كانت في صراع داخلي بأن ترفض هذا الأمر لكيلا تكون قد رمت ابنها في مشفى اغتاليين، وهو يويء وكانت في نفس اللحظة تتمنى أن يكون كلام أميرة صادقاً حتى يخرج حاتم من عبسه الاضطرابي..

- فين الكلام ده حصل؟ فين يا أميرة؟

- حصل في أوضتي يا ماما.

- طيب نامي إنت، وإخوانك هنا، وأنا هاروح أوضتك أشوف الكلام ده بنفسي.

تركت هناء أولادها، وجلست بالغرفة بمفردها تقاوم خوفها من أن يكون كلام أميرة صحيحاً، وتتمنى بنفس الوقت أن تكون مخطئة بشأن حاتم .. جلست ساعة بمفردها ولم يحدث شيء .. ثم ساعتين .. ثم ثلاثاً ولم يحدث أي شيء .. تركت غرفة أميرة وذهبت إلى غرفتها فوجدت أطفالها نائمين على سريرها، فتركهم نائمين، وظلت هي تنظر إليهم وتحاول تبرير فعل أميرة ذلك لشعورها بالذنب، وتريد أن تعيد أخاها إلى المنزل مرة أخرى، ولا تتركه بالمستشفى، وهذا هو التفكير الوحيد المنطقي الذي عرجت به هناء.

حلّ الصباح، وذهب الجميع إلى مدارسهم .. أصبحت هناء بالمنزل بمفردها.. فذهبت إلى غرفة حاتم، وظلت تُقلّبُ بما، وتذكر حاتم وجلسه بالغرفة وهو يقرأ مجلدات ميكي، وتبتسم ثم تشعر بالذنب

تجاهه، ولكنها تُنَحِّي حُزنها في سبيل عقلها، وأن من مصلحة حاتم ما فعلته حماية له وإخوته خوفاً أن يؤذيه .

عاد الجميع إلى المنزل، ومَرَّ اليوم طبعاً للغاية حتى جاء الليل، وجلست هناء على رأس المائدة تتناول العشاء، وعلى يمينها أميرة وحنان وعلى يسارها حسام.. فجأة تحدثت أميرة حدثتها:

في حاجة ظهورتلك في أوضي أمبارح؟

نظرت أمها إليها بحدة:

- مفيش حاجة متخافيش، وتحوي إخوانك.. أنا عارفة إنت عايزة تعملي إيه؟

- يعني إيه؟.. إنت فكراني بضحك عليكى؟

- أبوه إنت بتكدي علشان نطلع أخوكي حاتم.. يا أميرة أخوكي عيان.. مريض.. لو متعالجش مش هيأذي وهياذي نفسه، ويأذيكم معاه.

- يا ماما.. أنا بقلق مش حاتم اللي يعمل كده.. من اللي حصل إمبراح معانا مش من حاتم.

صرخت أمها بما ..

- قولتلك ماتكديش عليا.

- صرخت أميرة بما وهي تضرب المائدة بيدها:
- أنا مش كذابة، والله العظيم حصل معايا كده امبارح،
وقفت أمها غاضبة ..
- قولتلك مفيش حاجة .. أنا شفت بنفسى،
قاطعها صوت حسام الصغير:
- في يا ماما!!
- نظر الجميع له مندهشين ..
- سألته أميرة بسرعة:
- إيه يا حسام؟ .. شفت حاجة؟ .. احكي لماما،
نظرت أمها إليه مستكرة ..
- في إيه يا حسام؟
- حسام بصوت ضعيف ..
- شفت واحد قالى أقول لحاتم إنه عايز يبقى صديقه،
نظرت إليه هناء مستكرة ...
- أنا مش سألتك قبل كده قولتلى الكلام ده ماحصلش.
- آه هما قالوليلي مافولكيبش، وهيجيولي هدية.

هنا إلى أميرة بصيق ..

- شفتي مليتي دماغ أخوكي الصغير بكلام فارغ إزاي؟

صرخت أميرة بها غاضبة:

- إنت ليه مش راضية تصدقينا، ولأ انتي عجبك اللي حاتم فيه
ولما صدقتي رميته في مستشفى الجنان، وخلصتي منه، وخلصني منها
إحنا كمان زيها.

صفعتها هناء بقوة.. فمسكت أميرة وجهها متالة وتركزت المائدة
غاضبه إلى غرفتها، وصدقت الباب بقوة.. وقفت هناء أمام المائدة
وهي تنظر لأولادها بعصب، وتصرخ بهم.. "بتلوموني علشان
بحميك.. فاكرين انكم بتحبو أخوكم أكثر مني.. أنا قلبي ينقطع في
اليوم مية مره علشانك.. أنا أمكم وعارفة مصلحتكم كويس.

تعالى صوت صراخ أميرة من غرفتها..

- ماما ... ماما."

فترد عليها هناء غاضبة:

- عايزة إيه ؟

زاد صراخها:

- إلحقيني يا ماما.

ركضت هناء مسرعة إلى الغرفة فاتحة بابها بقوة لتجد مشهداً غريباً للغاية أمامها.. أميرة تقف في منتصف الغرفة، وفجأة ترتفع سلسلتها الذهبية أمامها إلى أعلى.. تنظر أميرة إلى أمها بخوف، وهنأ تنظر إليها مصدومة فاعرة فمها لما رأت، التفت في بطاء حول أميرة غير مصدقة لما تراه، وضعت يديها أعلى السلسلة المرتفعة بالهواء وأسفلها فلم تجد شيئاً، فنظرت إلى أميرة مُرتابة..

- إنتِ عملي إيه؟

صرخت أميرة بغضب:

- معملتش حاجة.. أنا واقفة قدامك معملتش حاجة.

لم تكمل جملتها حتى ارتفع غطاء السرير ببطء أمامهما، وأصبح على شكل رجل يجثى تحته.. فصرخت أميرة مرعوبة، وهي تطلب النجدة من أمها التي وقفت مندهشة فارغة فمها أفقدتها الصدمة قدرتها على التحرك أو الكلام.. فهزتها أميرة من يدها، وهي تصرخ بما أن تفعل شيئاً.

أفاق هناء من غفلتها بسرعة، وذهبت بسرعة وأمسكت ملاءة السرير وسحبها بقوة لترى من يقف تحتها، ولكنها لم تجد شيئاً غير اندفاع آلاف القطع من ريش الطيور الأبيض، وظلّ الريش يتشكل على أشكال مختلفة بهاجهم، وأميرة مستسلمة تصرخ في يأس والريش الأبيض يُهاجمها، وهنأ تحاول أن تبعد هذا الريش عنها هي، وابستها

خطات وانتهى كل شيء واختفى الريش بأكمله فسقطت أميرة على الأرض منهارة فاحتضنتها هناء وحاولت التخفيف من روعها.. فجأة سمعت صوت حنان وحسام يصرخان بالخارج.. فخرجت بسرعة ساحة أميرة من يدها، وخرجتا إلى غرفة المعيشة ليجدوا التلفاز يطير في الهواء وهو يعمل وبصورة جيدة.. احتضنت هناء أولادها جميعاً وهي تشاهد التلفاز يخلق في أنحاء الغرفة ويغير القنوات بمفرده، ثم بدأ المسجل يعمل هو الآخر ويغير المحطات بسرعة شديدة.. رأت هناء ذلك فاحتضنت أولادها بقوة وصرخت بشدة..

- عابرين إيه هنا ؟.. سيونا في حالنا.

فجأة توقف التلفاز في الهواء ثم بكل قوة اصطدم بالأرض.. وسمعوا صراخاً شديداً جداً، واهتزت جميع الأواني المعدنية بالمطبخ، ظل الأطفال، وهناء يصرخون، وتلاعبت أضواء المنزل، وأصبح هناك طرقة قوي على باب المنزل.. ثم سُحب غطاء المائدة عن المائدة والتفت حول هناء بقوة شديدة، وقيد جسدها، وتجمع عند رأسها.. بدأت تشعر بالاختناق.. فصرخ أولادها، وحاولوا أن يساعدوها.. فسُحبت حنان بسرعة جهة اليمين، وسُحب حسام جهة اليسار وارتفعا في الهواء وهما يصرخان.. نظرت أميرة إليهما بخوف وهما يطيران في الهواء، أخذت أمها تسعل بقوة غير قادرة على التنفس، فقررت أن تساعد أمها بسرعة.

ما زالت الإضاءة تتراقصُ والأواني تضرب بشدةٍ وصوت الصراخ بالمرل أعلى من صراخ العائلة وباب المنزل يطرق بقوة .. لمجحت أميرة أن تسحب الغطاء عن وجه أمها للتنفس بقوة بعد أن كادت تخرج روحها من جسدها.. جرت مسرعة تحاول إمساك حنان وحسام فسقطت على الأرض وسُحبت من قدميها إلى داخل غرفة أخرى، وهي تصرخ مستنجدة بأمها.. ثم سُحبت حنان إلى المطبخ وهي مذعورة وتصرخ على أمها .

وقفت هناء في منتصف غرفة المعيشة وهي تلطم خديها، وتصرخ وتشدُ شعرها لا تدري ماذا تفعل؟ أو أين تذهب لإنقاذ أيٍّ من أولادها أولاً.. نظرت إلى ابنها الصغير فترى الفزع على وجهه، فلم تتحمل رؤيته هكذا. ركضت مسرعة جهته لكي تقوم بإنقاذه وأمسكت به.. فبدأ يُسحب بشدة، وهو يطير إلى آخر الغرفة بقوة كان هناك من يحمله. ثم قُذِفَ بسرعة وقوة كبيرة جدًا جهة الحائط.. ففزعت بشدة.. لتسمع صوت ارتطام، وتُحطَم بالحائط فتبصر مسرعة، وهي تنتظر الأسوأ.. فتجد ابنها مغشياً عليه وهو ما زال بالفواء، وأن ما ارتطم هو كرسي طار بسرعة وارتطم بدلاً من ابنها حسام .. لم تتحمل أعصابها ما ألم بها من هذه الصدمة، فسقطت على الأرض مغشياً عليها.

أفاق لتجد نفسها نائمة على الأرض والجيران ملتفون حولها، وباب منزلها مُحطَّم.. فصرخت:

- ولادي.. ولادي فين؟

أحضر الجيران أولادها إليها فتحضنهم جميعاً وهي تبكي ..

باب المول مُحطَّم، والأتوار ما زالت تتراقص بالمول.

ذهبت هناء، وأولادها عند جيرانهم وهم في حالة فزع شديد، حاول الجيران تهدئتهم.. فحكّت لهم ما مرت به.. الدهش الجيران من حديثها، ولكنهم صدقوها لأنهم سمعوا أصواتاً غريبة داخل الشقة حينها.. قامت هناء بالاتصال بأختها وقصّت الحكاية كاملة على حامد.

وصل حامد صباحاً مصطحباً معه الشيخ محروس أشهر معالج بالقرآن، وفكّ السحر في جميع أنحاء القرية الذي لم يستعص عليه أيُّ ماردٍ أو جنٍّ من قبل.. بالرغم من أجره باهظ بعض الشيء، ولكن أهل القرية يقبلوا عليه.

أوصلتهما سيارة أجرة سريعاً إلى البناية التي تسكن بها هناء.. صعدا الأدراج سريعاً فوجدوا هناء تنتظرهما عند الجيران.. شعر حامد بالشفقة على هناء عندما رآها أمامه مرتاعة خائفة.. لكنه طمأنها سريعاً لأنه في حضرة الشيخ محروس الذي طلب منهما أن ينتهي بسرعة من عمله لأن لديه طلبات عمل أخرى في أماكن أخرى.

لحظات وكان الثلاثة بالمول فاندحشوا بأن كل شيء في قد عاد إلى طبيعته، فالتفاز عاد كما كان، والمقاعد ومائدة السفرة مُرتبة، ولا يوجد أي شيء غير عادي.. نظرت هناء مذهولة.. وحاولت أن تتكلم فمعتها الشيخ محروس بحدة ..

- مفيش بني آدم يتكلم .. اللي هيتكلم هيتندي.

ثم أخرج المبحرة من حقيبتها، ووضع بها بعض البخور، وأخذ يعزم عليه بكلام غير مفهوم .. ثم بدأ يعلو بعض آيات القرآن، وهو يلف في أرجاء المول، ويدخل الغرفة تلو الأخرى.. ويراقبه حامد وهناء في وجوم .. ظل يعزم بكلامه غير المفهوم ويقرأ الفاتحة، ويلف بالبخور مدة ربع ساعة، ثم نظر إلى حامد وهو يتسم ..

- الحمد لله.. البيت اتطهر، وكل اللي في مشبوا لازم تشغلو كل يوم الفاتحة وسورة البقرة.

ثم أخرج شيئاً ملفوفاً على شكل مُثلثٍ مصنوع من جلد الماعز، وأعطى حامد إياه ..

- تحطوا الحجاب ده في مايه بملح لمدة يومين، وبعدين تاخذوا المايه دي ويستحمي بيها أهل البيت في مكان مفهوش نجاسة، وباقى المايه ترشوها في أرجاء البيت وترشوا شويه منها على عتبة العمارة من تحت وقدام الشقة.

نظرت إليه هناء وهي فرحة ..

- بجد يا شيخ .. يعني مفيش حاجة في البيت دلوقتي؟

نظر محروس إلى الأرض وهو يحدثها ..

- أيوه يا ست .. ياذن الرحمن البيت اتطهر ومفهوش حاجة ..

بس أوصيكم وإياي بترك المعاصي والاستغفار من الذنوب، والبعد
عن أي فعل يغضب الله.

وتوجه إلى باب المنزل ليغادر وتبعه حامد الذي تلمل وجهه وهو
ينظر إلى هناء بفرح ..

- الحمد لله يا أم حاتم .. غمه، وانزاحت، والبركة في الشيخ
محروس.

ابتسمت هناء بفرح:

"الحمد لله .. الحمد لله .. ربنا يكرمك يا شيخ والله."

فجأة أغلق الباب أمامهم وهم يهيمون بالخروج، فنظر حامد إلى
محروس بفزع .. ثم نظرت إليه هناء:

- إيه يا شيخ؟ .. مش إنت قلت إنك طردتهم؟!

نظر إليها محروس مضطرباً ثم التف خلفه بسرعة، وأمسك مبخوته
وظل يجرى في غرفة المعيشة ..

- بسم الله الحَتَّانِ المَتَّانِ خالقِ الإنسِ والمردة والشیاطینِ والجان..
أقسمتُ عليك يا مَنْ تسكنُ في هذا المكان أن تظهر في التَّوَّ والحال ..
أو تنصرف وعليك الأمان والمئة من الرحمن.

فجأة ظهر أمامهم على مائدة السفرة قَهْدٌ أسود، له عينان
زرقاوان، يتكئ على المائدة وينظرُهم بحدة .. شعر الجميع بالحرق
وعقدت الصدمة ألسنتهم .. أخرج القهْدُ لسانه، وبدأ يلحس جسده
وهو ينظر إليهم بعينه الزرقاوين المخيفتين .. هَزَّ حامد محروس بكشفه
وهو يصرخ فيه ..

- يا شيخ .. إعمل حاجه يا شيخ .. أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فوقف القهْد على المائدة فجأة ونظر إليه بحدة .. ثم قفز بسرعة
جهة حامد واخترق جسده واختفى بداخله .. فقفز محروس فزعاً،
وابتعدت هناء وهي تصرخ .. سقط حامد أرضاً بجوار باب المنزل ..
ثم هبَّ واقفاً فجأة، وهو يضحك بشدة، ويقترب من محروس .. الذي
بدا عليه الخوف الشديد، وبدأ يقرأ آيات من القرآن .. فوقف بالقرب
من حامد وهو يحدثه بصوت أشبه بفحيح الأفاعي ..

- عامل فيها شيخ يا محروس .. أخبار بديعة مرات متولي إيه؟ لسه
بتقابلو في الغيط باليل؟

نظر إليه بخوف شديد ولم يتحدث ..

- يالاً يا شيخ.. مش قولتلي اظهر، واديني ظهرك.. وريني
متعمل إيه؟

صوخ محروس:

- أعوذ بالله من ال...

فرّج حامد يده بقوة.. فامتنع محروس عن فتح فمه، ونظر له
حامد بغضبٍ شديد، وتحولت عيناه إلى اللون الأزرق وصرخ به:

- أنا مش قاضي اللعب معاك.

فأشار بيده، فارتفع مقعد المائدة في الهواء، ثم هوى بسرعة على
جسد محروس الذي صرخ من الألم.. وظل المقعد يضرب محروس إلى
أن حُطِمَ تمامًا، ومحروس يصرخ متألمًا.. ثم حاول الهروب من مكانه
بسرعة.. رفع حامد يده ليرتفع قدم المقعد اعظم في الهواء سريعًا ثم
هوى بقوةٍ شديدة على فخذ محروس الأيمن، سقط محروس على
الأرض صارخًا.. شاهدت هناء ما حدث فصرخت بشدة
ملتصقة بالخائط وراءها.

فبشتم حامد ثم يشير بأصبعه السبابة والوسطى جهة محروس
الذي ارتفع بالهواء مع بدء إشارته وهو يصرخ من الخوف والألم..
ثم هوى حامد يده بقوة.. جهة الأرض، فهوى محروس بقوة على
مائدة الطعام في منتصف الغرفة فحطّمها بجسده.. فسقط على

الأرض، ولم يصدر أي صوت.. ركضت هناء بخوفٍ ودُعرٍ شديدٍ جهة باب المدخل، وحاولت أن تفتحها فلم تستطع.. فنظر حامد خلفه إليها بعينه الزرقاوين نظرة أذابتها في مكانها، ولم تقوَ قدماها على احتماها.. فسقطت على الأرض مرعوبة.. فجأة وجدت حامد أمامها ينظر إليها بعينه الزرقاوين في عينيها ويحملها من رقبته بيد واحدة من على الأرض.. لم تحمل هناء ذلك وفقدت الوعي أمامه.. فقام حامد بوضع يده على بعض خصلات من شعرها ومزقها من رأسها بقوة فشعرت بالألم بشدة فأفاقته، ونظرت إليه تصرخ في وجهه.. فرفع حامد يده ببطء بسبابته ووضعها أمام فمه وهمس لها:

- صووووصص.. اسمعني ومتفتحش بقلك.

فهزت رأسها بخوف ورفضت.. فأشار إلى الحائط على يساره:

- بصي هنا.

نظرت هناء إلى الحائط الذي أشار إليه، فوجدت عليه صورة لأبنائها.. يصرخون في منزل الجيران والنيان منتشرة حولهم والجيران يحاولون أن يطقنوها بصعوبة شديدة.. فصرخت مقروعة:

- ولادي.. ولادي.

فبكت أمام حامد وهي تترجاه بدُعرٍ:

- أرجوك.. أرجوك.. ولادي متأذممش.. أرجوك تعمل أي حاجة

تطلبوها مني.

نظر إليها حامد ثم نظر إلى الحائط.. فرأى النيران تنطفيء فجأة
بعد أن كادت تحرق الجميع.. ثم اختفت الصورة من على الحائط..
فصرخت به هناء..

- أرجوك.. متأذي.. أنا بعمل كل اللي إنت عايزه
أرجوك.

تركها حامد فجأة فسقطت على الأرض.. فوقف أمامها حامد
وحدثها بعنف:

- قدامك حل واحد.. تتخلي عن حاتم.. تروحي بكورة المستشفى
وتطلعيه من هناك.. قولي إنك هتعالجيه بره مصر، وتطرديه وتطلعيه
بره حياتك وتنسيه للأبد.

فصرخت به هناء:

- إنت بتقول إيه؟.. أتخلي عنه إزاي ده ابني؟

رفعها بيده ثانية وهو يحدثها بغضب:

- يا إما تنسي حاتم للأبد بوضاكي.. يا إما.. هنموت ولادك
قدامك واحد واحد، ونفضل نعدبك لحد ما تتمنى الموت،
ومتطوليهوش ويرده هناخد حاتم.. الأمير سيسيل ما يظليش حاجة
ومتنفذش.. فاهمه؟!

نظرت إليه هناء قليلاً.. ثم هزت رأسها باكياً:

- فاجمة ١٩ -

تركها حامد ثم حذّتها بنبرة خافتة:

- متخافيش على حاتم.. إنت شغتي إحنا نقدر نعمل إيه ١٩ الأمير
هيعيش حاتم في سعادة للأبد.. كل اللي نفسه فيه الأمير هينفذوله،
والأمير هيساعدكم تعيشوا للأبد مسوطين.. حاولت أن تستعطفه
بكلامها:

- أرجوك سينا في حالتنا.. إحنا معملنا لكش حاجة يا سحر الأمير..
أرجوك إعطف عليّ أنا وولادي.. ضحك حامد بقوة:

- إنت فاكهه إني أنا الأمير.. أنا مجرد جندي من جنوده. إنت
متعرفيش الأمير ممكن يعمل فيكي إنت، وعيلتك كلها إيه.. إنت
متعرفيش إنه لو عنده الرغبة يدمر الدنيا دي كلها.. بإشارة من إيد
هيدمرها في الحال.. آخر حاجة بقولالك لمصلحتك.. اسمعي الكلام،
ونغذي رغبة الأمير.. محدش يقدر يقول للأمير لأ.

ثم تركها، واتجه إلى الحائط وضرب رأسه بالحائط بشدة أكثر من
مرة وسط صراخ هواء، وبكائها.. لحظات، وسقط حامد على
الأرض، والدماء تغطي وجهه، وملابسه.. وقفت هواء في منتصف
الغرفة، وهي ترى محروس في وسط المائدة المخطمة غارقاً في دمانه،
وحامد بجوار الحائط تملأ الدماء وجهه، وملابسه.. إنهارت هواء،
وسقطت على الأرض لا تدري ماذا تفعل؟ وكيف ستصرف؟

المريض يتأبط ذراع حاتم، وهو يسحبه من خلال ثمرات المشفى الكبيرة، وحاتم مستسلم له كلياً.. عدة دقائق، ودلف بداخل مكتب الطبيب، وكانت سعادته لا توصف حينما رأى أمه جالسة على المكتب، فاقرب منها ليحتضنها فأبعده عنها بيدها.. فنظر لها مندهشاً، ولكن ابتسامته لم تُمنَح من على وجهه وهو يراها أمامه.. ظل الطبيب يحثها على التراجع عن موقفها:

- يا مدام أنا غايذك تراجعى قوارك تاني.. العلاج هنا زي العلاج بالخارج بالظبط بنستخدم نفس التقنيات والأدوية فابتسم حاتم ساخراً.. فنظر إليه الطبيب، وتجاهله، واستكمل حديثه:

- حضرتك بس هتغرمي نفسك على الفاضي

هنا بكدة :

- لو سمحت نخلص الإجراءات بسرعة.. أنا هاخده معايا، وأنا خارج.

فرح حاتم بكلامها:

- بجد يا ماما.. هخرج من هنا.. هروح معاكى بجد!

نظرت هناء إلى الأرض، وتحاشت النظر إلى حاتم الذي وقف يتراقص فرحاً لخروجه.. أففى الطبيب إجراءات الخروج، وبالفعل

خرج حاتم مع أمه التي حينما حاول الحديث معها تجاهلته، وبدأت تسبقه بخطواتها مبتعدة عنه.. شعور الاندهاش غالب شعور الفرح لديه، وبدأ ينادي عليها:

- ماما.. ماما.. استنى.. إنت بتمدي لي كده؟.. يا ماما؟

تجاهلته هناء حتى خرجو من باب المشفى.. ثم ركض وراءها وأمسكها من ملابسها:

- إنت مبتدّيش عليّ ليه يا ماما؟

فصرخت به بشدة وهي تبكي:

- علشان إخوانك.. خيروني ما بينك، وما بين إخوانك، وأنا مش عارفة أعمل إيه؟

حاتم متعجبًا:

- مين يا ماما اللي خيروكي .. سيسيل .. هو جالكو؟!!!

هزت رأسه بحزن:

- أيوه.

- صدّقيني دلوقتي؟!

نظرت إليه ثم حضنته، وهي تبكي:

- كل ده كان بيحصلك، وأنا مش عارفه؟ استحملت كل ده لوحدهك.. هتأهدوني بلك، وجوز خالك في المستشفى، وإخوانك مرعوبين، والجيران عايزين يمشونا من العمارة يا حاتم.. أنا مش عارفه أعمل إيه؟!

أبعدها حاتم عنه بيده:

- خلاص يا ماما.. مش هيسوي، وبسيوكو في حالنا.. أنا هامشي علشان خاطرك إنت، وإخواني.

نظرت هناء له والشارت من البكاء واحتضنته بشدة.. فسمعت صوتًا هامسًا في أذنها:

- ولادك تحت رحمتا دلوقتي.. اختاري كويس.

بكت هناء بشدة، وهي تحتضن حاتم ثم وضعت شيئًا في جيبه.. ثم تركته سريعًا، وركضت بعيدًا عنه.. ظل حاتم يراقبها وهي تبعد من أمامه في أسى.. ثم نظر خلفه ومشى في طريقه لا يعلم له سبيلًا..

الشَّماس

هائمًا على وجهه لا يدري أين يذهب؟ وأين يستقر؟.. حياته القديمة قد أصبحت من الماضي.. كيف سيعيش؟ وأين يسكن؟.. مَدُّ يده إلى جيبه، فوجد ظرفًا صغيرًا وضعت أمه بداخله مبلغًا نقديًا كبيرًا.. ظلَّ عقله يلتهب بموارة، كيف لأمه أن تُضحي به، وتتركه وحيدًا في مواجهة صعاب هذه الدنيا؟ إن مقالته لها كان مجرد كلام، ولم يتوقع أنها بالفعل سوف تتخلَّى عنه، وتتركه.. لكنه فكَّر في إخوته، وأنها فعلت ذلك من أجل مصلحتهم.. وأن السبب في ذلك يرجع لسيسيل.. هذا الأمير البقيض، وأن كل ما يحدث له هو بسببه، ومن تدبيره، ولكن عدم ظهور سيسيل له أو محاولته الاتصال به بعد أن تركته أمه لشيء غريب.. لماذا لا يساعدني؟ لا يُوجِّهني إلى أين أذهب؟ وكيف أعيش؟.. ألم يرغب بذلك؟ أنا أحتاج مساعدته الآن،

ولكني لن أطلبها منه.. فكلُّ ما أنا به يسيء.. هذا ما استقرَّ عليه تفكيره، وهذاه عقله له.

سألنا في أنحاء القاهرة الكبيرة له مطلق الحرية أن يفعل ما يشاء، وأن يذهب أين يشاء.. دون تدخل من أمه مثل السابق لتحديد مواعيد خطِّ سيره اليومية، وطرقها.. هذه الحرية التي كان يسوق إليها دائماً، ولكنه كسائر البشر يبحث عن الحرية وحين ينالها لا يدري ماذا يفعل بها؟!.. نظر يتأمل شوارع القاهرة الكبيرة التي قلَّما تمر بها سيارات الميكروباس البيضاء، وبعض سيارات الفولكس موديل الخمسينيات وخليط من سيارات البيجو 504 والفيات 128 التي صُنعت في تلك الفترة ثورة علمية في عالم السيارات، وبعض الأنواع الشهيرة الأخرى، والأتوبيس الأحمر الكبير الذي يكتظ براكبيه نظراً لرخص سعر تذكرته..

لفت انتباهه الترمي الأزرق الذي يشبه القطار وهو يتحرك في وسط شوارع القاهرة ويحمل لافتة مكتوباً عليها عباسيه (1) أبو الريش.. فصعد إليه، وجلس يشاهد معالم المدينة من خلاله، فرأى قطعة أرض كبيرة فارغة ومحاطة بسور صفيح ملون بالأزرق وعليه إعلانات كثيرة، شدَّ انتباهه رسمه لزجاجة خضراء كبيرة ومكتوب عليها (سفن أب انطلق إلى عالم المرح وسفن أب)، وملصقات أخرى لبعض الأفلام المصرية، والأجنبية مثل ملصق لـقيلم أجنبي أعجبه للغاية، الملصق مليءً بالطائرات اهليكوپتر والانفجارات ومكتوب

نُجِّح فيلم الكيف بأن يُخرج حاتم من الحالة الحزينة التي كان بها..
 فأخذ يجول بالنهار في شوارع القاهرة ويتفقد اشخالات الكبيرة مثل
 عمر أفندي، وصيدناوي، وليلاً يذهب لمشاهدة الأفلام بالسينما،
 وبالأخص فيلم "الكيف" الذي دخله أكثر من مرة.. لم يحرم نفسه
 شيئاً.. جمع ما أراد القيام به فعلة.. جمع ما أراد اقتناؤه اقتناه،
 وبالطبع نفذت النقود التي معه في أيام قليلة، وبدأ يُحرم من المتع
 القليلة التي كان يمارسها، وبدأ ينام في الحدائق العامة، والمنازل
 المهجورة، والمساجد، ومُماراً كان يجوب الشوارع بلا هدى أو سبيل..
 رأى بائع جرائد يفتش الأرض، ويضع اشخالات، والمجلدات أمامه..
 أخذهُ الفضول، وأخذ منه آخر ما يملك من نقود في سبيل عددٍ من
 السلسلة الجديدة التي سمع أنها صدرت حديثاً لكاتب جديد يُدعى
 نبيل فاروق، والسلسلة تحمل اسم "رجل المستحيل".. اشترى أول
 عددٍ صدر، وهما "الاختباء الغامض، سباق الموت"، ولم ينس أن
 يقتني 5 أعداد جديدة من مجلة ميكي المحببة لديه، وهام في بحر العشق
 بلتهم كلماته، وصور ما يقتنيه من مجلات.. حتى انتهت جميعها، وبدأ
 التهام معدته بصرفه عن عقله.. يريد أن يأكل أي شيء الآن، ولا
 يوجد معه أي نقود.. لم يتعوّد أن يحتاط للنقود أو أن يحرص عليها أو
 أن يقتنيها.. وظيفته كانت أن يصرفها فقط.. كانت تعجبه حياة
 الحرية التي كان يمارسها.. ينام في أي مكان، يأكل أي شيء، يذهب
 إلى أي مكان يريد.. لم يكن يعلم أن تلك حياة المشردين.. وبدأ يدرك

الآن أنه أصبح مُشرّدً بالفعل.. وعلم لماذا لم يتوجّه الجميع للعيش بحرية ليعيشوا معيشة المُشردين؟ اتّسخت ملابسه الجديدة التي كان اشتراها، وأصبحت رائحته فذرة، وحذاءه بدأ يلى من كثرة المشي، والتجوال بدأ يضيق من وضعه.. أيعود إلى أمه وإخوته، ويعيش معهم مرة أخرى؟ هل سيسمح سيسبل بذلك؟.. لن يرضى بالتأكيد.. إذا لماذا لم يتّصل به أو يظهر له مثل السابق؟.. أيريد أن يعيش هكذا للأبد؟ لفر يُخيّر عاقل حاتم الصغير الذي لم يجد له مبرراً حتى الآن..

لقت انتباهه شيء غريب، أول مرة يراه بحياته.. رأى بعض الشباب يحملون صورة للسيدة مريم العذراء، ويلقون بها الشوارع ووراءهم جمع غفير من النساء والرجال، والشيوخ يتبعونهم وهم يهتفون، ويصيحون، والنساء تزغرن بصوت عالٍ.. لم يفهم المشهد الذي رآه، ولكنه فرح لفرح هؤلاء الأشخاص، ففرحوا بهم، ويرى ما يفعلونه، ومشى وسط هذه الجموع، وشاهد الناس يخرجون من منازلهم، وشرفاتهم وهم يتبعونهم ويضحكون ويلوحون لهم بأيديهم ووجد الجموع يغنون تارة بالعربية وتارة بلغة أخرى لم يفهمها، ولكنه أخذ يُردّد معهم كلامهم الذي بالعربية، وأخذ يشدو بكلمات مثل: "يا عذرا يا أمي والدنيا مش همي"، و "بركاتك يا أم التور"، "جاي ليك يا عذرا" ظلوا يجرولون بالشوارع وهم يحملون صوراً للعذراء وللمسيح حتى حلّ المساء، وما زال يصيحهم حاتم ثم اتجهوا إلى منطقة

بها حشد كبير للغاية وملء بالناس، ويظهر بالأعلى كنيسة كبيرة معلق فوقها صليب كبير.

توقف حاتم عن متابعتهم وبدأ يجول في هذا المكان الكبير المليء بحشد البشر من كل مكان، وملاً الصخب والضجيج في كل مكان، أول شيء لفت انتباهه، وجود ملاهي صغيرة يلهو بها الأطفال في مثل سنه، وأصغر قليلاً عليها رسومات مرسومة باليد لشخصيات ميكي وبطوط، وغيرها من الشخصيات الكرتونية، والكثير من الحميم القماشية الكبيرة يجلس بها بعض الشباب، وكبار السن يبيعون بها جميع الأنواع من المأكولات، والمشروبات، وصوراً للمسيح، وللسيدة مريم، وبعض القديسين، ورجال الدين المشهورين في المسيحية، وتعجب بشدة عندما رأى بعض البائعين وهم يبيعون السمسمية، والحمصية، والخلوى الخاصة بالمولد النبوي الشريف.. فتوقف متعجباً أمامه. فأشار إليه البائع بأن يأتي إليه وسوف يبيع له الخلوى.. فحلل وجه حاتم، وذهب مسرعاً، لكنه تذكر أنه لا يحمل نقوداً فهز رأسه بالرفض، وابتسم وهو يشكر البائع، وينصرف، واكتفى بأن يشاهد من بعيد الزبائن وهم يشترون الخلوى.. شعر بعدة تكرات في كتفه فنظر خلفه مسرعاً فوجد رجلاً في أواخر الأربعينيات يرتدي نظارة طبية على وجهه، ولونه أبيض، وله ملامح وسمية، ويرتدي قميصاً أبيض به خطوط زرقاء بالطول، وبنطال أسود واسع من أسفل عند قدميه، يحمل بعضاً من قطع السمسمية بيده اليسرى، ويربط يده اليمنى برباط شاش طبي، ويقدم إحدى قطع الخلوى لحاتم وهو

يتسّم.. شكره حاتم، وهز رأسه بالرفض.. فابتسم له الرجل وهو ما زال يمسك قطعة الحلوى بيده:

- دي مش ليك إمسكها لي علشان إيدي بتوجعني وعازب أجيب حاجة من الشنطة!.

شعر حاتم بالإحراج فتأسّف وأمسك الحلوى بيده مسرعاً.. فأخرج الرجل من جيبه قطعة مغلّقة من الحلوى، وفكّ كيسها بأسنانه، وبدأ يتناولها وهو يتسّم حاتم:

- خلاص.. معايا واحدة تانيه اللي معاك من نصيبك.

رفض حاتم بشدة وحاول أن يعيدها له.. فرفض الرجل وأصرّ أن يأكلها..

- هاكلها إزاي.. أنا ماسك في إيدي وحدة أهه، وإيدي التانيه متعوّرة.. أرميها.. مش حرام؟.. هترمي نعمة ربنا؟!

فهزّ حاتم رأسه بخجل على مضض، وبدأ يتناول قطعة الحلوى..

فواقبه الرجل، وهو يتسّم:

- إنت اسمك إيه يا حبيبي؟

- اسمي حاتم.

- إنت لوحذك يا حاتم ولا معاك حد هنا؟

نظر له لحظات..

- لأ معايا حد.

فابتسم له الرجل..

- إيه رأيك في المكان هنا؟

فنظر حاتم حوله بتعجب.

هو ده فرح ولا إيه؟ إحنا فين هنا؟

جاوبه بسرعة..

- إحنا هنا في مولد العذراء.. بيتعمل كل سنة قدام الكنيسة دي.

وأشار إلى الكنيسة التي تبعد عنه.

بتعجب شديد..

- هو المسيحيين عندهم موالد زينا؟

فجاوبه الرجل مسرعاً..

- آمال أيه!. إنت أول مرة تعرف.. لبنا موالد، وسوع، وأفراح،

وكل حاجه.

بدا الاندهاش على وجه حاتم.

- إنت أول مرة بقى تحضر مولد لمسيحيين يا عم حاتم صح..؟

حاتم سريعاً

- أنا عمري ما حضرت موالد أصلاً.

فسحبه الرجل من كتفه وتوجّه به إلى منتصف المولد..

- خلاص بقي إلت صيفنا في المولد النهاردة.. أي حاجة نفسك فيها خُدها، أي لعبة تشدّك إلعبها.

فهز رأسه وهو يتسم ..

- لا شكراً.. مش عايز.

فابتسم له الرجل ..

- لا مقيش حاجة هنا اسميها مش عايز.. عندنا في المولد أي حد يجي أول مرة يجرب كل حاجة هنا مجاًلاً.

نظر حاتم إليه متعجباً.

- مجد والله؟!

الرجل مُتسماً:

- آمال إيه!.. تعالى شوف بنفسك.. بتعرف تشتن؟

هز حاتم رأسه بالنفي.

سحبه الرجل من كتفه وأوقفه أمام رجل يضع منضدة أمامه، ويندقية، وبعض الصور، والهدايا التذكارية، وبعض الصبية يصوبون على أهداف.. اتجه الرجل إلى البائع وحيّاه..

- إزيك يا عم جرجس؟

قَلَّل جرجس عندما رآه..

- إزيك يا دكتور فوزي؟.. أنا قلت إنك مش هتيجي السنة

دي.. أخبار ذراعك إيه؟

نظر فوزي إلى ذراعه المربوطة وابتسم..

- محمد ربا.. كويس إنما جت على كده.. المهم عايزين نعلم

حاتم النشان.. عايزينه يبقى بريمو ده ضيفنا النهارده.

- تؤمرني يا دكتور.. تعالى يا عم حاتم.. إمسك البندقية على

كشك كده، وتشن على البومبايه دي كده وتضرب يلاً.

أخذ حاتم البندقية، وبدأ يحاول أن يصيب الهدف أكثر من مرة ثم

رأى الصبية بجواره ينظرون له بضيق يريدونه أن ينتهي.. فوضع

البندقية وشكر البائع، وانصرف مع فوزي.

- تعالى بقى يا عم حاتم لما ناكل أنا وانت حاجة خفيفة كده

علشان نعرف نلف في المولد.

- شكراً.. شكراً. أنا لسه واكل.

- مانا كمان لسه واكل.. إيه يعني ناكل تاني.. يا عم تعالى أنا ما

صدقت حد يجي بفتح نفسي.

فتوجهها إلى بائع مأكولات شعبية بالمولد، وطلب له بعض الشطائر فألقاها حاتم بسرعة شديدة.. نظرًا لجوعه فترة طويلة فلاحظ ذلك فوزي، فطلب شطائر أخرى وأعطى حاتم إياها الذي رفضها ثم تناولها على مضض بعد أن أصر فوزي.. انتهى من طعامه فطلب منه فوزي أن يذهب ويشتري له بعض العصير فأعطاه بعض الأموال، فذهب حاتم للبائع، واشتري العصير، فأخرج فوزي نقوده، وأعطاهم لبائع الشطائر بسرعة حتى لا يراه حاتم.. ثم أخذ العصير من يد حاتم وبدأ يرتشف منه، وطلب إلى حاتم أن يشاركه العصير وبدأ يرددان على الباعة فردًا فردًا.. ففوجيء حاتم بأن معظمهم يعرف فوزي وجميعهم يسألون عن إصابته.. فسأله حاتم..

- إنت دكتور؟

- آه أنا دكتور جراح.. أو كنت دكتور جراح.. بس خلاص بقى.

- ليه.. إيه اللي حصل؟

فرفع فوزي يده المصابة، وهو يتألم.. إيدي اليمين اتصابت، وحصل تلف في الأوتار.. فصعب إني أرجع أمارس الطب تاني.

- طيب ودي مالهش علاج؟ مينفعش ترجع إيدك تاني زي ما كانت؟

فوزي هز رأسه بأسى:

- صعب يا حاتم.. صعب الأمل ضعيف.. لو عرفت أمسك بيها
كوباية ناي يبقى أحمد ربنا !

فجأة أوقفته سيدة تحمل طفلتها الصغيرة على كتفها، وقبّلت يده
وظلّت تشكره:

- بشكرك يا سيدنا.. لولا إنك شفيت بنتي كانت مات.

فنظر لها فوزي وهو يتسم:

- مش أنا اللي شفيت بنتك، ولكن إيمانك هو اللي شفاها.. أنا
كنت مجرد أداة بنفذ حكمة يسوع.

فمّل وجه السيدة له وترجته بشدة:

- صلي لبتني يا سيدنا.. صلي لها إنت معروف عنك إن بركتك
وصلاتك مسموعة من الله.

ابتسم لها فوزي..

- بمشيئة يسوع هنصلي كلنا مع بعض في الكنيسة النهارده.

تركته السيدة، وهي تشكره وانصرفت ثم تكرر ذلك الأمر مع
عدد كبير من الأشخاص الذين ظلوا يلشون حوله ويطلبون إليه
بركاته، وصلاته.. ثم انصرفوا من حوله فتعجب حاتم من فعلهم..

- هو إنت عاجلت كل دورل يا دكتور؟

- لا طبعا.. أنا معرفش معظمهم، وأول مره أشوف ناس كثير
فيهم.

- آمال عمالين يطلبو منك تدعيمهم ليه؟ هو إنت شيخ؟.. قصدي قسيس؟

ضحك فوزي بشدة..

- لا.. لا.. أنا مش شيخ ولا قسيس.. أنا مجرد شماس.

نظر حاتم له مندهشاً..

- شماس؟ ليه شماس ده؟ أول مره اسمع عنه!

هرش حاتم في رأسه..

- امم.. ده الشماس ده موضوع كبير قوي.. بس يعني تقدر

تقول إني خادم في الكنيسة يساعد الكهنة في عملهم في.. زي.. زي..

خادم المسجد عندكم تقريباً.. مش يساعد الشيخ.. أهو أنا يعني..

قريب من كده شويه.

اقترب فوزي وحاتم من بعض الشباب الذين يقفون أمام شخص

يحمل ماكينة كهربائية كبيرة، ويرسم الوشوم والنقوش والقديسين

على أجساد بعض الشباب الصغير. فتهوهم فوزي بشدة..

- مش قولتلكم يا شباب إن غلط إنكم ترسمو وشوم على

جسمك علشان لو حد عيان هتعدوا كلكم والآلات دي مش

متعقمة.

نظر إليه من يرسم الوشوم..

- في إيه يا أستاذنا؟.. الشباب عايزه تتورك بصور القديسين،
والصلبان.. وأنا واحد موافقة من أبونا في الكنيسة.

فوزي بضيق:

- منع الكتاب المقدس الوشم على الجسد، حيث ذكر الكتاب
المقدس ذلك في اللاويين ١٩: ٢٨ الآية التي تقول:

«لا تجعلوا فيكم علامة وشم»، وربنا إدى الوصية دي بس لبني
اسرائيل ليميزهم عن الشعوب المخاورة.. "الذين وشموا أجسادهم
باسماء آلهتهم ورموزها. (تثنية ١٤: ١). واحنا مش مطالبين كشعب
الكنيسة إن تبقى ملزمين بإطاعة الشريعة اللي ربنا إذاها
للإسرائيليين."

فصرخ به البائع :

- امشي من هنا يا عم .. امشي من هنا بدل ما أقل ادبي عليك.
تدخل بعض المارة وقاموا بإبعاد فوزي عن البائع الذي شعر
بالغضب.. فحاول أحد الأشخاص أن يهدئه ..

- أنت زعلان إيه بس يا دكتور .. هو مش قالك الكنيسة موافقة
على اللي بيعمله؟

فوزي بغضب:

- ما هو الكنيسة عايزه تزود ميزانها وخلص ومش مهم صحة الشباب الصغير ده .. أنا بتكلم بصفتي طبيب .. أي تجمع كبير لناس في مكان زي كده زي الموالد عامة يبقى مكان لتكاثر البكتيريا والفيروسات.

الرجل وهو يتسم له:

- يا دكتور .. كل سنة وانت طبب ده احتفال بنسنتاه من السنة للمنة علشان نرزق .. وأمي فرصة العيال والمستات يخرجو ويتسبحو .. صلي على النبي إنت كده واهدا ..

- عليه الصلاة والسلام .. هدينا يا عم حسن.

ثم نظر إلى حاتم وايتسم ..

- شفت يا عم حاتم .. أهو عمك حسن ده كل سنة يجي هنا بيع البسبوسة بتاعته للمسيحين ويمشي.

ضحك حسن ..

- لا طبعاً يا دكتور .. أنا باحي هنا أنا وعيالي علشان نأخذ بركة السيدة العذراء .. دي مش بتاعتكم إنتم وبنس .. دي بتاعتنا كلنا .. وانت اهدا بقى مش كل سنة تعملك مشكلة مع حد من الكنيسة وترعله منك.

'فوزي مبتسمًا ..

- هما كده كده زعلانين مني على طول .. متحطش في دماغك..
هاتلي بقى أنا، وحاتم بسبوسة بالقشطة بقى من عندك كده من الحلوه
مش من السكّه اللي بتبعها للناس.

- عيني يا دكتور.. أحلى بسبوسة ليك إنت وسمي حاتم.
حاتم نظر له وابتسم ..

أحد القساسة رأى فوزي فذهب إليه سريعاً واحتضنه وأخذ
يتحدثان معاً.. استغل حاتم تلك اللحظة وقرب من حسن وحديثه:

- بقولك إيه يا عم حسن.. هو دكتور فوزي بيحاسبك على
الحاجات اللي بياخذها دي؟!

- طبعا بيحاسبني أمال إحنا شغالين لله.. محنا واقفين علشان نرزق
من فوزي وغيره.

- يعني الحاجات اللي هنا كلها مش على حساب المولد؟
حسن نظر له مندهشاً ..

- إيه يا بني الكلام ده؟ حساب مولد إيه؟ آاه.. هو عملها فيك؟
أصل دكتور فوزي ده راجل غني ورينا رزقه بيحجب كل سنة الولاد
اليتيمة وبتوع الشوارع بياكلهم ويفرحهم.

شعر حاتم بكرامته تتمزق وغضب بشدة وجرى مسرعاً من أمام
حسن الذي تعجب من فعله.. انتهى سريعاً فوزي من حديثه مع

القسيس وعاد إلى حسين مانع البسبوسة، فلم ير حاتم، فسأله عنه فأخبره بأنه ركض مُسرِعًا، وأخبره بما قال له .. فأخذ منه البسبوسة وتركه لبحث عن حاتم الذي وجده يجلس وحيدًا حزينًا.. فاقترب منه، ووضع أمامه البسبوسة، وحذّنه بابتسامة..

- كده برضو في حد يسبب صحابه ويمشي كده من غير ما يقول حاجة؟!

فنظر له حاتم بضيق:

- إنت ضحكت عليّ .. لو صمحت قول لي شن اللي إنت صرفته كام وأنا هدفعهملك.

- ماشي.. أنا موافق.. بس الأول ناكل مع بعض بقى البسبوسة الجامدة دي، ومتقلقش هضيف حساها مع اللي قيلهم.

نظر إليه حاتم ولم يتحدث ..

- يلا بقى يا حاتم .. بقي ومد إيدك.

وأعطاه قطعةً التهمها بتردد .. فابتسم له فوزي وحذّنه بحذية :

- إنت سبيت البيت بتاعك من فترة قليلة يا حاتم صح؟

نظر حاتم له مندهشًا .. ثم نظر بوجهه في الأرض ..

- إنت شكلك ابن ناس ولسه متبهدينش .. مهما كان السبب
اللي خللك تسبب البيت علشانه .. مستهلش .. إنت متعرفش والدك
ووالدتك فلقانين عليك قد إيه؟ .. اسألني أنا"
حاتم يتسهم بسخرية ..

- فلقانين علي؟. أنا أبويا ساب البيت من 3 سنين ومعرفش عنه
حاجة، وأمي دخلتني مستشفى المجانين، وبعد كده طردتني في
الشارع.

ظهرت الصدمة على وجه فوزي وهو يسمع كلام حاتم .. حاول
أن يتحدث إليه عدة مرات .. لكن لسانه وقف عن الحديث ..
- أه .. أص .. إمم ..

أدرك حاتم حيرته فضحك بشدة ..

- مكنتش متوقع إني مجنون صح؟

نظر فوزي إليه:

- لا طبعاً .. إنت مش مجنون .. أو مجنون بس زي الناس كلها ..
علمياً كل البشر فيهم نسبة من الجنون .. فيه المجنون اللي يحب
نفسه، والمجنون اللي يحب الشهوات، والمعاصي، والمجنون اللي
يحب المال .. كلنا مجانين في حاجة معينة .. مجانين بشرطة.

حاتم ابتسم .. فاقترب منه فوزي:

- قولي بقى يا حاتم.. مامتك دخلتك المستشفى ليه.. أكيد في سبب ..

نظر حاتم إلى الأرض بأسى:

- مش هتصدقني لو قللتلك!

- قول .. متقلقش.

تنهّد حاتم بشدة.. ثم بدأ يسرد ما حدث له بشكل سريع لفوزي.. الذي بدت على وجهه الدهشة، والحيرة.. من كلام حاتم .. ثم هوش في رقبته خطّات.. فابتسم حاتم له..

- مش قللتلك مش هتصدقني.

نظر له فوزي ..

- مش حكاية مش مصدّقك.. أنا شقت حالات زي كده عندنا في الكنيسة بس عمرها موصلت للدرجة اللي إنت حكيت عليها كده.

ظل يداعب ذقنه بيده، وهو ينظر إلى الأرض، وأخذ حاتم يراقب ملامحه لعله يستشف منه هل صدّقه أم لا؟.. فلم يستطع أن يتفرس وجهه.. نظر له فوزي فجأة..

- بس إنت من بعد ما خرجت من المستشفى.. الأمير.. اللي اسمه إيه ده؟

جاوبه حاتم سريعاً:

- سيسيل.

- آه، الأمير سيسيل ده مشغولش من ساعة لما خرجت من

المستشفى .. صح كده؟

حاتم ..

- آه .. من ساعتها مبيظهرليش خالص.

فنظر فوزي أمامه ..

- تمام .. تمام .. كده كويس قوي.

ثم نظر إلى حاتم :

- إنت طبعاً في مدرسة يا حاتم ..

- آه .. في 3 إعدادي.

ابتسم فوزي له:

- بجد .. إنت كلامك وعقلك .. بيان إن إنت أكبر من كده ..

طبعاً ومعندكش مكان تبات فيه .. كنت بتنام فين الأيام اللي فاتت

دي؟

- في أي حنة .. أي مكان أعرف أنا فيه.

فوزي مدّ يده لحاتم ليصافحه ..

- متعرفناش رسمي.. أنا اسمي ثلاثي فوزي بيشوي عطاس، وانت اسمك إيه بالكامل؟

- حاتم محمود إبراهيم.

ردد فوزي اسمه أكثر من مرة.. اسم حلو.. حاتم محمود إبراهيم..
حاتم محمود إبراهيم.. أنا متهايلي عداً عليّ الاسم ده قبل كده.. إنت كنت ساكن فين يا حاتم؟

- كنت ساكن في الرهبة.

- آه في الرهبة.. لأ يبقى مش إنت.. هو كان ساكن في مكان تاني.. فولي بقي إنت أكبر إخوانك ولا في أكبر منك؟

- لا أنا التاني.. أعني الكبيرة أميرة، وفي حنان، وحسام أصغر مني.

- تمام.. تمام.. أميرة، وحسام، وحنان.. اسمهم سهل، ومينيسش..
تعالى نروح مع بعض بقي الكنيسة لحضر الاحتفال جوه.

نظر له حاتم متعجباً:

- هو ينفق أحضر الاحتفال جوه الكنيسة؟

فمسحه فوزي من يده وتباطأ ذراعه..

- يوروه.. ده انت هتلاقى نص اللي جوه مسلمين أصلًا.. تعالى
يلاً.

توجّه حاتم، وفوزي إلى داخل كنيسة العذراء مريم الموجودة
بالزيتون، ووجد حاتم أمامها حشدًا كبيرًا وبعض الرجال يذبّحون
الخراف ويحملون الشموع وصور المسيح والسيدة مريم.. فسأله حاتم
متمعجبا:

- إنتم بتدبحو خرفان ليه؟

- علشان نذّي جزء منها للكنيسة توزّعه على الفقراء، والغلبة،
والباقي يوزّعها على أهل بيته وجيرانه.

- زي عندنا في العيد الكبير.

- بالظبط .. زي العيد الكبير، والشموع اللي هتاك دي.. دي
نلور بيقدّمها المسيحيين، والمسلمين علشان ربنا يستجيب لصلاتهم،
ودي هتلاقىها عندك بردو في الحسين والأولياء والحاجات دي.

- طيب وفعلًا الشموع دي بتخلي ربنا يتقبل الدعاء والصلاة؟

- ربنا اللي خلق الدنيا دي كلها يا حاتم .. هيستقى منّا شوية
شمع ونلور نوفيه علشان يستجيب لولاده .. ده كله كلام مش حقيقي
ومش مفتع بيه .. بس في غيري مفتع بيه.

نظر حاتم له مبتسمًا:

- أنا مفتع بكلامك.

ابتسم له فوزي:

- تمام بقينا اثنين مقتنعين أنه .. عقبال الباقي .. ههههههه.

دخلوا من باب الكنيسة التي أصبحت مزدحة للغاية، وممتلئة عن آخرها .. نظر حاتم بتعجب لأنه لأول مرة يجتاز يرى كنيسة حقفية من الداخل.. مقاعد خشبية كبيرة على هيئة أربعة صفوف ونجفة كبيرة للغاية معلقة في وسط سقف الكنيسة وبحوارها 8 نجفات أصفر قلبًا منها معلقة بسقف الكنيسة المغطى بصورة كبيرة لأطفال مجنحين يحسكون بيد المسيح في السماء وعلب كبير عليه قثال المسيح وهو مصلوب، وبالحلف عدد من القساوسة يرتدون ملابس بيضاء موشومة بصلبان ذهبية، وأحدهم يحمل صليًا ذهبيًا كبيرًا بيده اليمنى ويضع تاجًا على رأسه.. ارتدى فوزي فوق ملابسه ملابس بيضاء مثل الجللاب، ووضع وشاحًا أحمر طويلًا على كتفه اليسرى وربطه على وسطه بشكل جيد وبديع، فسأله حاتم عن اسم هذه الملابس فضحك وهو يشير إلى لبسه الأبيض:

- دي اسمها التونية.

ثم أشار إلى الوشاح الأحمر:

- وده اسمه بطرشييل وده لبس الشماسين بلبسوه على طول بس

ساعات بتغير في بعض التفاصيل بس.

ثم ترك حاتم في وسط الجموع، وبدأ بالطقوس وقراءة نصوص من الإنجيل وبعض الترييمات الجميلة .. أحياناً يتحدثون بالعربية وأحياناً بالقبطية .. مذهول بالجوِّ الجديد الذي رآه، وبالتفاصيل التي لم يكن يعلم عنها شيئاً أو تشغل تفكيره .. انتقل إليه شعور الفرح والسرور الذي كان يملأ الجو من حوله، فيشر على وجوه الجميع الابتسامات والضحكات الصافية الجميلة في لحظات اختلطت من الزمن بمجموعه وصعابه .. السعادة لم تكن تفرق بين مسلم أو مسيحي .. الجميع يحتفل .. يغني .. يأكل ويرقص .. الصغير والكبير .. الغني والفقير .. توقف العالم عن قواعده المملة وإملاءاته المصحفة عدة لحظات .. مرت كالأعوام .. في ذاكرة جميع الحاضرين .. هذا الحدث اليوم إن دل على شيء .. فإنما يدلُّ على أن العالم ليس هو ما يفرض شروطه علينا .. ولكننا نستطيع أن نجعله يخضع لنا .. إن تكاثفنا ونجمعنا .. وأردنا بصدق أن نكون سعداء ..

الآلام

ظَلَّت الاحتفالية حتى صباح اليوم التالي.. ثم بدأ الجميع
 بالتصريف لشعورهم بالإرهاق والحاجة إلى الراحة.. وبالطبع حاتم
 كان مثلهم جميعاً.. إن لم يكن أكثر منهم.. ظلَّ يتربُّح من الشعور
 بالنعاس، ولا يَحْظُ فوزي ذلك فعرض عليه أن يَمْكُثَ عنده بالمتزل، ولم
 يتردد حاتم لحظةً في قبول تلك الدعوة.. وظلَّ نائماً حتى نهاية اليوم..
 ليستيقظ في غرفة غربية مليئة بلعب الأطفال ورسوماتهم، وبها سريران
 ينام هو على أحدهما.. ويوجد صورة كبيرة للعذراء وهي تحمل المسيح
 على يديها، وبعض الصُّلبان الصغيرة المعلقة على الحائط.. خرج حاتم
 من الغرفة فوجد فوزي يجلس بمدرءٍ يُشاهدُ نشرة الأخبار على
 التلفاز.. وهبَّ واقفاً عندما رآه وهو يتسهم له..

— أهلاً بالبطل.. إيه تمت كويس؟

- آه الحمد لله.. كنت تعبان قوي.

- آه شكلك كنت مُرهق فعلاً.. بقلك إيه.. خيش خدلك دش
في الحمام.. وغير هذومك جيتلك طقمين.. بس على الله مايكونوش
كُبار عليك.. الحمام علي إيدك اليمين.

شعر بالخلجل وهو ينظر إلى ملابسه المستسخة وبها بعض التمزق ..
فذهب جهة الحمام بصمت .. انتهى من حمامه سريعاً وارتدى الملابس
التي كانت مناسبة له، وخرج مُسرّعاً وهو يشعر بالسُرور.. لارتدائه
ملابس جديدة.. وتوجه إلى فوزي مُبتسماً:

- أنا بشكر حضرتك يا دكتور علشان إنت ساعدتني.. قولي بقي
دفعت فلوس قد إيه علشان إن شاء الله أسددهم لك؟

- ماشي.. ماشي.. بس إنت مستعجل ليه.. لسه شويه مش يمكن
نحتاج حاجة تاني.. وبعدين الحساب يجمع.. ثم إنت معاك فلوس
دلوقتي؟

نظر حاتم إلى الأرض بخلجل:

- لأ.. مش معايا.. بس انا هاشتغل واسددهم لك كلهم.

- طيب عقبال لما تشتغل هاتعيش فين؟، وهتاكل متين؟

نظر إليه حاتم ولم يستطيع أن يرد عليه ..

- اصبر شويه معايا هنا، وإن شاء الله هنوصل لحل نقدر نساعدك
فيه.

فجأة رن جرس الباب

- استنى كده أشوف مين.

توجه إلى الباب وفتحاه فيجد أمامه شخصاً في نفس عمره فرحب
به بشدة:

- أهلاً .. أهلاً.. يا جو .. اتفضل.

دخل جوزيف من الباب ونظر إلى حاتم:

- هو ده حاتم يا فوزي؟

ابتسم فوزي لحاتم ..

- آه.. هو .. تعالى سلم على عمك جوزيف يا حاتم.

اتجه حاتم إليه وصافحه بابتسامة.. ثم جلس جوزيف وفوزي على
الأريكة في غرفة المعيشة يتحدثان ..

- لسه جاي من المشوار اللي قولتلي عليه .

فابتسم فوزي ..

- طيب إيه؟.. احكي لي.

فنظر جوزيف إلى حاتم.. فنظر فوزي إلى حاتم هو الآخر ..

- معلىش يا حاتم ممكن تستنانا جوه شويه؟

- آه طبعاً .. عن إذنكم.

دخل حاتم إلى الغرفة، وهو يشعر بالحرج.

فوزي بلهفة:

- إيه طلع العنوان مطبوط؟

- آه العنوان لقيت عليه شويه علشان إنت مدقونيش بالتفصيل بس الاسم وبقيت البيانات اللي إدقالي صح.. الولد طلع فعلاً مايبكديش .. عملت إني بسأل على شقة في العمارة فلقيت الشقة اللي كان ساكن فيها الولد وعائلته قاضية .. فسألت الجيران قالولي .. فعلاً إن أمه دخلته مستشفى المجانين، وإن في مشاكل ما بينها وما بين جوزها، وانهم قعدو يسمعو صرخ، وحاجات غريبة بتحصل في العمارة بسببهم، وانهم اشتكو لصاحب العمارة فطردهم من الشقة.. ومحمدش عارف قاعدين فين دلوقتي.

- طيب يعني في حاجات فعلاً ظهرت للولد ولا تقيؤات وهو

مريض؟

- ماقدرش أحدد.. في جيران كانوا مصدقين، وفي ناس منهم يقول إن العائلة دي مش طبيعية وهما اللي كانوا يعملو كده.. بدليل إن الأم دخلت ابنها المستشفى..

اعتدل فوزي في جلسته وهو يشعر بالضيق ..

- ده أنا كنت تاري أخليه يرجع لأهله تاني وأحاول أساعدهم في حل المشاكل اللي مابينهم لو في مشاكل.

- متنا عارف يا فوزي مش كل الأطفال اللي كنت بتساعدهم يرجعوا لأهلهم .. بيعيشوا كويس .. كانوا بيهربو تاني من أهلهم، وفي الآخر كنا بنلجأ إن إحنا نخليهم تحت رعاية الكنيسة .. لكن حالة حاتم مختلفة .. أول حاجة إنه كبير .. تاني حاجة إنه مسلم .. مش هينفع نخطه تحت رعاية الكنيسة هتحصل مشاكل كثير إحنا في غنى عنها .. أنا شايف إن أسلم حل نرجعه المستشفى تاني يكمل علاجه هناك.

- لا يا جو .. الولد شكله، وطريقة كلامه مش واحد مجنون .. حتى لو كان مجنون، واتعالج مش معناه إنه إحنا منساعدوش حتى لو مسلم، ولنا هذه الوصية منه : أن من يحب الله يحب أخاه أيضًا. يوحنا الأولى 4 : 21 ، "طهروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء، فأحبوا بعضكم بعضًا من قلب طاهر بشدة". بطرس الأولى 1 : 22 ..

- أنا ناوي أساعد الولد ده .. بأي طريقة.

- طيب والمشاكل اللي بينك، وبين مراتك، والمشاكل التانية اللي كل شويه عمال تخط نفسك فيها .. إنت ناقص مشكلة جديدة على المشاكل دي كلها؟

"فِي سِتِّ مِثَالَةٍ تُنَجِّيكِ، وَفِي سِتِّعٍ لَا يَمْسُكُ سُوءٌ."

المزامير ٩ : ٩

"وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُسْتَحِقِّ. مَلْجَأً فِي أَرْمَةِ الضَّيِّقِ."

المزامير ١٣٨ : ٧

يقف جوزيف من مكانه وهو يتنهد ..

- عموماً.. إنت حر يا فوزي.. أنا قمت بمهمتي زي مانت طلبت

مني.. فضيت نفسي اليوم كله علشان خطرك..

مُبْتَسِماً:

- أنا بشكرك جداً يا جو .. معلش عطلتك يا حبيبي ..

- ولا يهملك يا فوزي.

ثم صافحه واتجه إلى الباب منصرفاً ورافقه فوزي مُودِّعاً..

- مع السلامة يا جو.. سلّمي على ماري والأولاد.

أغلق الباب، وعاد لغرفة المعيشة ليجد حاتم يقف أمامه وعلى

ملامحه الحزن ..

- أنا سمعت كلامكم من جوه ..

نظر فوزي له بأسف:

- إنت سمعت .. شكل كان ضوتنا عالي ..

- أنا بشكرك إنك عايز تساعدني، وترجعني لأهلي.. بس أحب أقولك إن أمي لو كانت بتحبني مكنتش سابتني بالساهل .. مكنتش ضحت بي كده .. وسابتني في الشارع ومدورتش علي .. اقترب فوزي منه ونظر له ..

- يا حاتم.. إنت لسه شاب صغير.. عالم الكبار ده .. عالم معقد جداً.. مفهوش أبيض واسود زي منشا فاكه.. عمل كده يبقى بيحبني .. عمل كده يبقى مايجنمش .. أكيد في أسباب قوية خلّت والدتك تعمل معاك اللي عملته ده.

- إنت ممكن تتخلي عن ولادك؟

ابتسم فوزي بحزن ..

- أنا للأسف معنديش أولاد .. ربنا له حكمة في إني مبخلفش.

نظر حاتم إليه وشعر بالاضطراب من قوله .. فابتسم له فوزي ..

- بس أقولك بالرغم إني مبخلفش.. بس عارف إن مفيش أم متحبش أولادها .. أنا مش عايزك تكره أمك يا حاتم .. مهما كان السبب وأيا كان اللي بيدور في عقلك .. متحكمش على الأمور من منظورك إنت دلوقتي .. لأن مع الوقت منظورك ده هيتغير ..

نظر حاتم له بعينين مغمورتين بالدموع .. فاحتضنه فوزي:

- متفلقش يا حاتم .. أنا مش هسيك وهاسعدك لحد ما تستقر في حياتك.

بكي حاتم بشدة في حضن فوزي ..

مرت 7 أشهر على مكوث حاتم في منزل فوزي، وبدأ يتأقلم على نمط حياته.. كان يلزمه في المنزل ويلزمه داخل الكنيسة، وفي زيارته للمرضى، ومساعدته للفقراء بصفته شماسًا بالكنيسة، ويساعده على أداء العلاج الطبيعي ليد المصابة كل أسبوع.. حتى اقتنع الكثيرون بأن حاتم هو ابن فوزي أو أحد أقربائه .. فكان أحدهما لا يفترق عن الآخر، وقد تعلق حاتم بفوزي، وفوزي تعلق بحاتم بشدة، وأصبح ينادي فوزي "بابا" بعد أن طلب إليه فوزي ذلك؛ لأنه شعر بأن حاتم أصبح ابنه، وأن الله قد بعث حاتم له تعويضًا عن عدم إنجابه.

في إحدى المرات التي كان يعالج فوزي بها يده علاجًا طبيعيًا.. بدأ يتألم بشدة في المنزل، والطبيب يُراقبه وهو يؤدّي التدريبات والعلاج ليد، وظلّ يُشاهد حاتم وهو يتألم، وينظر إليه بشفقة شديدة..

انصرف الطبيب وطلب إلى حاتم أن يكرر هذه التدريبات الأسبوعية مع فوزي حتى تستطيع يده أن تعود إلى طبيعتها .. خرج الطبيب وما زال فوزي يتألم بشدة من الجرح الذي في يده اليمنى.. فنظر إليه حاتم بشفقة..

- إنت لسه إيدك بتوجعك .. أحبك مسكّنات؟

فحدّثه وهو يتألّم ..

- لا.. لا يا حاتم.. أنا عايز أشعر بالألم.. لازم أحس بيه.. لما أشعر بالآلام يبقى في أمل لإيدي.. الأعصاب بتبتدي تتصل ببعض تاني .. يعني في أمل.. إني أرجع تاني لمهنتي.. الألم هو الأمل يا حاتم.. الآلام هي اللي بتحقق الأحلام.

عَلِمْتُ هذه الكلمات في ذهنه.. ثم استطع الربط ما بين الآمال، والأحلام، وما بين الآلام.. فالآلام شيءٌ بغض.. مكروه يدعو للحزن وليس لشيءٍ آخر.. لكنه لم يطلب إلى فوزي إيضاح كلامه.. نظراً للحالة التي كان عليها.. بدأ فوزي يشعر بالتحسُّن في نهاية هذا اليوم، وجلس هو وحاتم يتسامران أمام التلفاز .. فلفت انتباهه مجموعة من الأوراق موضوعة على المنضدة في وسط غرفة المعيشة مكتوب عليها "ترانيم أسبوع البصخة" .. فلفت انتباهه.. فسأل فوزي عنها ..

- إيه البصخة دي يا بابا.. أنا بسمع عنها كثير.. بس مش عارف

معناها؟

- آه، بص بقي يا سيدي .. كلمة "بصخة" أو "البصخة" هي الصورة اليونانية لنفس كلمة "فصح" العبرية "بمسح Pesah، ومعناها "العبور" وتُطلَقُ على فترة أسبوع الآلام. وانتقلت بلفظها تقريباً إلى معظم اللغات. فهي في القبطية واليونانية "بصخة

"Pascha"، وفي العربية "فصح" .. ويطلق على الأسبوع ده أسبوع الآلام .. مع إن البصخة ملهاش علاقة خالص بمعنى كلمة الآلام، فالكلمة اليونانية التي تعني الآلام هي "بسخو"، وتختلف عن معنى كلمة البصخة .. لكن جرت العادة إنه يبقى اسمه أسبوع الآلام .. والكنيسة بتحتفل بيده كل سنة لتذكيرنا برحمة الله العظيمة وذلك بواسطة القراءات التي تتكلم عن آلام الرب يسوع من أجل خلاص البشر.

- انا عايزك تفهمني بقي إيه موضوع الألم ده .. إزاي إنت شايف إن الألم شيء كويس .. مع أن مغيش بنى آدم بيحب إنه يتألم .. ولا إنت بتحب تتألم؟

فوزي اعتدل في جلسته وهرش في رأسه ..

- إمم .. ده إنت دخلت في موضوع عميق قوي .. لدرجة إن أعظم الفلاسفة .. معروفش بوصلوا لرأي موحد عنه .. بس أنا هحاول أبسطها لك .. أنا من مؤيدي إن الآلام هي نعمة من الله للبشر، وليست نقمة.

رَمَقَه حاتم بنظرات متعجبة ومتشككة ..

- إزاي يعني نعمة مش نقمة .. فهماها لي بقي دي.

- بص يا سيدي .. في وجهات نظر كثير بتقول إن الألم ده شيء موعب وسين .. لدرجة إن في فيلسوف مشهور اسمه أبيقور .. لخص

السعادة في إنما هي غياب الآلام.. ولكن أنا شايء عكس كده.. لأن السعادة هي المكمل للألم.. أو الألم هو المكمل للسعادة.. لأنك عمرك مكنت تتعرف يعني إيه سعادة إلا في ظل وجود الآلام.

- مش فاهم برضه.

- بص.. أنا هابسطلك الموضوع على الآخر.. أول حاجه إيه هو الألم.. الألم هو شعور سلبي يمحس به الإنسان نتيجة التنبيه بوجود مرض معين أو خلل في الجسم، وده تفسيره العلمي، والألم له نوعين: ألم ناتج عن سبب عضوي أو جسدي، وألم ناتج عن سبب نفسي، والألم النفسي يبقى غالباً أقوى من الألم العضوي.. اتفقنا إن إحساس الشعور بالآلام شعور سبي وسلي لكن له فوائد كثير.. أولها إنه بينهك لحدوث ضرر في جسمك أو مرض يجب الانتباه له إنك تعالجه، ولولا الألم ده كنت مهتمش بعلاج الضرر اللي في جسمك، وأدى ده خلاصك، والألم مرحلة لازم تمر بيها علشان تحقق حلمك أو هدفك.. كل الرياضيين المشهورين، وكل العلماء، كل الفنانين كل اللي حققوا نجاحات في حياتهم.. كلهم مرو بالألم.. الألم اللي وقف في وشهم كثير ومنعهم يحققوا أهدافهم.. دائماً كان مانعهم عن آمالهم.. ولما تخطو الآلام دي حققوا الأحلام.. زي منا بشعر بالألم دلوقتي، وشايء إن الألم ده أمل.. إن إيدي ترجع تاني زي ما كانت وأرجع أحقق حلمي في مزاولة مهنة الطب اللي اتحرمت منها، وفي الأدبان برضه.. في المسيحية الألم يمثّلنا شيء عظيم جداً.. إن المسيح اختار إنه يحس بالآلام البشر وحياتهم علشان يضحي بنفسه، ويتخلص من

عظماياهم: ومحدث يقدر من البشر يتحجج إنه انتظم في الدنيا وشعر
بالألم لأن المسيح نفسه شعر بالألم زبهم، وفي الإسلام.. الآلام بتشيل
عن المرضي ذنوبهم عند الله.. الألم شيء مهم جداً في حياتنا يا حاتم ..
أنا عايزك تعرف إن لولا الألم ده مكنتش هتعرف معنى السعادة.. أبوه
هتقابل في المستقبل مشاكل كثير، وهتقابل ألم أكثر، ولكن افكر
دائماً.. إن الآلام هي الآمال.. هي الأحلام.. أي صعب تقابلك..
رددها دائماً في قلبك .. الآلام.. هي الآمال .. هي الأحلام.

ابسم حاتم له بشدة ..

— أنا فعلاً حسيت بالألم كثير قبل ما أقابلك، ودلوقتي عرفت
معنى السعادة، وأنا معاك عرفت إن الواحد ممكن يساعد حد
مايعرفوش .. عرفت إن في خير .. في فاس كويسه في الدنيا دي.. بعد
اللي شفته في مستشفى الجنانين من البشر وظلمهم لبعض.. أنا يمكن
فعلاً مكنتش هعرف معنى السعادة إلا لما أكون مريت بالآلام دي.. أنا
فعلاً اتنتعت بكلامك .. أوعدك مهما هتقابل في حياتي من الألم..
هصبر عليها لأنني عارف إن بعديها همر بسعادة.. لأن زي ماهيكون
في الألم .. لازم هيكون في سعادة ..

نظر له فوزي وهو يشعر بالفخر من كلام حاتم ..

— أنا اللي سعيد إني بقى ليه ابن زيك يا حاتم، وهاكون أسعد لو
قبلت إني أتبتاك، وتبقى ابني رسمي.

عَقَدَتِ المفاجأةُ لسانَ حاتم، ولكنه شعر بالسعادة الشديدة لأن
بصبح ابن فوزي رسيًا، ولكنه تذكّر وضعه ووضع فوزي، وكيف أن
له أعداء كثيرين سيستغلون هذا الأمر في الهجوم على فوزي ..

- بس .. بس .. مش كده معملك مشاكل يا بابا .. خَلينا كده
أحسن .. زي ماحنا.

- مشاكل إيه يا حاتم .. طول منّا عايش في الدنيا دي هتقابل
مشاكل وأعداء دائماً .. أهم حاجة إنك تعمل الصبح واللي مقتنع بيه
وسيبك من أي شخص تاني .. ولا إنت مش عايز موضوع النبي ده ..
متقلقش مش هغصبك على حاجة .. إنت هتعيش زي منّا عايز،
وتعتق الفكر اللي إنت عايزه.

- لا أنا مش معترض على النبي .. بس مراتك ممكن تعترض على
الموضوع ده.

- قصدك على يومئذ .. لأ متقلقش إحنا نعتبر فعلاً شبه منفصلين
عن بعض، ولو كان في طلاق عندنا .. كان زماي طلقتها من زمان.

- ليه إنتم مكتشوش بنحبو بعض؟

- بالعكس .. ده علشان إحنا بنحب بعض .. أنا كنت بحب
يومئذ من زمان أيام ما كنا طلاب، وهي كانت بتبادلني نفس
الشعور .. بس أنا حالي المادية مكتشش تسمح إننا نرتبط .. اشتغلت،

واجتهدت واتجهت للتجارة مع بعض الأقارب أثناء دراستي .. تعبت كثير واتهدلت كثير .. بس قدرت ألتحق في الدراسة وفي التجارة وأصبحت وأنا متخرج عندي ثروة معقولة إني أعيش منها، واتقدمت لبوستيا واتحوزنا .. وعشنا في سعادة لمدة سنة واثنين وثلاثة، وبعد كده ظهرت مشكلة تأخر الخلفه .. أهلي يلوموها شويه، وأهلها يلوموني شويه، ولما الموضوع اتأخر زيادة عن حده .. ابتدينا نلجأ للدكاتره، واكتشفنا إن عيب الخلفه مني أنا .. يوستينا وقفت جنبي وابتدينا نروح كل حنة بره مصر وجوه مصر .. عملنا نلوز واتبركنا بالقديسين وفي كل كنائس مصر، وضاع جزء كبير من ثروتي في الموضوع ده .. قررت إني أتوقف واحمد ربنا على اللي هو مقدره لينا .. لكن يوستينا رفضت إن إحنا نفقد الأمل .. كان نفسها تبقى أم زيتها زي صحابها وإخوتها .. أنا كنت شايف من وجهة نظر التاجر اللي جوايا .. إن الموضوع خسوان، ومفيش أمل وحرام أضيق باقي فلوسي في شيء مستحيل حدوثه، ومن هنا ابتدينا نختلف مع بعض، والاختلاف ابتدا يكبر كل يوم ما بينا أكثر وأكثر .. ابتدا شعورها لي يتحول من شعور الحب للكره شويه بشويه .. كنت بقرأ في عينيها كل يوم إني أنا السبب في اللي هي في، وإني واخذ موضوع إن مفيش طلاق في المسيحية مبرر إني اتحكم فيها زي مانا عايز .. حتى ليها خلائي مستحملش النظرة دي في عينيها، وخيرتها إنما تغير ملتها أو أنا أغبر ملتي علشان تقدر تطلق مني مرضيتش لأنها مسيحية مؤمنة بشدة،

وشايفه أن ده تحايل على الدين، ومن هنا ابتديت أسعى إن قوانين الطلاق تتغير في الكنيسة، ولقيت ناس كثير حالاهم زي حالتي، واتجمعتنا، وحاولنا إن إحنا نغير وجهة نظر الكنيسة في الطلاق وأسبابه لأنه لا طلاق في المسيحية إلا لعللة الرق، ومن هنا ابتدا يظهر ناس تعارضني وتخونني وتتهمني بالكفر بتعاليم المسيحية بخرد إني تبينت وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظرهم.

- طيب إزاي إنت شماس في الكنيسة، وبينك وما بينها مشاكل..؟

- مش بقول الله يا حاتم إن عالم الكبار مُعقّد .. مش كل شيء أبيض ياسود .. المهم إن نقط الخلاف ما بيننا اتدبت توسع أكثر .. بعد موضحتلها إني رافض لفكرة الموالد والميراث والطلاق .. لأنني شايف إنها مجرد وسيلة لاستراف الأموال، وفي نفس الوقت لانتشار الأمراض، والخرفات .. يعني واحد فقير .. ابنه مريض بدل ما يحافظ على أمواله لعلاج ابنه .. يروح يشتري شمع ويجرقه لنذر نذره لأحد القديسين .. ربنا هيستفيد إيه من شوية شمع محروق، ودخان .. اتهميني هي كمان إني يكفر بتعاليم المسيح والمسيحية.

ولكن كنا لسه عايشين مع بعض .. لكن الموضوع تطوّر جدًا .. لما أنا اكتشفت مخالفات قام بيها أحد القساوسة، وبلغت بيها الكنيسة، واكتشفو لعلّ الواقعة دي، وشلحوه من الكنيسة .. يعني سقطت عنه

الصفة الكهنوتية، والقس ده كان للأسف أخو يوستيا الكبير، وهنا كانت القشة اللي قصمت ظهر البعير.. سابتنى، وقعدت مع أهلها، ومن ساعتها مشفهاش.. يعني مش إنت السبب في اللي أنا فيه.. تفكيري واقتناعي بأفعالي هو اللي وصلني للي أنا في حاليا.. ها.. قولت إيه؟ موافق .. إني أبقي أبوك؟

- موافق طبعًا .. أنا هلاقي أب زيك تاني قين؟

- خلاص بعد أسبوعين هتبتدي في الكنيسة احتفالات أسبوع الآلام، وبعديها هابتدي في الإجراءات رسميًا، وهدخلك مدرسة تكمل تعليمك تاني .. اتفقنا؟

- اتفقنا.

كان هذا مائتفق عليه كُل من فوزي، وحاتم، ولكن كان للقدر تدابير أخرى.. في مساء اليوم السابق لأسبوع الآلام.. اجتمع فوزي، وحاتم وبدأ في تدريب فوزي على إلقاء الترانيم الخاصة بالاحتفالية خلال ذلك الأسبوع ليدق جرس الباب فجأة.. فتوقفنا عمًا بفعالاته، وذهب فوزي إلى الباب ليرى من خلال العين السحرية شخصًا يرتدي ملابس قساوسة، يقف خلف الباب، فنظر إليه بغضب ثم اتجه إلى حاتم وحذثه بصوت منخفض..

- شُش أوزتك يا حاتم، ومتطلعش منها أبدًا.. مش عايزهم

يشوفوك.

هز رأسه بالإيجاب، وأختبأ سريعاً.. دلف من الباب القسيس بعد
أن فتح له فوزي وهو ينظر له بغضب.

- جاي ليه يا رضا.. عايز إيه؟

تركه رضا ودخل المنزل وجلس على الأريكة ..

- إيه يا فوزي مش هتكرم ضيفك .. دي من تعاليم الرب إكرام
الضيف.

أغلق فوزي الباب وحده بضيق ..

- إنت بالذات متكلمش عن تعاليم الرب، وإنت بتستغلها
لمصلحتك، ثم انت لا بس لبس القساوسة ليه.. إنت كده لسه بتخدع
الناس؟.

- أنا مش بخدع حد.. إنت ناسي إني أنا أب من آباء الكنيسة.

- إنت هتجمع نفسك مع آباء الكنيسة العظام.. إنت مجرد
قسيس مشلوح.

نظر رضا له بغضب ..

- وعين كان السبب إني اتسلحت.. مش إنت يا فوزي.. مش
إنت السبب؟

- إنت لسه ليك عين تتكلم وإنت لص بتختلس من أموال الكنيسة.. بتسحب من جيوب الفقراء وتحط في جيبك؟

قفز حاتم فزغاً من مكانه لعلو صراخهما، واقرب من الباب وفتحته ونظر من خلاله إلى رضا الذي يقف أمام فوزي بملايس الفسوسمة السوداء ولحيته الكثة .. وهو يتراشق الكلمات العاضية مع فوزي ..

ابتسم رضا:

- من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.. كلنا بنخطأ يا فوزي.

- أيوه كلنا بنخطأ.. بس مش كلنا رجال دين يا رضا، واشكر ربنا.. إن الكنيسة ما بلغتش عنك ومجنتك.

- كمان عايزي أتسجن يا فوزي.. يا جوز أخي.. مش كفايه إنك كنت السبب في إنك تدمر حياتي وتبعد عني أصدقائي وأقاربي.. أنا ميقتش عارف أعيش من نظرات الناس ليه بعد مكانو بيصولي بوقار واحترام.. دلوقتي يقابلوني بنظرات كلها كره واستحقار.. وكل ده بسببك .

- إنت اللي تتحمل نتيجة أخطاءك مش أنا.

- مكنتش عارف نجي يا أخي؟ ده الكتاب المقدس يقول..

* فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نرضي أنفسنا فليرض كل واحد منا قريبه للخير، لأجل البنيان.

رومية 15 : 1 - 2

* وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعينكم. أحسنوا إلى مبغضيك. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه تشرق شمس على الشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين.

متى 5 : 44 و 45

وظلّ يسترسل رضا في آيات الغفران والمساعدة بالكتاب المقدس.. فشعر فوزي بالضيق من كلامه، فصرخ بآيات من الكتاب المقدس هو الآخر:

" لَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَكْذِبُوا، وَلَا تَغْدُرُوا أَحَدُكُمْ بِصَاحِبِهِ."

اللايين ١٩ : ١١

" السَّالِكُ بِالْحَقِّ وَالْمُسْكَلُمُ بِالِاسْتِقَامَةِ، الرَّاذِلُ مَكْسَبَ الْمُظَالِمِ، النَّافِضُ يَدَيْهِ مِنْ قَبْضِ الرِّشْوَةِ، الَّذِي يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمْعِ الدَّمَاءِ، وَيَغْمِضُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِّ ١٦ هُوَ فِي الْأَعَالِي يَسْكُنُ. حُصُونُ الصُّخُورِ مَلْجَأُةٌ. يُعْطَى شَجَرُهُ، وَمِنْهَا هُ مَأْمُونَةٌ."

اشعيا ٣٣ : ١٥ - ١٦

- أنا كمان حافظ الكتاب المقدس.

نظرو له رضا بغضب وهو يجز على أسنانه..

- ماشي يا فوزي.. ماشي يا جوز أختي.. بقي أنت حافظ الكتاب المقدس.. إنت بقيت قديس.. شعب الكنيسة مبقاش عاجبك، ولا الكنيسة نفسها عاجباك، وكمان ماشي مع عيل مسلم عمال تقول للرايح واللي جي إله ابنك، ومش سائل في يومستيا أختي، ولا مراعي مشاعرها.. متعرفش إن لما وصلها الكلام ده أتألمت قد إيه؟.. إنت دمرت حياتها، ودمرتلي حياتي.

قاطعه فوزي بغضب شديد..

- عايز إيه يا رضا؟.. إنت جاي هنا ليه؟.. يا إما تقول إنت جي ليه؟ يا إما تمشي من بيتي فوراً..
جز رضا على أسنانه..

- ماشي.. ماشي يا فوزي.. أنا عايز تعويض.

فوزي مندهش..

- تعويض.. تعويض عن إيه؟

- تعويض عن حياتي، وحياة أختي اللي دمرتها.. أنا وصلي إنك صقيت أعمالك مع شركاءك، ومحتفظ بالفلوس.. أنا عايزك تدبي حقني، وحق أختي في الفلوس دي.

نظر له مُدهشًا لحظات.. ثم ضحك بسخرية شديدة.. فشعر رضا
بالإهانة من ضحكه فصرخ غاضبًا:

- بتضحك على إيه؟

- بتضحك على كلامك الفارغ ده.. بقى وصلت بك الليحاحه
إنك جابلي بيتي، وتساومني على فلوسي.. عايز تاخذ مني فلوس
علشان عرفت الناس إنك حرامي.. يا بجاحتك يا أخي.. لو سمحت
اتفضل إطلع برّه بيتي حاليًا.

ابتسم رضا له وهو يقف وينظر حوله:

- ماشي.. ماشي يا فوزي.. هو صحيح الولد اللي معاك فين؟..
مشغوش يعني!

- مش موجود هنا دلوقتي، ولو سمحت اتفضل بره بيتي يلا.

تركه فوزي وانجه ليفتح باب الشقة ليخرج رضا منها فتفاجأ
بوجود شايبين واقفين على باب الشقة أمامه.. فنظر إلى رضا فوجده
يبتسم له بخبث.. حاول أن يغلق الباب سريعًا في وجه الشايبين..
فوضع أحد الشايبين يده ما بين الباب حتى لا يُغلقه، وانقضَّ رضا على
فوزي وأزاحه عن الباب بسرعة.. فدخل الشايبان من الباب مُسرعين
وأغلقاه خلفهما ثم انقضا على فوزي بشدة وقبدا حركته، وظلَّ رضا
يراقبهما في سرور.. فنظر له فوزي غاضبًا..

- إيه اللي إنت بتعمله ده يا رضا؟ .. إنت اتجننت؟

- إنت اللي اتجننت يوم مفكرت إنك تبلّغ عني، وتسوّأ صورتي قدام شعب الكنيسة، أنا مش هسيك النهارده إلا لما آخذ حقي منك، ومن اللّذّل اللي سافقتهولي.. بقى حنة شماس زيّك يشلحني أنا؟!

ورأى حاتم ما يحدث من خلف باب الغرفة وهو يشعر بالاضطراب الشديد، لا يدري ماذا يفعل.. أبتدخّل شاولية حماية فوزي أم ينتظر قليلاً حتى يطلب إليه فوزي ذلك.. ارتعب أكثر عندما رأى الشابين يُخرجان مطوّاة من بين ملابسهما ويضعانها على رقبة فوزي.. الذي ظلّ يصرخ في رضا..

- إيه يا رضا.. هتعمل إيه يا مجنون؟.. هتعمل إيه؟.. أنا جوز أختك.

- هههه.. دلوقتي بقيت جوز أختي.. أنا على العموم مش هعملك حاجة طول مانت مهاود، وتسمع الكلام.. شابل الفلوس فين؟ الرجالة قاطرينك من 3 أيام من ساعة لما رحلت خذت الفلوس من عند شركاءك، ومودّتمش البنك من ساعتها.. يعني إنت لسه شايها هنا.. قولني الفلوس فين؟ .. وأنا هاسيك حالاً.

نظر فوزي إلى وجه رضا المتسمم المتشفي، وتفرّس وجهه المُقيت فوجده يتحدثُ بالحقيقة، فهو لن يتركه إلا بعد أن يأخذ منه الأموال،

ولكنه لحسن حظه قد قام بتخينة أمواله بأكثر من مكان بالمرل، ففكر
أن يحبره بمكان منها ليتخلص من الموقف الذي تورط به ..

- ماشي يا رضا.. الفلوس موجودة في الأوضة اللي جنبك تحت
مرتبة السرير بتاعي خدها، ومش عايز أشوف وشك هنا تاني.

هز رضا رأسه مبتسمًا:

- ماشي يا فوزي.. ماشي.

ثم تركه، ودخل إلى الغرفة التي بجواره، ورفع المرتبة فوجد كيسًا
ورقيًا ملفوفًا به النقود فسحبه، وخرج يحملها أمامه..

- إيه دورل يا فوزي؟

- الفلوس اللي شايها.

- لا الفلوس دي قليلة.. شعبان اللي ماسكك ده شغال عند
شريكك، وشافك واحد فلوس أكثر من كده.

وضع شعبان المطواة أكثر على رقة فوزي..

- إيه يا دكتره.. إنت نسييتي ولا إيه؟ فين الفلوس؟ انطق بدل
مخلص عليك!!

ابتلع فوزي ريقه بخوف لأن باقي النقود في غرفة حاتم التي يختبئ
 بها، وإن رأوا حاتم فلن يَسْلَمَ منهم، فظَلَّ يَفْكُرُ ماذا يفعل بصمت ..
 توجه رضا إليه سريعاً:

- مش عايز تقول فين الفلوس .. أنا هأخليك تنطق.

فضربه بشدة على يده المصابة فصرخ فوزي من الألم .. سمع حاتم
 صراخه فلم يستطع أن يتركه، فأمسك مِطْطَاقَ سحائر زجاجية كانت
 موضوعة للزينة في غرفته، وخرج وهو يصرخ وضرب الشاب شعبان
 على رأسه، وهو يرفع سكينه على رقبته فوزي .. فتألم بشدة، ووضع
 يده على رأسه فوجدَ يده بها دماء فنظر إلى حاتم بحنق، وصرخ به وهو
 يحمل مطواته ويتوجه إلى حاتم ..

- بطحني يا ابن دين ...

فترجع حاتم إلى النوراء خائفاً، وشعبان ينقضُّ عليه بمطواته فوقف
 فوزي مسرعاً أمام حاتم ليحميه، لتتفرز المطواة في أسفل معدته
 ليصرخ من الألم ويسقط على الأرض ويصرخ بحاتم:

- اهرب .. اهرب يا حاتم من هنا.

ركض حاتم مُرتعداً، ودخل غرفته وأغلق الباب خلفه بقوة ..
 فصرخ رضا فيهما:

- إنتم مستنين إيه؟ ده شاف كل حاجه متسبهوش خلصوا عليه.

ضرب الشائبان باب غرفة حاتم بكل قوة، واستطاعوا فتحه ليندفع حاتم من بينهما فجأة ويخرج خارج الغرفة.. فيلحق به رضا ويمسكه بقوة...

- تعالى رايح فين؟

وصرخ في الشابين ..

- خلصوا عليه بسرعة.. خلصوا عليه.

هب فوزي بقوة، وهو مُصاب، وغارقٌ بدمائه وأمسك بالشابين وهو يصرخ في حاتم ..

- اهرب يا حاتم.. اهرب يا حاتم.

قام حاتم بضرب رضا بمرفقه في فُم معدته فتركه متألمًا بشدة وهو يصرخ في شعبان، ورفيقه بالألا يترك حاتم:

- متسيبهوش.. متسيبهوش.. آههههه.

فتح حاتم باب المول بسرعة وهم بالخروج ثم دخل مرة أخرى مُسرعًا محاولًا ليجدة فوزي الذي كان ما زال مُسكًا بشعبان، ورفيقه بشدة ولا يريد تركهما.. أمسك رضا بحاتم مرة أخرى عندما عاد من جديد فقاومه حاتم بشدة، وصرخ به فوزي ..

- رجعت ليه يا حاتم؟؟ اهرب.. اهرب يا حاتم.

شعر شعبان بالغضب من فوزي فقام بطعنه أكثر من مرة بشدة وهو يصرخ فيه:

- هُمُوتِك يا ابن الكلب.. هُمُوتِكُم كلِكُم ..

رأى حاتم شعبان يطعن فوزي بشدة فجئن جُتُونُه، فدفعَ رضا جهة شعبان الذي سقط عليه وأوقعه أرضاً، فقام شعبان ونظرَ إلى رضا بغضب وطعنه هو الآخر بشدة في قلبه وهو يصرخ فيهم:

- هُمُوتِكُم كلِكُم .. هُمُوتِكُم كلِكُم .. واخذ الفلوس لوحدي.

نظر له شريكه، وصرخ فيه ..

- إنت بتعمل إيه يا مجنون؟

فطعنه شعبان هو الآخر بقوة.. فسحب شريكه مطوَّاه، وطعن بما شعبان في رقبته فأمسك رقبته وهو يحاول أن يصرخ، فلم يستطع والدماء تخرج من رقبته، ولمه بغزارة.. نظر حاتم إلى الجميع وهم مُلقون على الأرض، وهم يفرقون في دمائهم، وفوزي يصرخ فيه:

- اهرب .. اهرب يا حاتم .. اهر...ب.

كانت تلك آخر كلمة قالها فوزي، وهو ينظر إلى حاتم، والدماء تملأ جسده، وملابسه، وهو ساقط جثة وسط الجثث الأخرى.. كان حاتم ينظر إلى بحر من الدماء يسقط من شلالات عالم الجنون.. مشهد لم يحتمل عقله الصغير رؤيته.. فأطلق ساقيه للريح خارج المنزل، وخارج الشارع، وخارج المنطقة بأكملها.

هائلاً على وجهه مضطرباً مذهولاً.. حاله أصبح رأساً على عقب..
 لا يعلم لماذا، وكيف؟.. هل هو السبب فيما حدث لفوزي؟.. هل هو
 من تسبب بمقتله؟.. فوزي غطاس.. أطيب، وأذكى شخص قد وجده
 في هذه الحياة، فهو الأب الحنون، وهو المعلم الصبور.. فتح له آفاقاً
 في الدنيا من جديد، وجعله يطفو على سطحها بعد أن كان غارقاً
 منسياً في أعماقها.. لماذا؟.. لماذا يحدث له ذلك؟.. لماذا لم يكن مثل
 أقرانه الآن يشغله مشاهدة الكارتون، والألعاب، والحديث عن
 الفتيات؟.. لماذا يجد في طريقه الخوف، الرعب، القتل الجنون؟.. أين
 سيذهب، وكيف سيعيش؟.. من سيحتويه؟.. من سيساعده؟.. هل
 هناك بشرٌ مثل القديسين، والملائكة مثل فوزي؟.. لا.. لا يعتقد قسماً
 رأي وعاش أن البشر هم بشرٌ، فوزي كان هو الاستثناء الوحيد..
 البشر هم البشر.. كانتات وضيفة.. أنانية.. تحب مصلحتها ومنفعتيها
 الشخصية فقط، ولكنهم يعيشون في مجموعات.. هؤلاء هم البشر..
 لا.. لن أستطيع أن أعيش بوسطهم.. ليس بشخصيتي الحالية.. ليس
 بنفسيتي الهشة الضعيفة.. لن أجِد من وسطهم من يُعوضني عن حنان
 فوزي، وعلمه الغزير.

أين أنت؟.. أين أنت يا أي؟.. لا تتركني وحيداً في هذا العالم
 القاسي؟ لماذا تركتني؟.. لماذا توفيت وانت تدافع عني؟.. لماذا ضحيت
 بنفسك من أجلي؟، ولم أستطع أن أبادلك التضحية.. إني حزين.. إني
 أنال.. لا يا أي.. الآلام ليست هي الأحلام.. الآلام هي الأحزان..
 أحزان فقط.. أنا لن أستطيع أن أعيش.. يجب أن أموت.. أن أموت

من أجلك.. هذا هو الحل.. أن موت.. يجب أن أذهب معك.. الحق بك.

نظر حاتم أمامه فوجد سبيلًا من السيارات يجوب أحد الشوارع، فذهب مُسرِعًا إلى أكبر سيارة قادمة، وقفزَ أمامها.. لم يشعر بال ألم.. لم يشعر بشيء.. غير شعور الراحة، والأطمئنان.. إذا هذا هو.. هذا هو الموت.

هذا ما كان يعتقدُه حاتم في تلك اللحظة.. أنه مات، ولكن لم يحدث ذلك.. فصاحب السيارة توقّف بسرعةٍ شديدةٍ قبل أن يرتطم بحاتم الذي سقط أمام السيارة غائبًا عن وعيه.. فدُعِرَ السائق، ومن معه عندما تجمع حوله المارة وأخذوا يصرخون فيه، فحمل حاتم بسرعةٍ ووضعوه بسيارته، وأبلغهم أنه سيوصلُه للمشفى بسرعةٍ وانطلق بسيارته سريعًا، وبداخلها حاتم، وأخذ يصرخ، ومن معه من أصدقائه أنهم سيذهبون إلى السجن.. سوف يُعدمون، والحل الوحيد هو أن يتخلّصوا من الجثة، وبالفعل ذهبوا إلى إحدى المناطق النائية بشارع فيصل.. نعم شارع فيصل، فهو ليس مزدحمًا مثل الآن، بل كان ترعةٌ كبيرة بطول 6 كم، وحوّلها أراضي زراعيةٍ خضراء، وما به من مبانٍ فقط.. بطول 3 كم أو أكثر بقليل مع حلول ذلك الوقت الذي بدأ العمران يزحف على الأراضي الزراعية التي بدأت تتناقص بشدة الآن.. إن لم تكن قد انتهت بالفعل.. توقّفت السيارة عند أحد المباني الذي لم يكتمل بناؤه، وتحول إلى مقلبٍ للقمامة، والمخلفات

لجميع سكان المنطقة، وألقوا بحاتم هناك في سكون الليل، وانطلقوا مُسرعين وسط زفة أحدثتها الكلاب الضالة، وهي تركض وراءهم ..
 لاح الصباح، واستيقظ حاتم ليكتشف أنه لم يُمِتْ.. بل أخذ غفوة كبيرة أراحت جسده المُنْهَك والضعيف، ووجد نفسه يقف في وسط المنزل غير المكتمل ووسط أقوام القمامة، وحوله بعض الكلاب الضالة تومئجه بنظرات ناعسة ثم تتركه، وتنجول في منطقة نفوذها.. وقف حاتم متعجباً.. كيف أتى إلى هنا؟ وماذا حدث له بعد أن صدمته السيارة؟.. خرج من المنزل غير المكتمل البناء ليجد أمامه مجموعة من الأطفال في سنه تقريباً.. هناك من أكبر منه وهناك من أصغر منه، وعندما راوه التفوا حوله كما يلتف النمل على قطعة من السكر، وبدؤوا يصرخون به بأسئلة من نوعية.. إنت مين يا ض؟ ومتين؟، وإيه اللي جابك الطالبة.. أرض الرجولية؟، وأشياء من تلك النوعية.. ثم ائمالوا عليه بالضرب، والسب، واللعن دون أي مقدمات أو مبررات.. فأخذ يصرخ، ويطلب النجدة، وأنه لم يفعل شيئاً لهم.. دون مجيب أو معين.. حتى سمعوا صوتاً قوياً من خلفهم ..

- استنوا يا رجاله.

وقف الأطفال ينظرون خلفهم بإجلال.. فاخترق انجموعة طفل في سن حاتم تقريباً يرتدي (ترنج) أزرق، وملامحه غير وسمية، وجسده مممتلي قليلاً.. فصرخ بأحدهم:

- إيد يا رجالة بتضربوه ليه؟

فتنظر له أحدهم ..

- ده غريب عن المنطقة يا كوجي .. وأول مرة نشوفه هنا.

- طيب هو أي حد غريب عن المنطقة تضربوه على طول كده؟

فتنظر إليه الطفل مُتعجبًا ..

- مش إنت اللي قايلنا .. أي حد يخش غريب اضربوه؟!

فلكمه كوجي في كتفه وهو يشعر بالإحراج .. ثم ذهب إلى حاتم
فوجده يبكي فشر بالشفقة عليه ..

- إنت مين يا كاهن؟، وإيه اللي جابك هنا؟

حدّنه باكياً:

- أنا معرفش أنا فين هنا.

جاربه كوجي سريعًا ..

- إنت في الطالبة .. في الحنة بتاعتنا .. إنت قريب حد هنا؟

- أنا ملبش قرايب .. كل أهلي ماتوا .. حتى أبويا لسه ميت

امبارح.

شعر كوجي بالأسى عليه فربّت على كتفه برفق ..

- متعبطش يا كابتن.. معلش .. مفيش راجل بيعط .. طيب إنت ملكش قرايب تسكن عندهم؟

هو حاتم رأسه نافيًا، وهو يمسح دموعه بملاسه .. نظر كوجي إلى الأطفال خلقه ..

- خلاص يا رجاله .. اسمه إيه؟..

ثم التفت إلى حاتم ..

- هو إنت اسمك إيه؟

- حاتم .. اسمي حاتم

- لا.. مش هينفع اسمك ده هنا ... كل واحد هنا ليه اسم من الكارتون اللي بيحبه.. أنا كوجي دووك فليد.. من كارتون جريندايزر.

ثم إشار إلى طفل بجواره:

- وده بسام، وده ماجد، وده عدنان، وده الليث الأبيض .. كل واحد فينا مسمي نفسه باسم الكارتون اللي بيحبه .. إنت بتحب كارتون إيه؟

بحيرة:

- بحب كل الكارتون ده، وبحب قوي السندباد البحري.. أنا هابقي السندباد.

كوجي نظر إلى أحد الأطفال قصر القامة، وحافي القدمين،
ويسيل مخاطه من أنفه:

- مش هينفع مخيمر واتخذ اسم سندباد .. اختار اسم ثاني.
حاتم مبتسماً..

- علاء الدين .. كان مع السندباد في مغامراته.
ابتسم كوجي ونظر إلى أصدقائه ..

- خلاص يا رجاله .. علاء الدين هيبقى صاحبنا خلاص، وهيبقى
معانا في كل حته محدش يقربله بعد كده ده في حايبي خلاص.
ثم مَدَّ يده إلى حاتم وهو يتبسم:

- هات إيدك يا علاء الدين.

ابتسم حاتم، وهو يمسك بيد كوجي.. هذا الفتى الغريبي الذي لا
يعلم لماذا أحبه؟ وأصبح يطيعه في كل شيء، ويلزمه في كل مكان..
هل لأنه هو الشخصية الألفا.. شخصية القائد الذي يلتف حوله
الجميع يسمعون كلامه، ويتخذون تعليماته.. فهو عندما يريد أن يلعب
ينفض الجميع ما بيده ويبدؤون اللعب معه، وعندما يريد أن يتعارك..
الجميع يلتف حوله، ويدافعون عنه، ويتكئون بأعداته.. أو لأنه يهتم
بمن حوله.. يحاول أن يحل لهم مشاكلهم ويقف بجوارهم في مصاعبهم
دون أن يهتم بتفاصيل حياتهم الشخصية.. فهو لم يسأل حاتم قط: من

أين هو؟ أو عن ماضيه؟، وأسكنه في غرفة أسفل منزلهم يتخذها أهله مخزنًا للأشياء القديمة، ولم يتركه بنام في العراء مثل السابق، وأشركه في عمل عند صاحب ورشة للميكانيكا في منطقتهم.. كان يعمل بها هو بعض الأوقات في إجازته المدرسية.. أعجب حاتم بشخصية كوجي أشد الإعجاب، وتمنى أن يكون مثله شأنا قويًا، ومحبوبًا من أصدقائه، ومن أهل المنطقة الذين احتسوا حاتم بينهم دون أن يسألوه من أين جاء؟ وإلى أين سيذهب؟ تغير وضع حاتم للأفضل أصبح يعمل، وله أصدقاء يفرح، ويمرح معهم.. يشاركونهم أفراحهم، وأحزانهم.. يقال في معاركهم.. يشاهد الكارتون معهم.. يتحدث عن الفتيات مثلهم.. يعيش سنه.. لم يهتم بذهابه للمدرسة فهو كان لا يحبها أصلًا.. أحيانًا قد يشعر بالغيرة من ذهاب كوجي، وبعض أصدقائه إليها، ولكن ليس الجميع كان يذهب للدراسة مثله.

مرت الأيام، وحاتم في ونام، وسعادة.. نسي والدته، وإخوته، وسيسلي، وفوزي، وحياته الماضية بالكامل، وانغمس في نمط حياته الجديدة، وهذا إن دل على شيء.. فإنما يدل على قدرة البشر الغريبة على التكيف.. في أي مكان، وبأي معيشة، وهكذا استطاع البشر أن يتسيدوا هذا الكوكب لما يقرب من 200 ألف سنة، واستمر حاتم يستمتع بحياته الجديدة، والتعود عليها...

- أستاذ حاتم.. يا فتان.. يا فتان!!

صوت أنثوي حادّ قطع ذكريات حاتم الذي أفاق من غفلته فوجد
سحر الصحفية ما زالت تجلس أمامه مبتسمة..

- إيه يا فتان.. إنت مسرحيت بدماغك فين؟

ابتسم حاتم..

- لأ.. مسرحيتش ولا حاجة.. كنا بنقول إيه؟

- كنت بسألك على ذكرياتك في الطفولة.. هل حدث شيء مشير
أو غريب فيها تحكيها لي غداً أنشرها؟

- لأ.. مفيش حاجة مشيرة خالص.. طفولة عاديه للغاية.

وابتسم بسخرية..

- طفولة عاديه جداً.

هزت رأسها مبتسمة وتابعت أسئلتها..

فانرجا بين جيان في علم العنقة						
٧	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣
٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧
٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤
٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١

عودة إيواس

صرخ عادل بأعلى صوته أمام الكائن الشيطاني الذي كان يفتك
بمجموع الشباب:

- أنا هنا.. أنا هنا.. أنا الشمس تعالى هنا، وأنا أخلص عليك..
أنا الشمس.. تعالى..

نظر الكائن جهة مصدر الصوت ثم ففز سريعاً من على باب
إحدى الغرف بالأعلى إلى منتصف غرفة المعيشة بقفزة واحدة.. فقام
عادل بوضع قطعة من القماش داخل زجاجة الخمر ووضع الشمع
بداخلها بعد أن قام بتفتيتها ووضعها في الزجاجة، وأمسك بيده
اليسرى القداحة وهو على أهبة الاستعداد أن يشعل النيران في
زجاجة المولوتوف ويلقيها على هذا الكائن.. الذي وقف في منتصف
غرفة المعيشة، وبدأ يحاول تتبع مصدر أي صوت.. فصرخ به عادل...

- أنا هنا قدامك.. أنا الشَّمَس..

بدأ الكائن يتحرك ببطء جهة عادل.. ربما قد علم بأن عادل أراد أن يتحدها، وقرر أن يقبل تحديه. هذا الكائن الضخم صاحب البشرة البنية؛ الذي يتعدى طوله المترين بكثير، وله قدامان كبيرتان ولديه إصبعان متباعدان في كل قدم.. إنما لا تبدو مثل الأصابع. ولكن هي أقرب إلى الحوافر.. منتصف جسده جلدة كيّف مُغطى بالشعر الأبيض أو بالأفضل توصيفه إلى فراء حيوان ما منقرض، ولديه يدان غريتان.. فاليد اليسرى قصيرة نوعاً ما عن يده اليمنى، وكف يده بها ثقب كبير يبدو كقفوة مدفع أو بركان، ولديه خمس أصابع بعضها بعيد عن بعض بشكل كبير، والثلاث أصابع الأولى مثل مخالب طائر كبير، أما آخر إصبعين فيبدوان مثل أذرع الأخطبوط، وهما أكبر من باقي أصابع يده الأخرى ووجهه ورأسه مُغطى بأشواك سوداء تبدو كأشواك الصبار الكبيرة التي حين تراها تشعر من الوهلة الأولى أنها مسمومة، ووجهه به تجويفان أبيضان يبدو أنهما عيناه وأنف صغير أفطس فوق فم كبير جداً يُقارب 30 سم، وفكه الأعلى مفتوح عن فكه الأسفل بنفس هذه المسافة، وبه أنياب كبيرة. طول الناب قد يصل إلى 8-10 سم.. الكائن بكل هذه الملامح المريعة يتقدم بثبات إليه..

ساحر الكتب

www.sa7eralkutub.com



قيداً عادلاً في إشعال فتيل زجاجة المولوتوف لتفاجأ بشيء غريب.. لم يشتعل الفتيل.. بدأ يقترب الكائن أكثر من عادلاً، وهو يُصدر أصواتاً غريبة، ومرعبة، ألقت الذعر في قلبه، فأسرع في إشعال قطعة القماش، ولكنها لم تشتعل.. شعر بالارتباك فتزَع فتيل زجاجة المولوتوف بسرعة، ونظر بداخل زجاجة الخمر ثم وضعها على أنفه سريعاً.. فوجد ما لم يتوقعه قط.. فوجد أن زجاجة الخمر لا تحتوي على حر بل على ماء، وبهذا لن تشتعل أبداً.. فوجد نفسه يلقي الزجاجة من يده في يأس، ونظراً أمامه فوجد الكائن يقف أخيراً أمامه وهو يزجج بصوت ضخم للغاية، ورفع يده اليمنى بكل قوة وهوى بها على رأس عادلاً.

لولا أن أوقفه صوت باب يُفتح فجأة خلف عادلاً، وتخرج منه جنا، وهي تركض بسرعة ويدها زجاجة حمر صنعت منها قبلة مولوتوف مشتعلة، وألقتها بسرعة على جسد الكائن القابع أمام عادلاً.. فتهتمت على جسده، واشتعل جسده بالنيران، فأخذ يصرخ مُتألماً، وهو يتراجع للخلف، مُبتعداً، ومحاطاً بالنيران يحاول أن يُطفئها بيديه، وهو يصرخ بصوت مُفزع من الألم..

شعرت جنا بالفرح الشديد، وأخذت تنظر للكائن بسرور شديد، وهو يحترق، ويحاول أن يطفى النيران من على جسده ولكنه لا يستطيع.. قفز عادلاً من مكانه، وهو يحدث جنا بفرح..

— برافو عليكى.. برافو عليكى يا جنا.. أنقذتنا كلنا.

خرج أربعة ناجين من الغرف بالأعلى أثار فضولهم أصوات فرح عادل، وجنا، وصريخ الكائن بالأسفل فصرخوا فرحين عندما رأوه يشتعل، وأيقن الجميع بأنهم قد نجوا من هذا الكابوس المرعب للأبد، وهذا ما قد حدث.. أو ما كانوا يظنون قد حدث.

توقف الكائن عن الصراخ فجأة، ورفع فمه إلى أعلى ساحباً الهواء بقوة.. ثم انشخت معدته فجأة بشكل غريب، وبدأت ترتفع عن باقي جسده، والنيرون ما زالت مشتعلة به.. رأى الجميع ما يحدث في اندهاش كبير.. ارتفعت معدة الكائن أكثر فأكثر ثم هبط على ركبتيه بالأرض، ورفع يديه إلى أعلى، وضّم كفيه على جسده، وأخرج هواء بقوة شديدة من الفتحة الكبيرة التي في وسط يديه، وهو يحمل معه مادة سائلة غريبة تميل إلى اللون الأزرق، وفي لحظات انطفأت النيرون من على صدره، وهبط بكفيه على باقي جسده، وعلى معدته التي تناقصت بشكل كبير، وعادت إلى شكلها الطبيعي، وبلحظات قليلة أطفأ الكائن النيرون جميعها التي على جسده بالهواء، والمادة السائلة التي خرجت من الفتحات التي بيده.. نظرت جنا إلى ذلك، وشعرت باليأس فخرجت منها صرخة، وهي لا تعي.. فظفر الكائن بسرعة جهتها، وأشار إليها بكفه اليميني.. فخرجت من الفتحة التي بكفه دفعة من الهواء، والمادة الزرقاء بسرعة شديدة.. اختوتت جسد جنا كطلقة المدفع.. فسقطت جنا، وهي تصرخ على الأرض في وسط ذهول عادل الذي سقطت بجانبه.. حدث هرج ورج من الناجين بالأعلى، وهُموا بالهروب، فالتفت الكائن خلفه مُسرّعاً، وأشار جهة

الأصوات الصادرة من خلفه بكفيه، وبسرعة شديدة خرجت منه
 طلقات الهواء جهتهم فأصابت شخصاً منهم، وابتعد الثلاثة الآخرون
 فظل يُطلق الكائن بعشوائية بكفيه في كل الاتجاهات، وهو يزجج،
 وظل يركّض في أرجاء المكان بأكمله وهو يُطلق الطلقات الهوائية من
 كفيه، والناجون يحاولون الهروب منه.. جتنا تحدّثت بصعوبة إلى عادل،
 وهي تضع يدها على جراحها.. فالحنى عادل إليها، واقترّب منها
 ونظر إلى الجرح الذي في جسده، فوجد طلقة الهواء التي أطلقها
 الكائن قد اخترقت جسدها وأذابته من الداخل وتركّت دائرة صغيرة
 في جسدها، وتساقط منها الدماء بغزارة.. فاقترّب منها وحمل رأسها
 على يديه وقربها من صدره وهي تمسّ له :

- أنا عايزه أسالك سؤال واحد، وتجاوبني عليه بصراحة.

نظر عادل إليها بشفقة..

- قلولي يا جتنا.. عايزه إيه؟

- إنت الشمس.. صح..؟

قالت بصوت متهدّج ومتقطع..

شعر عادل بخيبة الأمل من سؤالها، ذلك ولكنه هزّ رأسه بالإيجاب:

- أيوه يا جتنا.. أنا الشمس.

ابتسمت جتنا بفرح شديد، وهي تبصق الدماء من فمها..

- كنت متأكدة إنك.. الشمس.

ثم صمتت للأبد ..

وضع عادل رأسها على الأرض برفق، ونظر بحلقه فوجد الكائن قد قضى على جميع الناجين بطلقاته الموائية، ولم يتبقّ بالمول غيره.. ظل يطلق الكائن طلقاته في كل مكان، وبشكل عشوائي، وهو يزجر.. فاستسلم عادل لمصره، وسقط، وجلس على ركبته، ووضع يده على رأسه في يأس وهو يتوقع أن يموت بسبب أحد تلك الطلقات الطائشة أو عن طريق الكائن نفسه.. شعر فجأة ببرد شديد يلتف حوله.. ثم بدأت الجراح التي على شكل رموز بجبهته وصدره تشتعل بالألم الشديد، فصرخ وهو يحتضن جسده من الألم وهو يصرخ بشدة.. فلفت صراخه انتباه الكائن الذي علم بوجوده.. فتغير فحيح صوته، وتقدم إليه بنبات، وهو ينوي أن يكمل ما بدأه مع عادل.. ارتسم على وجهه الخفيف شيئاً يشبه الابتسامة المرعبة، وهو يقترب من عادل، ويقف أمامه.. فاصطدمت قدمه بجسد عادل الساقط على الأرض، فارتفعت الابتسامة المرعبة أكثر على وجهه، ومال بجسده الطويل الضخم، ووضع يده على رقبة عادل، ورفعه أمامه مثل الدمية الصغيرة، وقربه من وجهه ببطء وفتح فمه على مصراعيه ليضم رأس عادل الذي نظرت في وجه الكائن فجأة.. ثم ابتسم، وصرخ به:

- ما الذي أتى بك هنا أيها الكلب الأعرج ..؟

ارتسمت ملامح الرعب على وجه الكائن القبيح عندما سمع صوت عادل الذي أمسك يد الكائن اليماني التي يحملها بما يده اليسري، ثم سحبها بشدة إلى أسفل، فقطع ذراع الكائن اليماني..

الذي صرخ فرعاً، وهو يتعد خائفاً من عادل الذي يحمل يده الضخمة كخلة الأسنان ثم نظر حوله فوجد الجثث، والرسومات الحمراء تملأ الغرفة حوله فابتسم ساخراً ..

- يبدو أنه كان هنا حفل صاخب ..

ثم ألقى يد الكائن بعيداً عنه دون مبالاة، وهو ينظر إلى جسده ويتحسسه وهو يضحك بشدة.

- ياله من شعور رائع .. أخيراً قد عدت هنا .. أخيراً.

سمع الكائن صوته وهو يضحك، فقفز مُسرِعاً وركض مُبتعداً عنه وهو يصطدم بكل شيء أمامه .. فنظر إليه عادل ..

- إلى أين أيها الكلب الأجوب؟.. الحفل لم ينته بعد، وبقفزة واحدة كان أمام الكائن الذي فرع بشدة والتصق بالحائط خلفه.. فوضع حاتم يده على ذراع الكائن اليسرى، ونزعه بيد واحدة.. فصرخ الكائن، وهو يتعد بعيداً عنه.. فألقى عادل ذراعه الأخرى بجواره.. ثم ضربه بقبضة يده في قدمه اليمنى.. فتألم الكائن، وهو يحاول أن يركض بقدمه الأخرى التي سرعان ما حطّمها عادل هي الأخرى بقبضة يده.. ثم راقبه عادل، وعلى وجهه ابتسامة شديدة، والكائن يزحف، ويحاول أن يتحرك من على الأرض بجسده الضخم الطويل أمامه.. فتوجّه عادل إلى رأسه، ووضع يده بداخل فكّه، وسحب الكائن من فمه وهو يتجول في غرفة المعيشة ..

- إلى أين أنت ذاهب؟ دعنا نأخذ جولة سريعة في هذا المكان.

وأخذ يتطلع عادل إلى ما حوله، وهو يصعد الدرج إلى الدور العلوي بالفيللا صاحبًا الكائن الشيطاني من فمه الذي لم يصبح لديه حول ولا قوة، وهو يجرّه على درجات السلم، وذراعه مقتلعتان من جسده، وقدماه محطمتان، ويجره عادل ياهانة شديدة.. ثم اصطاحه إلى أعلى في إحدى الغرف، ثم مزّق قدميه ووضع أمامه، ثم بدأ يكتب بإصبعه شيئًا يشبه الطلاسم، والرموز على جسد الكائن، وهو يتسمم، ويحذله ..

- حسنًا أيها الكلب الأجرب.. أنا لن أقتلك الآن.. لأنك ستصبح رسالتي إلى نوبت.. فلنبلغها.. إن إيواس قد عاد، ولم ولن تفلح محاولاتك لإيقافه. ثم حكّ رأسه:

- حسنًا.. إنني لا أحتاجك أن تبلغها شيئًا بقمك.. إذا فهو ليس له فائدة الآن.

ثم وضع يده في فم الكائن، ونزع الجزء الأسفل من فكّه وهو يصرخ متألمًا.. فأمسك إيواس فم الكائن، وهو يتسمم..

- لا تزعج، فإنك لن تحتاجه، فرسالتي على جسدك.

ثم ألقى فك الكائن في وجهه.. ثم فرد أصابعه بكل قوة، وأخذ يطلق كلمات، ومقاطع صوتية بكلمات غير مفهومة، فارتسمت على

كفيه عدة نقوش.. ثم وضع كفيه على الخائط، فارتسمت كلمات، وأشكال سحرية عليه.. فأخذ جسد الكائن، وألقاه في الخائط وسط الكلمات السحرية، فاختفى في الحال، ثم قَذَفَ الأعضاء التي مزَّقها من جسد الكائن معه، وعندما انتهى هَبَّ واقفاً، وأخذ يتمطى بجسده، وهو سعيد..

- آهههه.. إنه إحساس جميل للغاية.. ما أجمل العودة إلى هنا؟

وخرج خارج الغرفة فوجد ثلاثة جنود يقفون أمامه، وعندما رآه بجسده العاري، وعلى جسده ورأسه طلاس ورسوم، ومغطى بالدماء، صرخوا به فجأة، ورفعوا أسلحتهم أمامه.. فتفاجأ إيواس من أشكال الجنود، وأسلحتهم خطّات، ثم رآهم مرتعين منه، فابتسم، ونطق بعدة كلمات:

- باتون.. كي.. لما استيانو.

فارتفع جنديان بالهواء من أقدامهما، وسقطت أسلحتهما، والثالث اقترب منه إيواس وقذفه إلى أعلى فالتصق بسقف القبلا.. فبدؤوا يصرخون، وهم مرتعون.. فجأة سمع إيواس جلبة بجواره، فنظر سريعاً فوجد ضابطاً يشهر سلاحه في وجهه، وخلفه مجموعة من رجاله، والضابط يصرخ به.. فابتسم إيواس بشدة وتقدّم جهته بثبات وبطء.

استيقظ عادل فرعاً، وهو يتذكر ما حدث من قبل في الفيلا..
فوجد نفسه نائماً على الأرض، فهبَّ واقفاً ليجد نفسه في غرفة
صغيرة مُحاطاً بالظلام من جميع الأنحاء.. ثم يُسلط ضوء من مصباح
صغير في وسط الغرفة ليظهر إيواس جالساً على مقعد حديدي، وله
نفس ملامح عادل تقريباً مع بعض الاختلافات الصغيرة.

ابتسم لعادل وهو يضع قدمًا فوق قدم، ويفرد يديه مُرحباً..

- حللت أهلاً ووطأت سهلاً.

مُدققاً مُحملقاً، ومندهشاً..

- أنا فين، وانت مين؟

إيواس مبتسماً..

- أنا من كان صادق الوعد مُنصفاً.

ينظر إليه عادل متعجباً من كلامه، وإيواس مندهش من رد فعله..

- لم تدرك حديثي.. سوف أبسطُ لك الأمر.. أنا ثالث
المستحيلات.

ما زال عادل مندهشاً من حديثه، وبدأ على إيواس الضجر..

- ماذا؟ ألم تفهم؟.. ثالث المستحيلات.. المستحيلات الثلاثة..

الغول والعنقاء والحِلُّ الوفي.. أنا الحِلُّ الوفي..

رفع عادل يديه، وكشفه متحيراً..

- مش فاهم.

ضرب إيواس رأسه مستسلماً ..

"كيف لا تفهم .. إني أخبرك بأني خلّك الوفي .. صديقك الصدوق .. ألا تفهم حديثي؟"

عادل بحيرة ..

- مش فاهم حاجة.

إيواس ينظر حوله مندهشاً ..

- كيف ذلك؟ سوف أُلقي عليك بعض الأبيات الشعرية .. وأبلغني أنك فهمتها أم لا؟

عادل هز رأسه بالإيجاب .. فألقى عليه إيواس بعض أبيات، وهو يتقمّص أداء الشعراء، وهم يلقون القصائد.

"وسار بأركان العقبش مقرنصاً .. وهام بكل القارطات بهنكل

يقول وما بال البحاط مقرطماً .. ويسعى دوائاً بين هك وهنكل

إذا أقبل البعراط طاح بممة .. وإن أقرط الغطوش ناء بكلكل

يكاد على فرط الخطيف ييقبق .. ويضرب ما بين الهماط وكبدل فيا

أيها البعقوش لست بقاعد .. ولا أنت في كل البحيص بطنبل

إنتهى إيواس من الإلقاء، وهو يتسم لعادل ..

- هل فهمت تلك الأبيات الرائعة؟

حاول عادل أن يكتم ضحكك بداخله، ولكنه لم يستطع فانشجر ضاحكاً على أداء إيواس وكلماته ..

- ههههههههه .. شككنا .. وهكلي .. ده شعر .. هههههههههه ..

نظر إيواس إليه غير مبالي، وأشبح يديه بالهواء ..

- حسناً .. حسناً .. فهمت .. أنتم لا تتكلمون العربية بعد الآن .. سوف أحاول أن أتحدث معك بلغة بسيطة كي تفهمي .. فلتسألني عما تريد ..

ارتسمت الجدية على ملامح عادل ..

- إنت مين .. وجايني هنا ليه؟

إيواس مبتسماً ..

- كما أخبرتك من قبل أنا صديقك الصدوق .. يمكنك أن تدعوني الآن بإيواس .. أو أي اسم آخر تختاره .. فكل الأسماء لدي سواء، وأنت الآن في مكان صنعته أنا لكي نستطيع أن نتحدث بحرية كما نريد ..

عادل مندهشاً ..

- إنت إيواس اللي ظهرت لالستر كراولي؟! إنت؟!!

إيواس رفع حاجبيه مبتسمًا ..

- كلامك ليس دقيقًا تمامًا، ولكن تستطيع أن تقول .. نعم .. أنا.

عادل صرخ به غاضبًا بشدة ..

- إنت إيواس .. إنت وكراولي بتاعك ده كنت السبب في كل

اللي يحصلي ده ..

إيواس نظر إلى عادل بغضب شديد، وكاد يتطاير الشرر من عينيه .. فسقط عادل على الأرض فجأة ولم يستطع أن يتحرك من مكانه، وشعر بالدُعر عندما التقت عيناه بعيني إيواس الغاضبتين ..
الذي حدثه بحدة ..

- فلتهدأ أيها الغلام .. أنت لم ترني سوى الآن .. فكيف أكون أنا السبب فيما يحدث لك؟ أيا كان ما حدث .. فلتهدأ، وتقص علي قصتك منذ البداية أولًا.

عادت ملامح إيواس إلى ملامحه العادية، وهو يضع قدمه فوق الأخرى، ويشير إلى عادل بأن يكمل حديثه الذي وجد نفسه يستطع الحركة مرة أخرى فابتلع ريقه، وأخذ يحدث إيواس عما حدث له من بداية مقابلته بمحمود سالم وزوجته هدير مرورًا بالشماس وما لاقاه بعد ذلك في القبلا وقصة كراولي وعبد الله .. وما إن انتهى .. حتى ضحك إيواس بشدة .. فاندحش عادل من رد فعله ..

- بتضحك على إيه .. في حاجة في كلامي تضحك؟

إيواس مبتسمًا ..

- الآن علمت لماذا أنت غاضب .. لا تقلق ..

قالها، وهو يقوم من مقعده ويتجه إلى عادل وهو يحدثه ..

- لا تقلق .. أنت الآن معي .. لا تشغل بالك منذ الآن بكراولي، وحكاياته السخيفة .. أو المدعو الشمس هذا أو غيره منذ الآن .. فكل من يقف أمام هدلي سادمره، وتعتبرك لصداقتي سوف أقضي لك على الشمس هذا الذي تكرهه، وأي شخص آخر تريد القضاء عليه .. فقط سمّه .. ودع الأمر لي .

- بس إنت مقولتلش .. إختارتني أنا ليه بالذات؟ وإنت قوي جدًا .. أنا شفتك، وإنت بتقضي على الكائن اللي موجود بالقبلا بسهولة قوي .. محتاجني أنا في إيه؟

إيواس يضربه بقبضة يده برفق في كتفه .. "هذا السؤال الذي كنت أنتظره منك منذ باكر .. سأشرح لك الأمر بطريقة مبسطة للغاية .. ما هذا العالم الذي تعيش به؟ ما ماهيته؟"

حاول عادل أن يفكر في سؤاله سريعًا ولكن لم يستطع الإجابة ..

إيواس بدأ بالالتفاف حول عادل وهو يحدثه: "لا تعلم بالطبع ولماذا؟ لأن إدراكك لم يفهم ماهية هذا العالم وطبيعته .. فأنتم لم تكونوا

تعلمون بوجود هذه الأشياء الصغيرة التي تسمونها.. بك.. بكثريا،
وفيروسات.. هذه الأشياء لم تكن موجودة في عالمك لأنها لم تكن في
منازل إدراككم.. أنا الآن.. حاضر بوجودي أمامك.. لكن لو
سألتك من أساليب عن وجودنا في هذا العالم لأتكرت، وذلك لأن
إدراكك لم يفهم طبيعة وجودي.. إدراككم يتوقف على تعاملكم مع
العالم من خلال حواسكم، وكلما زادت هذه الحواس زادت رؤيتك
لهذا العالم بطريقة مختلفة، وجميع الأشياء التي لا تتعاملون بها عن طريق
حواسكم.. لا تدركونها، وتصبح غير موجودة مع أنها موجودة
بالفعل، وصدقني هناك أشياء موجودة في العالم الذي نعيش به الآن لم
تخطر على بال بشر في يوم من الأيام..

- السؤال الثاني: هل نحن نسكن هذا العالم.. أم نحن في عالمين
مختلفين؟

جوابه عادل سريعاً:

- إحنا في عوالم مختلفة طبعا.

هز إيواس رأسه ناقياً، وهو يتسمم..

- لأ.. نحن في نفس العالم.. بل إن الكون بأكمله موجود ومتصل
في هذا العالم الذي نعيش به الآن، ولكنك لا تدركه، وتفهم طبيعة
وجوده لأن حواسك لم تلتقطه أو تترجمه إلى أشياء تراها، وتحسها،
وتشعر بها.. أصابتك الحيرة.. أليس كذلك؟

عادل هز رأسه سريعاً ..

- آه -

يتسم له إيواس، ووضع يده على كتفه ..

- صدق أو لا تصدق .. أنا أيضاً لم أكن أعلم بوجود عوالم أخرى غير التي أذكرها بخواصي أيضاً، ومن علمني ذلك هو بشري مثلك لم يستطع مخلوق في هذا العالم أن يؤثر بحياتي مثل ذلك البشري إنه عربي، وبسببه أحببت العربية، وأصبح حديثي كله بها، ويدعى عبد الله الحافظ."

عادل مندهشاً:

- هو ده .. عبد الله حافظ اللي قتله كراولي.

إيواس عقد حاجبيه مندهشاً ..

- ماذا؟! كراولي يقتل عبد الله؟!

- آه أنا قرئت كده في كتابه .. اعترف إنه قتله، وكتب بدمه كتاب القانون.

إيواس يتسم ساخراً ..

- كراولي .. هذا المهرج الأحمق .. يدّعي أنه قتل عبد الله الحافظ .. هذا مستحيل.

- لقد أبلغتك أن هذا الرجل هو من غيّر نظرتي إلى هذا العالم ..
مستحيل أن يستطيع قتله هذا المهرج كراولي .. لأنني قابلت عبد الله
هذا قبل أن أقابل كراولي بسبعمئة عام.

شعر عادل بالاندھاش الشديد من كلام إيواس .. الذي أكمل
حديثه ..

- لا تشغل بالك بهذا الأمر، سوف أحدثك عن عبد الله وكراولي
باستراحة، ولكن ليس الآن .. فلنعدّ لحديثنا .. إن جميع العوالم متصلة
مع بعضها البعض بشكل متوازٍ، وبذلك لا يتشابه بعضها مع
بعض .. كيف ذلك .. حيث إن كل كائن في هذا العالم له حواس معينة
يرى ويعيش بها العالم من خلالها .. فأنتم تستطيعون العيش في عالمكم
من حيث إدراكه بحواسكم، ونحن أيضًا نعيش في نفس العالم بحواسنا
وإدراكنا له، وكذلك الطيور والحيوانات وباقي الكائنات الأخرى ..
هناك بعض الأمور والأماكن التي تتشابه بها حواس جميع الكائنات
لحظات فتدرك وجود هذه العوالم.

بدأ إيواس يلمس يده وجه عادل وكتفيه وذراعه وصدره وهو
يكمل حديثه ..

- أنتم تملكون أيها البشر أجسادًا خارقة .. لم تملك نحن نصفها ..
ثمكّنكم من العيش في أي بيئة، والتكيف مع أي مناخ .. أنتم تُشبهون
حشرة الصرصور يستطيع أن يتكيف أيضًا مع أي بيئة أخرى، ويعيش

في أي مكان، ولكن الفرق بينكم، وبينه أنكم تملكون إدراكًا وحواسًا أوسع مما لديه .. لذلك نحن نُفضل أن نكون بداخل أجسادكم.

- طيب وليه متعيشوش في العالم بتاعكم اللي بتتمو ليه؟.. ليه عايزين تعيشو في العالم بتاعنا؟

إيواش نظر له متعجبًا ..

- ولماذا أنتم أيضا لا تعيشون في عالمكم؟.. لماذا تخترقون الغابات، وتفحصون في البحار، واغيطات؟ تخترعون الطائرات، وتكتشفون الكواكب؟ .. نحن نفعل مثلما تفعلون فقط.

- إحنا مخترقناش العالم بتاعكم، ولا احتلينا أجسادكم.

- لأنكم لا تعلمون كيف تخترقونها بعد، ولكن لو علمتم .. سوف تتحكمون بنا أسوأ من الحيوانات التي تعيش بينكم .. فلتنظر من أتى بي إلى هذا المكان هل أنا؟.. لا .. أنتم .. مَنْ مارستم السحر والطلاسم وتقومون باستدعائنا ليلاً ونهاراً .. ولماذا؟.. هل نحن نجب ذلك؟.. هل ليس لدينا عالم يشغلنا، وحياة نعيشها مثلكم؟.. البشر .. هم من يفعلون ذلك، ولكن في حالتك أنت .. أنا مَنْ تحكم في البشر ليستدعوني هنا، وأما عن سؤالك: لماذا اخترتك أنت؟ هل شاهدت هذا الفيلم الذي يرتدي به البطل ملابس زرقاء ويضع ملابس الداخلية الحمراء فوق بنطاله؟

حرك ايواس يديه بجانبه وهو يقلد الطيور. ويطير في الهواء

- قصيدك على سوبر مان ..؟

ايواس ايتسم بسخرية ..

- آيوه ذلك السوبر .. مان .. لماذا في هذه الأفلام يستطيع
الطيران، وباقي البشر لا يستطيعون؟ .. لماذا؟ .. لأنه مميز .. ليس من
عالمك .. من عالم آخر .. اكتسب قوة خارقة في عالمك، نحن كذلك ..
في عالمنا .. جميعنا لديه قدرات متفاوتة، ولكنها محدودة .. في عالمي أنا
مَلَكٌ، ولكن هناك ملوكًا مثلي كثيرين .. أما في عالمكم هنا .. فأنا إله ..
إذًا .. لماذا نحتاج جسدكم؟ .. هل تستطيع أن تعيش في الماء؟

- ممكن .. بس لو عندي إمكانيات تساعدي.

ايواس ..

- نعم هذه الملابس الضيقة التي تضعونها عليكم في الماء .. ماذا
تدعى؟

- بدلة غطس.

- نعم .. بدلة غطس نعم .. هذا هو الأمر .. عندما نستطيع العيش
في عالمك بمفردنا فهو لفترة صغيرة للغاية .. لأن جسدنا غير مؤهل
لذلك، ولكن عندما نكون بداخلكم .. تصبحون كبدلة الغطس لنا،
ونستطيع العيش في هذا العالم بقدراتنا الجديدة التي شكتنا من التآثر
في عالمنا، وفي عالمكم، وأنت من قد اختارك أتباعي لتعال شرف أن
تصاحبني في رحلتي الجديدة في هذا العالم.

عادل نظر إلى الأرض، وظل يفكر قلبًا، ويسترجع كلام إيواس ثم نظر له متسائلًا..

- بس إنت مقولناش لما أتباعك اختاروني.. ليه كان في منهم عايزي أسب الفيل، واتعذب واحد منهم قدامي؟

- كما توقعتُ منك.. لديك نظرات ثاقبة، وتفكير لامع.. نعم هذه المرة عودتي ليست مرحبًا بها.. فهناك من يريدون مني عن تحقيق ما أهدف إليه، وأن جميع ما حدث لك كان من تحطيط هذه الملعونة لئلا تمنعني من العودة لكنها فشلت.

بفضل ..

- مين دي اللي بتكلم عنها..؟

إيواس ضاحكًا ..

- إنما محبوبتي، وعدوتي.. توت.. أو نويت كما كان يدعوها كراولي.. هذه من تقف لي بالمرصاد وتحاول أن تدمر خططي دائمًا.. لكنها تفشل عادةً.. حسنا ليس دائمًا.. فاجعلت عودتي هذه المرة في ظل ظروف صعبة ومعقدة للغاية.. فقد كنتُ دائمًا أعود بشكل خفي، ودون أن يشعر أحد من البشر بوجودنا، ولكن بفضل نويت هذه المرة فقد عدت مع شخص متهم بالقتل، وفي معاداة مع شرطة البشر، وأصبح الجميع يعلم بوجودك، ومن ثم بوجودي.. وضعت الأنظار علينا، ولكن لا تقلق.. أنا إيواس.. لم، ولن يستطيع أحد أن يقف في وجه مخططاتي.

عادل ينظر إليه بقلق ..

- إنت، ونويت، وكراولي.. أحرار مع بعض.. يا ريت تخرجني من المعادلة بتاعتكم دي.. أنا مش عايز أي حاجة منكم، ومش عايز أدخل في مشاكلكم.. فيا ريت تسيبوني في حالي، وترجعوني زي ما كنت.

نظر له إيواس نظرة غريبة أشعرت عادل بالقلق .. ثم ذهب إلى مقعده، وجلس عليه وحدثه بحدة شديدة :

- بيدو أيها الصغير أنك لم تعلم مع من تتكلم بعد؟

فجأة تنهار الأرض من تحت قدمي عادل، ويهوي بشدة إلى قاع مظلم لا يرى شيئاً من حوله أو أمامه ثم يصطدم بشيءٍ حادٍّ للغاية فيشعر بالألم الشديد وهو ما زال يسقط، لا يدري رأسه من قدمه، وأعلى من أسفل ثم تصطدم يده مرة أخرى بشيءٍ صلب، وحادٍّ للغاية فيجد أصابعه قد بُترت في الحال.. فيصرخ بشدة من الألم، وهو يحاول منع الدماء أن تتدفق من يده.. يصطدم بالقاع فجأة، ويشعر جسده بصدمة شديدة، يحاول أن يتنفس فلا يستطيع من أثر السقوط.. جميع عظامه مهشمة.. لا يستطيع الحركة.. عينه اليمنى مملوءة بالدماء ولا يرى بها شيئاً.. يحاول أن يفتح فمه بصعوبة ليتنفس فيجده مملوءاً ببعض أسنانه المخطمة.. الدماء تسد أنفه.. يبدأ جسده يتنفس تلقائياً لعدم وصول الأكسجين إلى مُحِّه ..

الألم ينتشر في كل جسده، وبدأ يزيد أكثر عندما تشنج جسده لا رادياً.. ألم شديد ظهر عندما اكتشف أن مفصل قدمه الأيسر يحترق.. لا يستطيع الحركة أو التنفس.. يشعر بالألم، ولا يستطيع الصراخ.. جاثم بالظلام لا يرى ما حدث له أو أين هو.. شعوره حد معرفة ما حدث له أقوى من شعور الألم لديه.. يشعر بزحف نوت إلى جسده.. يُضاء المكان الذي هو به الآن فؤادي الإضاءة بيضاء.. يرى عينه اليسرى التي ما زالت سليمة نفسه ساقطاً في شيء شبه البئر الممتلئة بالتواء، والكتل الصخرية البارزة مثل الكهوف، لكنها ليست صخوراً بل قطعاً من الفولاذ المقوى والمصقل مثل سيوف، وهو ساقط فوق إحدى قطع الفولاذ هذه والتي اخترقت صدره مثل السكين الضخم ورأى ذراعه اليمنى منفصلة عن جسده، علم الآن لماذا لم يكن يشعر بها، وركبته اليسرى المحترقة التي جعلت مشط قدمه بجوار فخذه.. طعم الدماء النحاسي في فمه يملؤه.. شعور العجز مع الألم مع قلة الخيلة، وعلمك باقتراب موتك شعور لا يمكن لكائن حي أن يتخيله.

علم عادل أنه الآن في عداد الأموات، وأنه لن يستطيع أن يغير شيئاً في ذلك الأمر.. عندما رأى إيواس يقف أمامه، وينظر له بنظراته الغاضبة، وهو يضع يده بسرعة فتخترق صدر عادل، ويسحب قلبه منه، ويسكه بيده، ويقضم قطعه منه، ثم يُلقى بقلب عادل في عينه اليسرى التي يرى بها.. ثم ظلام كامل..



٥٩٦

مرهقاً ومُتعباً، وجسده مليءً بالكدمات، ووجهه يعلوه بعض
الكدمات باللون الأزرق البنفسجي والأحمر الوردي.. يخرق كريم
منطقته الشعبية والجميع ينظرون إليه ويهمسون.. فيقابه أحد المارة
فيحييه وهو يضحك ..

- مبروك عليك الحيس يا عم كريم .. تعيش وتندوب ..

برمقه كريم يضيق ..

- الله يبارك فيك .. عقبالك ..

ويتابع طريقه ويترك الذي يحدثه في صدمة من كلامه.. اقترب من
مقهى أمامه وجلس على مقعد بجوار أحد الأشخاص الذي رحّب به ..

- ألف حمد لله على السلامة يا كريم ..

- الله يسلمك يا سعد ..

نظر سعد إلى كريم مُتفرساً في وجهه، وأشار إلى الكدمات التي في
وجه كريم ..

- إيه الألوان اللي في وشك دي يا كريم.. هما عملو فيك إيه؟

أشار كريم بإصبعه إلى الكدمات التي تعلوه ..

- لأ .. دوول رسمولي علم مصر.

سعد مبتسمًا:

- هما ضربوك؟

- لأ.. كانوا واخدتني في القسم يلعبوني طاولة.

اقترب منهم صبي القهوة وهو يتسم في وجه كريم:

- أستاذ كريم .. حمد لله على السلامة.. نورت الحتة.

- بنورك يا موزة.. هاتلي واحد قرفة على ينسون ..

نظر موزة له مندهشًا ..

- إيه قرفة على ينسون؟ وهتعرف تشربهم دوول إزاي ؟

أشاح كريم له بيده ..

- يا عم هشرهم .. أنا شربت حاجات في القسم .. طلعت البلاء

على جتقي.

ابتسم موزة، وتركته متصرفًا إلى الداخل.. يتحدث سعد مستفسرًا..

- هو اللي يقولو عن عادل ده حقيقي يا كريم؟

- هو عادل فعلاً الشمس؟

حذنه كريم بغضب ..

- يا عم شمس مين؟.. ده عادل أغلب من القلب.. هو انتم مش عارفينه يا جدعان.. ده كان ليل لخار معانا.

نحدث أحد رواد المقهى معترضاً ..

- يا عم هي الحكومة يعني متكذب ليه؟ هتبلى على الرجل يعني؟ دي الحكومة عارفة كل حاجة، ومدام قالت هو الشمس.. يبقى هو الشمس.. إنت مبتشفس التلفزيون ولا إيه؟

- يعني يا جدعان هتصدقو التلفزيون، والحكومة، وتكذبوا ابن حنتكم اللي عايش معاكم ووسطيكم؟!

صرخ به الرجل:

- عايش معانا فين؟ هما 10 سنين بس اللي شفناه فيها، وقبل كده محدش فينا كان يعرف عنه أي حاجة.. طلع في وسطنا كده زرع شيطاني.

وقف كريم غاضباً وهو يصرخ في الرجل ..

- اسكت يا جدع انت.. أحسن كلامك بيتوفتي.. متخلنيش أنغالي على أهللك على الصبح.

ألقى الرجل الترجليه التي ينقشها غاضباً، ويوقف لكرم وهو غاضب ..

- ميفاش إلا أنت ياض إنت.. يا رد السجن اللي هتغابي علي، ولا أنت، ولا عليكك كلها تقدر تعملها معايا.

تدخل رواد المقهى، والمارة في المشاجرة بين كريم، والرجل محاولين قتلتهما، وقاموا بسحب الرجل بعيداً عن كريم وسعد أمسك كريم من يده وهذنه وجلس معه ..

- اهدا.. اهدا يا عم كريم.. إنت لسه راجع من مشكلة، وجيت بالسلامة .. مش عايزنك نخش في مشاكل تاني.
بفضب..

- للدرجة دي يا سعد.. الناس تكذب ابن حنتها، وتصدق التلفزيون.
سعد ابتسم له ..

- يا عم ماحنا كنا بنقول على الإعلام سحرة فرعون مكتوش بتصدقونا وتضحكو علينا.

- يا عم سعد بقى مش كل ما هتطلع مصيبه هتقولي بقى سحرة، وعيبك، والكلام بتاعك ده .. هتخليني يا أخي أدم إني بتكلم معاك.
- خلاص.. خلاص.. إحمد ربنا إنه خرجك من القرية الظالم أهلها، وإحمد ربنا أنها جت على قد كده، ده في ناس أهاليها متعرفش عنها حاجة.

- الحمد لله أنا أحسن من غيري.. ده في ناس.. اللهم عافينا.. أنا شفت واد عنده 16 سنه متهم إنه وقع طباره الله يكون في عون عادل بقى من اللي هيشوفه.

- هما مسكو عادل بصحيح؟

- آمال يعني خرجوني كده الله يا عم سعد إنت كمان؟!

قطع حديثهما وجل دخل عليهما فجأة، وهو مبتسم:

- السلام عليكم.. أستاذ كريم فين؟

فاشير سعد إلى كريم:

- أهه..

كريم مرتابًا..

- أبوه أنا.. مين عايزني مباحث؟.. أنا لسه مخارج يا باشا والله.

ضحك الرجل:

- لأ أنا مش مباحث.. أنا محمود حسين.. معد في برنامج الأستاذ

قاصي.. عرفنا إنك لسه خارج النهارده، وكنا عاملين حلقة عن الشمس، وعايزينك معانا في الحلقة.

كريم غاضبًا..

- أنا معنديش حاجة أقولها، ولا لقاصي، ولا لغيره.. ثم إنتم كل

اللي بيطلع معاكم بيتحبس، وهو مروح.. لا يا عم شكرًا.

تدخل سعد ملاحظاً:

- استنى بس يا كريم.. عن إذنك بس دقيقة لوحدين يا أستاذ.
هو المعد رأسه مبتسمًا، وابتعد عنهما قليلاً، وأخرج هاتفه ليجري
مكالمة.. فاقترب سعد من كريم، وهمس بأذنه:

- يا عم كريم.. مستعجلش.. دي فرصة جاتلك لحد عندك..
اللقاء هبقى على الهواء، وقاصي آلاف من الناس بتابعه يومياً دي
فرصتك تبين للناس إن عادل مش هو الشمس، وإنه مظلوم، وأديك
انت شفت الإعلام بيأثر على الناس إزاي.. إنت عارف إن عادل في
شدة دلوقتي، وإنه في أشد الاحتياج لأي حد يقف معاه دلوقتي.
فكر كريم في كلامه قليلاً..

- فعلاً عندك حق.. أنا هاطلع في التلفزيون علشان خاطر عادل،
علشان برضو الواحد يحكي لعياله فيما بعد إنه طلع على الفضائيات.
نظروا إلى معد البرنامج وهو يتسم:

- أنا موافق يا أستاذ إني أطلع في البرنامج.
فأزاح المعد الهاتف من على أذنه، وأخرج كارتًا وأعطاه لكريم:
- خلاص يا أستاذ كريم هتبقى الساعة 6 بكرة على بوابة 2 في
مدينة الإنتاج الإعلامي، واحنا هننتظرك هناك.

ودعهما فراقه كريم وهو يغادر مبتعدًا عنهما.. ثم وقف يصرخ
في رواد المقهى ..

- بكوه هاطلع في التلفزيون يا غجر..

ثم جلس أمام مسعد الذي راقبه وهو مبتسم ..

- فرصة .. أحاول أثبت براءة عادل.

فتح عينيه صارخًا من الألم وتذكر مشهد إيواس، وهو يعتصر
قلبه.. فوجد نفسه في مكتب، وأمامه بعض الأشخاص ينظرون له
باندهاش.. لحظات، وبدأ عادل يعود إلى وعيه.. وأدرك أنه ما زال
حيًا حاول أن يقف فوجد قدميه مكبلتين بالسلاسل الحديدية.. حاول
أن يحرك يديه.. فوجدها خلف ظهره مكبلتين بالقيد الحديدية..
صرخ بفرح:

- أنا لسه عايش.. أنا لسه عايش..

فوجد شخصًا يضحك، وهو على مكتبه ..

- أبوه لسه عايش.. إيه؟.. إنت كنت فاتم ولا إيه؟..؟.. صباح

الخير يا عم الشمس..

نظر له عادل غاضبًا.. فابتسم شريف مندور ..

- آسف.. آسف.. قصدي يا عم إيواس.

تفاجأ عادل من سماع اسم إيواس من شخص آخر.. فنظر حوله متعجباً أين هو؟.. فوجد نفسه في مكتب فتحيم، ويجلس أمامه على أحد المقاعد شريف مندور، وعصام يقف خلفه، وخمسة جنود أمن مركزي بملابسهم الكاملة يصوبون أسلحتهم جهنم، وهم يتلعون ريقهم برعب، ويتحاشون النظر إلى عينه.

حدث عادل شريف مندور مندهشاً..

- أنا فين، وأنتم مين، ومكتفي كده ليه؟

شريف مبتسماً..

- إنت لحقت تنساني ولا إيه؟.. يا عم إيواس.. المقدم شريف مندور.. مش قعدنا نلدرش مع بعض قبل كده، وقوللي إنك مش الشمس؟!

نظر عادل له مندهشاً، ثم نظر إلى عصام الذي يقف خلف شريف.. فوجده مرتاعاً يبدو عليه ملامح الخوف الشديدة، وهو يتحاشى النظر إلى عينه أيضاً.. ففكر قليلاً ثم تحدث إلى شريف مندور:

- أنا مش إيواس.

شريف ابتسم بسخرية..

- الله.. مش إنت بقزع لما بقلك الشمساس، وقعدت تقولي أنا
إيواس.. جاي دلوقتي تقولي أنا.. مش إيواس؟ حيرتني معاك.. هو
صحيح اسمك الجديد النهارده إيه ؟

- أنا اسمي عادل مهران.. لا أنا الشمساس، ولا إيواس.. إنتم
مكتفني كده ليه؟

- مش عارف ليه؟ إنت مش مَوْت 3 في الزنزانة اللي كنت فيها
قبل كده، ولما كنا لوحدين بتتسجوبك كسرت إيدين أمعاء الشرطة..
لازم تتكثف كده علشان نعرف نتكلم معاك .. إحكي لي بقي.. مين
اللي بيساعدك في جرائم القتل اللي إنت عملتها دي كلها، وعددكم
كام، وانتم تنظيم سري، ولما طايفة دينية جديدة؟، ولما ملأ أهاليكو إيه
بالظبط؟

.. خائفًا ..

- أنا ولا في تنظيم ولا في زفت ولا عملت حاجة.

- عايز تفهمني إلك قتل كل دول لوحدهك.. أمال العيال اللي
لقينا جنتهم في ألقبلا معاك، وبقايا طقوس سحرية يعرفوك إزاي
ومنين.. انطق يا بني وارحم نفسك ..

عادل منهارًا ..

- أنطق أقول إيه؟ مش هتصدقوني.. محدش هيصدقني.. مش أنا اللي قتلهم.. أنا مبعرفش أديح فرخة ..
حدته شريف جمدوء ..

- بص يا عادل.. لازم تعرف إني أنا هنا الوحيد اللي حاميك..
إنت عارف أهالي العيال اللي ماتو في الفيلا دورل مين، ولا أهالي،
وأصحاب رجالة القوات الخاصة اللي موثم دول هيعملو فيك إيه لو
خطيت خطوة واحدة يره باب القسم ده؟!.. أنا الباب الواقف في
وش الموت بالنسبة لك.

عادل صارخًا:

- والله مانا.. أنا معملتش حاجة.. أنا مش عارف كل ده
بيحصلني ليه؟.. أنا عملت إيه في حياتي؟.

كظم شريف غيظه بضيق، وجزّ على أسنانه.. فتحدثت عصام
جمدوء إلى عادل ..

- قول يا عادل.. مين اللي معاك علشان نقدر نساعدك..
اشرحلنا كل حاجة بالتفصيل.. علشان متشلش إنت القضية لوحدك.
عادل بضيق ..

- مش هتصدقوني .. والله ما هتصدقوني.
شريف بلا حقه ..

- هصدقك .. والله لنصدقك .. بس احكي يا بني قول.

عادل لا يتحدث .. ثم فجأة ينظر بجواره ثم يهز رأسه .. فيتسم
شريف بسخريه وهو يراه يفعل ذلك:

- إيه ؟ .. بتعمل إيه .. ؟

- إيواس كان بيكلمني .. قاللي إني أحكيلكم كل حاجة.

- تاني إيواس .. ماشي .. ماشي .. قول وخلصني.

بدأ عادل يشرح لهم ما حدث له في الفيلا عند هدير، ومقتلها،
وصراعه مع محمود سالم، ثم رحلة هروبه إلى فيلا عائلة صديقه كريم،
وما لقي هناك من أهوال وما شاهده من أحداث حتى التقى بإيواس ..
بطريقة شبه مختصرة، وأغفل ذكر تفاصيل كثيرة، ولكنه حكى معظم
ما حدث له، وعندما انتهى نظر إلى من حوله يحاول أن يستشف أثر
ما حكاه على وجوههم .. فوجد عصام يلعب ريقه في خوف، وجنود
الحراسة ظلوا ينظر بعضهم إلى بعض، وهم مرتاعون لما سمعوا .. أما
شريف فكان يتكئ على مكتبه، وهو يسند رأسه على يده يستمع
إلى عادل في صمت، وعندما انتهى من سرده .. تنهّد شريف طويلاً ثم
قام بصفع عادل على وجهه خمس مرات بكل قوة وسرعة .. فنظر له
عادل بغيظ شديد، وهو مذهول من رد فعل شريف الذي صرخ به:

- إنت هتستعبطلي بروح امك .. عمال أحيل في أهلك واقولك
يا بني، ويا حبيبي، وساعدتك عاملي فيها مجنون، وعمال بترطملي

بالعربي وتعلمني فيها ملبوس مرة ومجنون مرة.. إنت فاكوتي قاضي
للعب العيال ده يا بن ال ١٩٠٠

أكمل سبابه.. ثم هبّ واقفاً، وأمسك برأس عادل وهو يهذه:
- وحياء أمك لانا منسيك إسمك.. أنا هعلمك إزاي لما تسمع
اسم شريف مندور تقوم تكلم نفسك.
وظل يحدق في عيني عادل الذي وقف في مكانه فجأة، وأخذ
يبتسم له:

"ماذا استفعل؟ .. ستصفعي مرة أخرى؟

شريف تفاجأ من قدرته على أن يقف وهو مُكبّل، ولكنه حاول
منع ما ألم به من خوف:

- أيوه.. أنا هعلقك من رجلك على الفلكة زي العيال، وأعلمك
من جديد إزاي تحترم أميادك يا بن ال ..
ابتسم عادل أكثر ثم حدّثه بمدوء:

- إذا لن تحتاج إلى تكييلي مرة أخرى ..

فسحب يديه المكبلّة خلف ظهره فجأة.. فتمزّق القيد بسرعة،
وفتح رجله قليلاً إحداهما عن الأخرى فتحطمت السلاسل الحديدية
التي تكبل قدميه، وبديه أمامه، وهو فاتح كفيه أمام شريف الذي

تراجع مُفاجئاً لما شهده، وتراجع معه الجنود وعصام خائفين عدة خطوات.. فنظر له إيواس:

- ها أنا جاهز لكي تعلّمني يا سيدي كيف أحترم أسياي.

وقف شريف وهو ينظر له مُرتاباً.. فحدثه إيواس مُبتسماً:

- ماذا؟.. ابتلعت المرة لسانك؟

ثم جلس على المقعد مرة أخرى.. فصرخ به شريف..

- قوم يا بن ال.. انت متقاعد قدامي، وأنا واقف؟!

وضع إيواس قدمه على قدم..

- ماذا سوف تفعل؟.. سوف تستدعي ولي أمري؟.

وضحك بشدة.. فصرخ به شريف..

- أمّا خليتك تندم على اليوم الذي اتولدت فيه يا عادل.. مبقاش

أنا شريف مندور.

وقف إيواس سريعاً ثم نظر بغضب إلى عين شريف الذي لم يتحرك

من مكانه..

- فلتسمعي أنت أيها الطُفُ الصغير، ولتحفظ كلامي هذا بأذنيك

هاتين.. سوف أقتل الجميع هنا.. إلا أنت سوف أتركك وشأنك

الآن، وعندما تشعر بالأمان، وتظن أنك نجوت سوف أنزع قلبك من

جسدك، وأعتصره أمامك.

شعر شريف بالإهانة أمام رجاله أكثر مما شعر بالخوف.. فأخرج
مسدسه، ووضع قوته فوق رأس عادل:

- متعترش بنفسك يا شمس.. أنت لسه عايش، وبتكلم علشان
لسه عايزك عايش، واعرف إن روحك يايدي وقت ما هعوزك
تموت.. هتموت، ومالكش ديه إنت، وأهلك كلهم.

فجأة اختلف سلوك عادل للنقيض فصرخ فجأة:

- أرجوك متموتيش.. مش أنا اللي كلمتك كده يا باشا، والله
مانا.

ثم وضع يده فوق رأسه، وهو خائف، ويترجى شريف للإبقاء
على حياته.. شعر الجميع بالاندهاش من أسلوب عادل المغاير، وشعر
شريف بالغرور مرة أخرى والنشوة عندما رأى عادل يترجاه، وهو
خائف، ورأى في ذلك تعويضًا له عن إهانة أمام رجاله، فسحب
سلاحه إلى مكانه مرة أخرى، ونفخ صدره بفخر، وهو ينظر إلى
رجالته مرة أخرى، وصرخ في جنوده..

- رجّعوه تاني للزنازة بتاعته.

فاقرب منه الجنود وهم يصوبون أسلحتهم جهته، وأمسكوه من
يده وهم خائفون وانساق معهم عادل، وهو مستسلم لهم، وتبقى

بالمكتب بعد انصرافهم شريف، وعصام الذي جلس على المقعد أمام شريف منهارًا وأخذ يحدثه بلهفة ..

- تفكر يا باشا الواد ده بيتكلم بمجدة؟ وإن السحر، والحاجات اللي حصلتله دي حقيقي؟!

مستكرًا :

- إيه اللي بتقوله ده يا عصام؟ ده أنت راجل مثقف.. سحر إيه، وغفارت إيه اللي بيعكي عليها؟.. الواد ده حاجه من الاتنين.. يا إما يكون مجنون، وعنده شخصيتين.. يا إما يكون يستعبط ووراه عصاية، والظاهر إهم بينفذوا مخطط خطير للغاية في قلب البلد، وده اللي أنا متوقعه لأنه حتى لو مجنون مش هيقدر يخلص لوحده على 10 رجال مدججين بالسلاح من رجالة العمليات الخاصة.. أكيد في حد يساعد الواد ده.. قوات ثانية مدربة ومجهزة بأحدث الأسلحة كانت موجودة في الفيلا ساعة الانهزام، وهي اللي عملت كده.

- بس يا فندم.. إحنا فتحنا الفيلا كلها ملقناش أي حد غيره، واللهم احفظنا الميتين اللي هناك .."

شريف ينظر إلى الأرض، وهو يحك ذقنه ..

- أكيد.. أكيد.. في باب سري في الفيلا دي.. يمكنهم إهم يدخلوا، ويخرجوا منهم تاني من غير ماحد يحس.. أنا عايزكم تروحو

تفتش الفيلادى تاني، وتقلبوها من فوقها لتحتها.. إن شاء الله حتى
قدوها.. شوفولي المخبأ بتاعهم فين؟

غادر شريف مكانه، وذهب إلى مكتبه وارتي جاكيت بدله
واستعد للمغادرة:

- بقولك إيه يا عصام.. أنا رايح أستجوب العيال بتوع المبتال
اللي صبحناهم ماتوا في الفيلادى.. عايزك تتحقق على الشماس زي
عينك.. ميخرجش برة زنزانته، ولا في بني آدم يدخل أو يخرج طول
منا مش موجود.

هز عصام رأسه ثم تركه شريف ويخرج من مكتبه مسرعاً ..

جندبان ينظرون إلى عادل من خلال نافذة الباب الصغيرة وهو في
زنزانته ويتهاشم بعضهم مع بعض ..

- شفت ياض يا عوض.. اللهم احفظنا المسجون ده.. شفت
كسر الكلابشات إزاي يا وله ..

فجأوبه عوض خائفاً ..

- لأ، وكله كوم، ولما برطم بالتركي للباشا شريف كوم تاني،
وبيقولوله اسمعني أيها الهر الصغير سوف مش عارف إيه، وهعمل فيك
إيه.. هو ياض يا حامد يعني إيه الهر الصغير اللي قال عليها دي ..؟

أنشاح حامد بيده بضيق ..

- وأنا إيش عرفني أنا يا عم .. شايفني بتكلم تركي؟!

رفع عادل وجهه لهم وهم يتحدثون، ونظر إليهم بغضب ..

- يا نمار إسود ده بيصلنا ياوض يا عوض .. اخلع يا واد .. اخلع.

فقرروا هاربين وهم خائفون ..

إخترق شريف مندور الطرقة الطويلة داخل القسم وتوجه

للخارج .. فركض وراءه المجند جابر وهو يصرخ عليه ..

- شريف باشا .. يا باشا ..

إنفت شريف وراءه سريعاً فرأى جابر يركض باتجاهه فتجاهله

ومشي بطريقه .. فأسرع جابر في ركضه، ولحق به .. فحدثت شريف،

وهو يمشي خلفه، وشريف لا يعيره اهتماماً ..

- شريف باشا .. أقدر أعرف إنت مدي تعليمات مرووحش ليه؟

حدثه شريف، وهو يمشي بطريقه، وبدون اهتمام ..

- إنت هتبات في القسم القتره دي لحد ما تخلص قضية الشماس.

جابر حدثه بغضب ..

- آيات في القسم ليه يا باشا؟ ثم أنا مائي ومال القواضي ولا
فيلة.. أنا رديف لفاضلي 5 أيام وأخلص جيشي خالص، ولمؤاخلة أنا
هاروح ومحدث له عندي حاجة بقي.

نظر له شريف بلا مبالاة ثم أسرع في مشيه.. فحاول جابر أن
يلحقه ..

- ماشي يا جابر رَوْح بس علشان تبقى عارف إن لو لقينا مجند
بيبع حشيش حتى ولو آخر ساعه في جيشه.. يبقصد دفعة، وبيتسجن،
ومش في السجن بتاعنا.. لأ في السجن الحربي، وإنت عارف السجن
الحربي عامل إزاي؟!

يضعق جابر من كلام شريف الذي وقف وابسم له ..

- هتبات في القسم متروّحش.. تخلّص قضية الشماس، وهتروح،
وإنت تخلّص جيشك، ومعاك هدية مني للعروسة.

ثم تركه، وذهب في طريقه، وجابر ينظر له، وهو يغادر وهو يجز
على أسنانه.

وجد عادل نفسه في الغرفة المظلمة مرة أخرى، ووجد أمامه
أيواس يجلس على مقعده كالسابق، ولكنه لا يتسم له مثل السابق ..

فشعر بالخوف الشديد وتذكر إحساس الموت الذي مرَّ به خلال السابق.. فنظر إلى إيواس، ولم يتحدث.. فنطق إيواس سريعاً..

- هل علمت مع من تتكلم الآن أيها الصغير؟

عادل لم يُحرِّك شفتيه وفُضِّل الصمت التام..

فحدث إيواس مسرعاً..

- عندما أتحدث معك أظهر لي احترامك.

فنظر عادل إليه خائفاً..

- حاضر.. حاضر.. أنا أسف، ومش هكرّر اللي عملته تاني.

- هذا الأفضل لك.. إني أستطيع أن أشعرك بالموت ألف مرة باليوم الواحد لدرجة أن تمنى الموت فعلاً، ولن تحصل عليه.. أنا لست كالشرطي البشري ذلك.. أهدد الآخرين بسبب سطوتي، ونفوذ بيتهم.. أنا أهدد الآخرين من منطلق قوتي، وقدرتي.. قوتي وحدي من تحوّل لي أن أفعل ما أريد.. أن أقاتل من أشاء، وأحقّق ما أشاء.. إياك ثم إياك أيها الصغير أن تنسى أنك عندي مجرد بدلة غطس.. مجرد بدلة أستطيع أن أرتديها وقتما أشاء وأن أمزّقها وألقيها في النفايات وقت ما أريد.. أنا أعلم أن حياتكم أيها البشر صغيرة، وقالفة.. هي عندنا كنزيرة حياة الذبابة.. غاية وجودها في العالم أن تنشر الأمراض، وتثير الاشتتزاز، ولتعلم كم ستكون الحياة رائعة بدوهم.. هذا هي آراؤنا بكم.. نعم أنا في حاجة إليك الآن، ولكن لا

تفهم هذه العلاقة خطأً.. أنا أحتاج إلى جسدك فقط، واستطيع أن أُلقي وجودك كلية، ولكني لا أحبذ ذلك.. أنا معك الآن أو بالأدق.. أنت الذي معي الآن.. إذا مُنيتَ أو أبيت.. فحجب أن تتعامل معي على أساس هذه العلاقة.. أستطيع أن أحقق لك كل ما تحلم به.. أي شيء تريده أن يتحقق سوف أحققه لك أو أستطيع أن أحيل حياتك إلى جحيم.. تعيشه في كل لحظة من عمرك، ولك مطلق الاختيار.. ماذا تريدني أن أكون لك .. عدوًا .. أم صديقًا؟

عادل فُكّر سريعًا في كلام إيواس وهو يرفضه، ولكنه نظر إلى موقفه بتجرد شديد.. فهو الآن في وسط الشرطة منهم بمرانم قبل كثيرة، وفي وسط معركة ما بين مخلوقات من خارج هذه العالم، وإيواس ما زال يملك العلية في هذا الصراع حتى الآن، وله القدرة أن يُشعِره بالجحيم مثلما حدثَ بالسابق.. إذا لا يوجد خيار لأي شخص عاقل غير ذلك .. إذا لم تستطع أن تزمهم فلتضم اليهم .. فنظر إلى إيواس بحزم:

- أقتنى .. أن أكون صديقك.

فابتسم له إيواس ..

- نعم الاختيار.. أهلاً بك يا صديقي، ولأننا أصدقاء سوف أطلعك على وضعنا الآن، أنا قوي.. قوي للغاية، وب نفوذ ومالك لا تُعدُّ ونحصى في عالمي، ولكني كنت مسجوناً، والآن أنا مُطارَد في

دفاع کے دل Opkyk اسے فتح کرنے کے لئے راضی اب یہ امن
Bammer Iwas بڑھنے کا وقت ہے جبکہ

نیز خیریت ہے تو ایسی صورت حال Opkyk میں دیکھی جائے
خیریت میں ہی رہیں مگر یہ بات ہے کہ یہ خیریت ہی ہے



فلت تدور هذه الكلمات والحروف المختلطة بالخاص حول
الغرفة وهي تصدر صوتاً شديداً وعادل ينظر إليها متعجباً .. ثم شئت
أيواس أصابعه أمام فمه ثم رفعها إلى أعلى رأسه وأخذ نفساً عميقاً..
فتمزقت الملابس التي على جذعه الأعلى.. ثم صرخ بكل قوة

- زلت تدور هذه الكلمات .. ربالد باهمن .. كاهو كو.

فانسحبت الكلمات التي على الخائط فجأة، ثم التفت حول جذع
أيواس، وهي ما زالت تدور حول جسده بسرعة شديدة. فصرخ
بقوة ..

- اسكن الجسد.. ما أيلان ايها.. صمى نى گوشت رهنه.

فتوقفت الكلمات على جسده وأصبح جسده مفتطاً وموشوماً
بالكلمات والحروف الخليفة من عدة لغات معروفة وغير معروفة ..

ثم أغلق عينيه وظلَّ يُصدِرُ صوتًا أشبه بالغصمة بنغمة واحدة:
 "..... بيبا.. البسبب..... وموت.. انتنت
 ننتن.. موت كمي هت هملعوى برى برى كرى
 البسبب..... بركات ادبرا.. بركات دين.. فالتسكن فوق
 كفي الموت.

وشدَّ يديه إلى أعلى وفردَ كفيه وباعد بين أصابعه بقوة.. فاخفت
 الحروف التي على جسده، وظهرت وشوم وكلمات عربية على كفي
 يديه وأصابعه بالكامل.. عادل ما زال يشاهد كل ذلك بوجوم
 شديد.. فتوقف إيواس عما يفعله وابتسم إلى عادل وأظهر لعادل
 كفيه وهما مملوءتان بالوشوم والكلمات الغريبة، وبعضها باللغة
 العربية..

- أنت تسأل: ماذا أفعل الآن؟.. سوف أخبرك بسرِّي هذا.. إن
 استخدام السحر، والطلاسم يختلف في عالمنا بين كل نوع، وآخر..
 لكن جميعها تشترك في إلزامية رسم الطلاسم، وإطلاق بعض الكلمات
 والأصوات، وذلك يأخذ كثيرًا من الوقت، والوقت في المعارك هو
 الرفاهية التي لا تملكها، ولذلك.. طورتُ أنا أسلوب خاص بي لا
 يعلمه إلا خاصة الحفاصة من عائلتي وجنودي، وهو كف الموت.

وأشار إليه بكفيه..

فَمَدَّ عَادِلٌ يَدَهُ وَفَرَّدَ كَفَّهُ بِقُوَّةٍ كَمَا طَلَبَ مِنْهُ إِيَّاسُ . ثُمَّ رَضَعَ
إِيَّاسُ كَفَّهُ أَسْفَلَ كَفِّي عَادِلٍ ثُمَّ غَمِغَمَ بِقُوَّةٍ :

***** بنیہ *****

فن۔ موت کی تھی لہٰذا سرے بڑھ کر .. ان.....
برخات ادبہا .. ہرکات دین .. لاللمکن فوق کفی الموت*

لحظات، وشعر عادل بكفي إيواس تسحبان كفيه بقوة، فنظر إلى إيواس خائفاً، وشعر بحدوث تميل قوي في كف يديه، وبدأت تظهر الرسومات، والطلاسم على كفي يديه.. فسحب إيواس يده من يد عادل، وايتسم له..

— ما رأيك الآن؟

نظر عادل إلى يديه وهما موشومتان، وظل يقلبهما مندهشاً مما
 رآه.. فتحدث إلى أيّواس رسالته..

- طیب دلوقتی.. کف الموت ده هیعملی ایہ؟ ہستفید منہ ازای؟

- لا تستهين بقوة الكف.. فالجميع ظل يقدس الكف منذ زمن بعيد.. لقد تعلمت كف الموت هذه من أحد الملوك في عالمنا يُدعى أومتا راينيش، وتدعونه أنتم في عالمك باسم أوم.. om، وأوم هذا أول من اكتشف قوة علوم الكف ونقل بعضها للبشر، وظهرت بالهند قديماً.. ثم انتقلت إلى الكهنة البوذيين الصينيين، والكوريين الذين نقلوها بدورهم إلى اليابانيين.. الذين حولوها إلى علوم سرية للقتال

وسموها كوجي **kuji** ولكنهم قسموها إلى 9 أفرع فقط، وتركوا معظم هذا العلم، وبعضهم أخذ جزءاً منه أيضاً وحوله لنوع من قراءة المستقبل، ومعرفة الغيب... سوف أعلمك ما يفيدك في قتالنا القريب، فقط فلتشاهدني الآن وأنا أؤدي أكثر من وضع لفتون كف الموت.. فلتشاهد جيداً".

وبدا إيواس بوضع يديه بأوضاع مختلفة مستخدماً كفيه اللتين وفي بعض الأوقات كفاً واحدة فقط، وتفاعلاً عادلاً بوجود بعض الحركات التي علمه إياها إيواس ووجد الكثير من البشر يستخدمونها.. مثل هذه التحية الشهيرة..



التي اكتشف أنها نوع من أنواع الاستدعاء، ولكن يجب أن تكون لديك هذه الوشوم على يديك لكي تنجح بالاستدعاء، ووجد أن الكثير منها تستخدمه في حياتنا اليومية دون أن نعلم مثل بعض هذه



انتهى إيواس من تعليم عادل بعض هذه الأوضاع ..

... سوف أبلغك فيما بعد كيف تستخدم كل وضع من كفتي الموتى على حدة ومتى وأين وما الغرض من كل وضع، ولكن ليس الآن .. لأنني أعلم أنك لن تستوعب كل ذلك في هذه اللحظة.

هَزَّ عادل رأسه في فرح، وهو ينظر إلى يديه الموشومتين، ويعلم أنه قد اكتسب قوة جديدة .. فتنظر إلى إيواس، وهو يقول في نفسه:

— إنه عندما يُتقن هذه الأمور سوف يُطَبَّقها على إيواس نفسه، ويقتله .. ليتقم منه لما فعل به ..

تجلس هايدي على إحدى الأرائك وهي تبكي .. وبحوارها بوجي، وخلفهما يقف بعض أهلهم وذريهم ينظرون إلى شريف مندور الجالس أمامهم بضيق .. فيلاحظ شريف ذلك .. فيحاول أن ينهي تحقيقه سريعاً.

— طيب يا آنسة هايدي .. يعني انت متعرفيش حاجة عن اللي حصل جوه الفيلا دي بعد ما مشيتم، ولا إيه السبب اللي اتقتلو علشاناه؟

فيقاطعه بوجي سريعاً ..

- زي ماقنالك يا فندم.. بعد ما جئنا هي وزمايلنا كنفوا الشمس
وابتدو يعذبوه إحنا مقدرناش نستحمل الموقف ده، وعشنا من الحفلة
بعد مارفضو انهم يسلموه للبوليس .

شريف يحسك رأسه متعجبا...

- يعني زمايلكم وجئنا هما اللي عذبوا الشمس.. طيب إزاي ..؟
يتدخل أحد الأهالي في المحادثة:

- أظن كده خلصت أسئلتك يا حضرة الطباط، وبا ريت تراعي
حالة الولاد المشهورة.. الحمد لله انهم سابوا الحفلة بدري، ولا كان
هيعمل فيهم الشمس زي ما عمل في زمايلهم!
فيحدثه شريف بابتسامة صفراء ..

- طبعًا يا فندم.. أنا مقدر اللي هما فيه.. بس سؤال واحد،
وهمشي على طول.. إنتم لما كنتم في الحفلة في اليوم ده.. مشفتوش
أي أشخاص غريبة؟ .. مجموعة اندست في وسطكم؟ ملاحظهم .. مش
مصرية؟ .. أجبية؟ .. أفريقية؟ .. يعني تحس انهم مش مصريين؟
هايدي نظرت إلى بوجي ..

- لأ.. مشفتش حد غريب مابنا.. غير الشمس بس .. لما ندهت
علينا جينا ولقبناه مغمى عليه، وكتفناه ساعتها.. معتقدش إني شفت
حد ثاني .

فينظر شريف إلى بوجي الذي يهزُّ رأسه ناعياً ..

- لا ما شفّش حد غريب يرضه .. بصراحة مكشش مركز قوي.

- طيب عددكم كان كام تقريباً؟

- حوالي ثلاثين .. خمسة وثلاثين .. حاجة زي كده.

- طيب عايز تفنعني إن الشمساس لوحده .. وسط ثلاثين واحد

عمل كده، ومكشش حد معاه، ولا يبساعده؟

ينظر إليه بوجي بضيق ..

- إنت بتسألني أنا؟ .. هو انا اللي هعمل شغلكم ولا إيه؟

فينظر إلى والده خلفه وصرخ به ..

- بابا .. أنا زهقت .. مش هجاوب على حاجه تاني.

فصرخ الرجل بشريف ..

- الولاد تعبالة مش قادرين يتكلموا .. تنفضل لو سمحت .

شريف بيتنسم له ويقوم بتحيته ويغادر ..

يتركهم شريف ويغادر خارج باب الفيلا التي يسكنون بها،

وينصرف في وسط مراقبة حراس الفيلا، ويُخرجُ هاتفه المحمول

ويضغط بعض الأرقام ويضعه على أذنه ..

- ألو .. أيوه يا سمي .. إزيك يا حبيبي، وإزاي الحاجة .. الحمد

للله .. بقلك يا بوسمة .. خدمه لاختوك .. هاحول محضر للنيابة باسم

العيال بتوع الميتال دزل هايدي، وبوجي.. هايبتلك أساميهم
 بالتفصيل.. دول قمتهم إنهم ساعدو الشمس، في قتل أصحابهم..
 وعندي كام محضر كده سكر على مخدرات.. على شعرة..
 هظيهملك وابعتهملك معاهم.. عايزك تجدد لهم 45 يوم يا حبيبي ..
 أنا عارف .. معلى .. هعوضالك في حاجة تانية .. لأ .. الشمس
 بقى حضرتك اللي هتجيلي القسم معلى .. إنت عارف القضية دي
 البلد كلها عندها عليها، ولو الواد خرج برة القسم أهالي العيال
 هيقطعوه.. ماشي يا بوسمره.. ماشي يا حبيبي، والنبي خلّي الحاجة
 تدعيلي، وحياة ابوك إحنا ماشين في الدنيا بدعواتهم؟ طيب خلاص ..
 ماشي يا حبيبي سلام ..

يغلق هاتفه الغموم وهو يحدث نفسه بضحك:

- أنا هوريكم تطردوني مني بيتكم إزاي يا شوية مليونيرات!..
 لو مبستوش جزمتي .. ميقاش أنا شريف مندور.

عصام يجلس في مكتبه بحيرة شديدة.. ينظر إلى ساعته متأففاً،
 ومُتَحِيراً.. الوسواس يأكل عقله.. يبحث عن إجابات منطقية لما
 شاهده، ويأمل بأن يجد إجابة أو أحد الحلول من صديقه الطبيب
 النفسي الشهير معتر الكاتب.. الذي دخل عليه مبتسماً، ومُتهللاً..

- إيه يا عم.. الدنيا طارت حستلاف رنة في التليفون.. إيه في إيه؟..

عصام قافراً من مقعده فرحاً سعيداً بحضور معتر إليه.. فاحتضنه بسرعة وسط شعور معتر بالاندماش:

- أنا مبسوط إنك جيت يا معتر.. إلحقني بسرعة..
معتر ضاحكاً..

- ما لك يا بني؟ إيه اللي حصلك؟.. إنت اتجنت ولا إيه؟

- هتجنن يا معتر فعلاً.. هتجنن.. الكام يوم اللي فاتو دول.. شفت فيهم حاجات خلعت شعري يشيب.. عايزك ترسني على بر.. اللي شفته ده حقيقي ولا لا؟.. عايزك تعرفني فعلاً الحاجات دي معانا وغايشة وسطينا، ولا الواد ده كذاب؟، وممثل كبير قدر يخدعنا كلنا؟
معتر مرتاباً..

- قصدك على مين؟

- الشمساس يا معتر.. الشمساس.. هاتجنن أمي.. ابن اللدين.. كل شويه بشخصية شكل، وبأسلوب، وبكلام شكل.. مرة عادل، ومرة الشمساس، ومرة إيواس.. أنا عايزك ترسني على بر.. تديني عُقَاد نافع الله يكرمك.. أنا مش عارف أقعد مع أهلي، ولا أنا.. بقيت عصبي جداً، ومش طايق حد علشان كده مابقتش أروح، وقاعد هنا على

طول.. أنا بتجيلي كوايس على طول.. مبتتش أعرف أقعد في
الضلمة أنا أعصابي اتدمرت يا معتز .. مش قادر ..

- بس .. بس .. بس .. ليه يا بني ده كله .. إيه يعني اللي حصل
هي أول أو آخر قضية هتشتغل فيها؟

- مانت متعرفش حاجة .. إنت إيه اللي عارفه عن الشمس؟

- العادي.. اللي بشوفه في التلفزيون وبقراه على النت.. إنه قاتل
متسلسل.. زيد.. زي أي قاتل متسلسل يبقى ليه طقوس أو يجمع
تذكريات، وفي بعض الإشاعات على النت بتقول إن الشمس ده
مش هو القاتل الوحيد، وإن في طائفة دينية جديدة اسمها الشماسين
الجدد ليها أفراد في أنحاء العالم.. هي دي طقوسهم؛ وإن عادل مهران
الشماس ده فرد منها، وهو اللي قدرتوا تقبضو عليه هنا في مصر..
لكن ليه شركاء كثير في مصر غيره يقومو بجرائم القتل دي معاه..
لأن مستحيل شخص واحد يقدر يقوم بالجزرة اللي حصلت في الفيلا
المهجورة بتاعت المعادي دي.. ده بيقولوا في حوالي ثلاثين واحد ماتوا
فيها لو حدهم .. بص كده.

أخرج معتز هاتفه المحمول وعرض بعض الصور على عصام..

- دي صور من جوه الفيلا.. شايف صور الطقوس، والرسومات
الشرطانية الخاصة بالطائفة أهه.

شعر عصام بالصدمة عندما رأى بعض الصور المُسربة من داخل القفلا إلى الإنترنت، ووجد بعض الصور التي لم يرها بالقبلا أو لم يستطع عقله أن يركز عليها في تلك اللحظة.

فنظر إلى عصام بذهول ..

- هما جابو الصور دي منين؟ .. اتسريت إزاي؟

ابتسم إليه معتز ..

- زي الناس .. يا حبيبي .. إنت في عصر المعلومات والسموات المقضوحة .. مش المفتوحة .. أي معلومة أو حاجة عايز تحيها مش هتعرف .. يا عم دي في ناس بتسجل للرؤساء مش عايزهم يسربو صور من جوه تحقيق في قضية مشهورة زي دي.

- أنا أول مرة أسمع عن موضوع طايفة الشماسين دي .. دي معلومة مهمة جدًا في تحقيقنا .. لو الكلام ده صحيح .. يبقى احنا داخلين على موضوع كبير .. كبير قوي .. أنا عايزك تبعتلي الصور دي والحاجات بتاعت القيس بوك اللي بتكلم عن طايفة الشماسين دول .. إنت كده هتخلينا نغير مجرى التحقيق بالكامل.

- بس كده .. خد يا عم اللي إنت عايزه، الفتح البلوتوث وأنا هابعثلك كل حاجة.

بضغط عصام على مفتاح مجوار مكتبه فبدخل جندي مسرعًا إلى المكتب فيحدثه بسرعة ..

- هاته يا حامد.

الجندي يعطيه التحية العسكرية :

- تحت أمرك يا باشا.

ثم يعلق الباب، وينصرف بسرعة.

فينظر معتر إلى عصام مندهشاً ..

- هيجيب مين يا عصام؟!

ينظر له مبتسماً ..

- هيكون مين يا معتر .. الشخص اللي هيجيني .. عادل مهران ..

الشماس!

يعتدل معتر في مكانه ويبدو عليه الصدمة ..

- الشماس .. هاتجيبه هنا .. ليه ..؟

- عايزك تعرفالي .. هو مجنون، ولا ملبوس، ولا يمثّل، ويستعيط؟

- انت جاييني علشان كده .. مش كنت تبغيني أهيا نفسي نفسياً

و.

- يعني مش هتعرف تحلله نفسياً دلوقتي يا معتر .. آمال عملي فيها

مشهور ويتطلع في الفضائيات ليل ونهار والكشف بتاعك ب2000

جنيه.

- يا سيدي من غير ماشوفه .. معظم القاتلين المتسللين يبقو ..
شخصيات سيكوباتية .. بحته .

- يعني إيه سيكوباتية .. أنا بسمع عنها بس مش عارفها .

- سيكوباتي يعني .. إن الشخص يبقى معتل نفسيًا، وعنده خلل
في سلوكه، ونفسيته، ويتكلم قدامك طبيعي جدًا، ويبقى كمان
محبوب وسط الناس، ويقدر يآثر في الآخرين بكل سهوله .. يعني
مستحيل تقول عليه مجرم أو مجنون من أول مرة .. لازم تكون
معاشره .. أو عارفه من زمن بعيد .. علشان تقدر تحدد شخصيته، وأنا
وائق إن الشماس .. شخصية معتلة نفسيًا، وسيكوباتية .

يدخل خمسة جنود يشكلون دائرة ويحملون أسلحتهم ويوجهوها
جهة عادل الذي يقف في وسط الدائرة التي يشكلونها .. ثم دلفوا
جميعًا من الباب، وأفسحوا الدائرة التي صنعوها أمام عصام، وصديقه
معتز الذي ألقى مشهد دخول الشماس إلى المكتب هيبه في قلبه ..
فظل ينظر لعادل ويتفحص جسده بالكامل، وهو مُكَبَّل بيديه أمامه،
ويبدو على وجهه علامات الأرق، والإرهاق، وعينه حراوان محمقان
إلى الأرض .. مشهد لم يكن يتوقع أن يرى فيه الشماس هكذا .. هذا
الشخص الذي أصبح أسطورة على مواقع التواصل الاجتماعي داخل
مصر وخارجها .. نظر معتز إلى صديقه عصام فوجد ملامح الملح شلى
وجهه عندما رأى عادل .. فطلب معتز إلى الجنود أن يجلسوا داخل
أمامهم فأجلسوه على المقعد أمام معتز .. ثم وقف الجنود أمام الباب .

وهم ينظرون إلى عادل بتحقّر، والذي ما زال ينظر بالأرض متجاهلاً ما حوله.. فنظر عصام إلى معتر ثم أشار إليه برأسه دون أن يتكلم جهة عادل لكي يحدثه.. فهز معتر رأسه بالإيجاب.. ثم شقق نفسه كبيراً وزفيرة بيضاء، ونفخ صدره، وأخرج من ملبسه قلماً وورقة، وبدأ يحدثه..

- عادل .. عادل ..

ما زال عادل ينظر إلى الأرض، ويتجاهل معتر.. فنظر معتر إلى عصام الذي يبدو خائفاً وأشار بيده أن يكمل حديثه معه بسرعة.. فتحدث معتر إلى عادل مرة أخرى..

- عادل .. يا عادل .. طيب يا شماس .. يا إيواس.

فنظر عادل إلى معتر بأسفل عينيه فجأة.. فتسرب الخوف إلى قلب معتر من نظراته المفاجئة هذه، ولكنه تصنّع القوة.. لكي تكون له اليد العليا في هذا اللقاء الأسطوري الذي سوف يتحدث عنه على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي عند انتهائه.. لكي يستطلع آراء الخمسة آلاف شخص من أصدقائه الذي يتوقع أن يصبحوا أضعاف ذلك عندما يتناول حديثه مع الشماس الذي يحدث الآن..

فيبدأ ينادي على عادل مرة أخرى بالاسم الذي قام برد الفعل به:

- إيواس.. إنت إيواس اللي معايا دلوقتي.. مش عادل، ولا الشماس؟

فرقع عادل رأسه ..

- هذا يعود إلى من ترغب أنت بالتحدث معه.

- أنا عايز أكلم عادل.

- حسنا .. معك عادل الآن.

فنظر عادل إلى معتز منههشًا ..

- إنت مين؟

فنظر معتز إلى عصام الذي كاد أن يقفز من مقعده على المكتب،
وتحدث إلى معتز بخوف ..

- شفت .. أهو قلب .. أهو.

فنظر معتز إلى عادل مُتسائلاً ..

- إنت عادل؟

فنظر إليه عادل ولم يتحدث .. فحدثه معتز سريعاً ..

- لو إنت عادل .. آمال مين إيواس ده يا عادل؟

فنظر عادل إلى عصام الذي ابتلع ريقه بصعوبة ..

- مش أنا قتللكم مش هتصدقوني!!

فحدث إليه معتز برفق ..

- متقلّش.. أنا هاصدّقك، وهاساعدك، وهقف معاك بس عايزك
تحكي لي كل حاجة بالتفصيل عن الشمس، وعن إيواس.
فنظر إليه عادل بغضب شديد..

- آه.. متصدّقني، وهتساعدني.. زي جنّاء وغيرها.. كلّكم
هتساعدوني.. كلّكم هتقفوا جنّبي.. كلّكم هتصدّقوني.

قالها صارخاً وهو يرتعش بشدّة، وهبّ واقفاً بسرعة، وانفجر
صارخاً..

- آه آه آه... أنا ليه بيحصلي كل ده؟

ففرغ الجميع من صراخه، وقفز عصام من على مقعد مكتبه،
وابتعد معتر من أمامه خائفاً، وأمسك الجنود بأسلحتهم بقوة،
ورُعِب، وعادل يهزُّ يديه بعنف، ويحاول أن يتخلّص من قيوده، وهو
يصرخ بهم، ويدبُّ الأرض بقدمه..

- أنا ليه بيحصلي كل ده؟.. آه آه آه.. هو أنا عملت إيه؟.. أنا عايز
أدمر العالم ده.. أنا عايز أخلص منكم كلّكم.. كلّكم كدايين.. كلّكم
بتضحكو عليا.. أنا مش عايزكم كلّكم، ولا الشمس، ولا إيواس،
ولا عايز حد فيكم.. آه آه آه..

وظل يصرخ بشدّة وعنف شديد.. فاخترق الكثير من الجنود
المكتب، ونظروا إليه، وهو يصرخ بهم، وامتلا المكتب بالجنود،

والضباط، وبعض الأفراد من المسجونين، والمبلغين الذي أعدهم
القنصل لمشاهدة ما يجري فصرخ عصام بخوف ..

- اضرب .. اضرب في المليان.

نظر إليه الجنود فرعين ويدؤوا في تجهيز أسلحتهم للإطلاق..
فصرخ بهم معتر :

- محدش يضرب .. محدش يضرب.

في ظل الصراخ وحالة الجنون والتخبط التي كان عليها الجميع..
رفع عادل يده فجأة، وهو يتسم ..

- انتظروا .. انتظروا .. لقد كنت أمزح.

ضحك بشدة .. فنظر الجميع إليه مندهشين من تغير سلوكه
المفاجئ .. فأشار عادل إليهم بيديه ..

- اهدؤوا .. اهدؤوا جميعاً .. سوف أجلس، وسوف يعود كل
شيء إلى طبيعته.

وبدأ عادل بالجلوس إلى مقعده ببطء شديد، والجميع يشاهدونه
مترقبين، ومتحفظين .. فجلس، وأشار بيده لمعتر وعصام، وهو يتسم :

- فلتجلسوا .. فلتجلسوا.

عاد عصام إلى مقعده بخوف وهو يركز عينيه على عادل ويراقب
رد فعله، وعاد معتر إلى مقعده أمام عادل، ولكن بعد أن سحبه
مبتعداً قليلاً عن عادل الذي نظر إليه ساخراً ..

- آسف.. آسف على ذلك.. فيدو أن عادل قد أصيب بانفجار عصبى.

فسأله معتر سريعا ..

- ده كان عادل .. آمال أنت تبقى مين؟

فاتسم إيواس وأشر بيده جهة الجنود والمطفلين الذين ما زالوا بالغرفة ..

- يجب أن يكون حديثنا .. أكثر هدوءا، أليس كذلك؟

فنظر معتر إلى عصام:

- منشي الناس دي يا عصام.

فنظر عصام إلى معتر مُتردداً..

ثم صرخ ليهم:

- كله بره يلا، والعساكر تقف بره على الباب، ويقفوا جاهزين لو سمعتو أي حاجة غريبة .. ادخلو على طول بسرعة.

فنظر إليه إيواس مبتسما، ونفذ الجميع أوامر عصام، وانتظروا بالخارج جميعا إلا جنديان وقفا بداخل المكتب أمام الباب، وهما متحفظان.. تحدث معتر إلى إيواس سريعا ..

- قولني بقي إنت مين؟

- ناديني بما تحب.. أنا لا أرى للأسماء قيمة تُذكر.. فالاسم بمفرده ليس له معنى أو قيمة، ولكنه يخلد بين الجميع بأعمال الشخص الذي كان يحمل ذلك الاسم.

- يعني إنت شايف إنك مجهول، والناس مش شايفة أعمالك، وعلاشان كده مش بالضرورة تذكر اسمك.

يهز إيوان رأسه بلا مبالاة..

- لا يهمهم الآن أن يعلمني الجميع، ولكن.. تأكد أن الجميع قريباً سوف يعلم باسمي بسبب فعلي.. فما سأفعله سوف يؤثر في الجميع بلا استثناء.

- وانت ناوي تعمل إيه؟

- من المبكر للغاية يا صغيري أن تطرح هذا السؤال.

- بتقولي يا صغيري إيه؟.. شايفني صغير في السن؟، ولا مش مقتنع بيه كبالع؟

- حسناً.. هل أنت.. تنمو أم تكبر؟

- في فرق بين إني أتمو أو أكبر؟.. مش المصطلح واحد؟

- لا يا صديقي.. إنك تنمو جسدياً.. كل عام.. هذا شيء بديهي.. لكن هل تكبر عقلياً مع جسدك.. هذا هو السؤال؟.. هل

تراكمت لديك الحكمة خلال هذه السنوات لكي تكون.. كبيراً.. في كلتا الحالتين.. أنت بالنسبة لي ما زلت صغيراً.

- يعني أنت شايف إن دل اللي قابلوك أقل منك فكرياً.. علشان كده شايف إن كلهم صغيرين بالنسبة لك.

بعدة ..

- نعم .. أرى ذلك.

يتدخل عصام صارخاً ..

- أنت لسه هتضحكي.. اسأله على جرائم القتل.

يميل إيوان برأسه يمينا، وينظر إلى معتر مبتسماً، ويشير بسياسته جهة عصام ..

- صديقك لديه وجهة نظر.

معتر بثقة ..

- تحب نتكلم على القتل .. أنت .. بتقتل ليه؟

- ماذا تعني أولًا بالقتل؟

نظر معتر إلى عصام الذي أشار إليه ..

- رد عليه يا معتر ..

- سؤالك غريب .. مش عارف إيه هو القتل؟

- هل تعلم أنت .. قلنا خبرني إذن.

- القتل هو .. أنك تقضي على روح بريئة خلقها ربنا بدون أي سبب.

إيواس مبتسمًا:

- هذا هو القتل؟ .. إذن أنت قاتل.

معتر مندهشًا ..

- لا طبعًا .. أنا مش قاتل.

- لماذا؟

- لأنني مغمتمش بالقضاء على أي روح بريئة.

- رائع جدًا .. لم تقض على أي روح بريئة .. إذا .. ما تفسيرك للروح؟

- محدش عنده تفسير علمي للروح، ولكنها الشيء الذي ربنا وهبه لنا .. علشان نقدر نعيش به.

- حسنًا .. أنا أمتلك روحًا، وأنت تمتلك روحًا، وصديقك يمتلك روحًا، وكذلك الذباب، والطيور، والحيوانات، والنباتات .. يمتلكون أرواحًا أيضًا .. أصدقني القول .. أنت لم تقتل الذباب من قبل .. لأنه .. أزعجك؟؟

معتر ينظر إليه دون أن يُجيب ..

- أوليس الذباب يملك روحاً أيضاً.. روحاً بريئة قد خلقها الله
لعميش في هذا العالم مثلما قلت سابقاً.. لو خيروك في يوم من الأيام ما
بين أن تضحي بروحك، وبروح ذبابة.. ماذا ستختار؟.. سأؤتي مرة
أخرى لك.. هل أنت قاتل؟

- لا طبعاً.. أنا مش قاتل لأنني مقممش بقتل بني آدمين زي مانت
عملت.

- حسناً.. أنت لا تعرف إلّا بروح البشر فقط، وجميع أرواح
المخلوقات الأخرى لا تعني شيئاً لك.. حسناً.. سوف أتبع منبهك
هذا.. فالتفترض أبي قتلت.. أولم يقتل صديقك أيضاً؟!

وأشار إيواس إلى عصام.. الذي ابتلع ريقه بصهوية، وبدأ يتصبّب
عرفاً..

نظر معتز إلى عصام ثم إلى إيواس..

- في فرق طبعاً.. هو لو قتل حد.. يبقى علشان يطبق القانون..

لكن أنت لما قتلت خالفت القانون.

- حسناً.. إذا القانون هو مَنْ يُحدّد مَنْ له حق القتل، ومن لا
يملك هذا الحق.. مَنْ وضع القانون؟.. من؟

- أهل العلم اللي بيحدّدو إيه هو الشيء الأفضل للمجتمع..
علشان يسود النظام والأمن، ومتحوّلش الدنيا لغابة.

إيواس يحرك سياسته يمينا ويساراً، ناديا كلامه ..

- لا.. لا يا صغيري.. مَنْ يحدد القانون هو مَنْ يمتلك القوة.. القانون لم يُصنع لكي يسود النظام في المجتمع، ولكنه صُنع من أجل تنفيذ رغبة مَنْ يمتلك القوة فيما يريد أن يفعل به باقي المجتمع.. فلنتظار حولك في كل مكان.. كل الدول القوية تصنع قوانين للدول الضعيفة.. تخبرهم كيف يتعلمون.. كيف يعملون.. كيف يأكلون، ويشربون، وكيف ينتجون، ويصنعون، وفي جميع أنحاء هذا الكون.. هذا هو القانون الوحيد الذي لم، ولن يتغير.. صديقك يمتلك حق القتل الآن باسم القانون؛ لأن من وضع القانون يرغب بذلك، وأنا أيضاً أمتلك هذا الحق لأني أمتلك قوة أعظم، وأكبر من جميعكم.

يحطم إيواس قيوده بسهولة شديدة، وهو ينظر إلى معتر الذي بدأ الملح يظهر على وجهه، وقفز عصام من مقعده خائفاً، وهو يصرخ في الجنود ..

- أوقفوه .. أمسكوه بسرعة.

نظر إيواس بغضب إلى عصام وصرخ فيه:

- فلنتوقف الآن عن هذا الهراء، ونرى من هو القانون هنا؟

وبسرعة شديدة شكّل أكثر من وضع يده، وصرخ:

- خاموشى.. انهديرا..

فتشكلت على يده بعض الرموز، والطلاسم ثم قفز سريعاً، وضرب الحائط بكتفها بديه، فانتشرت تلك الوشوم، والطقوس بسرعة هائلة كأعواج المياه عندما يسقط بها حجرٌ كبيرٌ، وعطت جميع أنحاء الغرفة.. ارتبك الجميع عندما شاهدوا ذلك.

صرخ عصام في الجندين أن يُطلقا النيران على إيواس الذي في لحظة واحدة كان بين الجندين ويُمسك أسلحتهما، وصرخ في آذانهما:

- سويي هوى.. اسجائو.

فسقط الجنديان معاً على الأرض بعنف فارتعد عصام.. عندما سقط الجنديان على الأرض وإيواس على أسلحتهما وهو ينظر إليه.. فصرخ بكل قوة طالباً النجدة:

- إلحقونا.. إلحقونا.. حد يلحقنا.

ولكنه تفاجأ بعدم خروج صوته منه بدى للحظة كأنه يصرخ في قاع الماء.. لا يجد أي صوتٍ حوله.. حاول أن يُنادي على معتر الذي وجده واقفاً مُندهشاً واجهاً لما يراه، ولكنه شعر بشيءٍ خاطئ عندما رأى على وجه معتر ابتسامة غريبة بدأت تظهر على شفتيه.. ثم اقترب من إيواس، ونظر إليه بعينين ناعمتين متسمتين، وقال له:

- طول عمري مستيك من زمان.

ثم انحنى على يد إيواس الموشومة بالطلاسم والكلمات الغريبة
ليقبلها.. فابتسم به إيواس ووضع يده على كتف معنز، وأوقفه بجواره،
ثم وضع إيمامة على رأسه وحدّثه بمص: -
تباكو نشان لگا.

فظهرت علامة كبيرة على رأسه مثل الهلال، وبجواره دائرة ويخرج
منها ثلاثة خطوط جانبية ..



ثم قال إيواس ..
- أنت الآن خادمي.. فلنجمع الجميع الآن.. سوف أخرج لكم
قريباً.*

نظر عصام مندهشاً إلى صديقه عصام، وهو يهز رأسه، وعلى
وجهه ابتسامة الرضا، وترك إيواس، ويتجه إلى خارج الغرفة..
فبصرخ عصام في إيواس ..

- عملته إيه؟ عملته إيه؟ انطق .. عملت إيه في معنز؟
ولكن صوته لم يخرج أيضاً شعر بالفرع وتذكر سلاحه الناري
فأخرجه من جرابه بصعوبة وإيواس يشاهده وهو يضحك من ردّ
فعله، وعصام يتنحى أخيراً في إخراج سلاحه، ويبدأ بإطلاق النيران

على إيواس الذي وجده يقف بجواره.. فصرخ فرغاً، ووجهه سلاحه إليه فأمسك إيواس بسلاحه بسرعة ونزعه من يده، وهمس في إذنه:

- لا تقلق على صديقك.. سوف يصبح خادمي، وأنت أيضاً ستكون خادمي.. عندما..

فجأة يجد عصام نفسه جالساً إلى مكتبه، وإيواس يقف بين الجنديين اللذين كانا مغمضين عليهما منذ قليل، وفجأة فتح باب مكتبه ويقف شريف مندور على الباب ينظر إليه بغضب..

- إيه اللي خللك تخرج الشمس من الحجز.. أنا قتلتك.. ما بتحركش من مكانه إلا يااذني..

نظر عصام إلى ما يحدث بدهشة شديدة.. فقد كان إيواس يقف الآن بجواره والجنود ساقطون على الأرض، وفجأة أصبح على مكتبه وإيواس مكبل مرة أخرى وسط حراسة الجنود، وشريف مندور أمامه.. متى حدث ذلك، وكيف.. هل فقد ذاكرته كم مرّة من الوقت هو لا يدري.. ظل صامئاً دون أن يتحدث، ولكنه ظل يُراقب شريف مندور وهو يستحب إيواس من يده وهو ينظر إلى عصام ويتسمم.. لحظات، وأغلق الجندي باب الغرفة، وترك عصام بمفرده بين شكوكه وخوافه.. هل كان يهلوس كل ذلك أم ما حدث حقيقي، وأصبح صديقه معترّ تائباً للشماس؟.. قفز سريعاً من مكانه، واتجه إلى الحائط

جلس كريم على عین المذيع المتأنيق قاصي الذي يرتدي بدلة فاخرة للغاية ويجلس إلى مكتب ذي تصميم إيطالي وإلى مقاعد مصنوعة في ألمانيا، ومصمم ديكور عساي.. هذا ما كان يتفاخر به المذيع قاصي مع ضيوفه الجالسین إلى جواره من جهة اليسار، وهم ثلاثة أشخاص في نهاية السبعينيات يرتدون بدلاً فاخرة ويبدو عليهم الثراء الفاحش.. لم يتحدث المذيع قاصي مع كريم سوى بكلمتين للترحيب به، ثم بدأ البرنامج يُذاع على الهواء.. فتحدث المذيع إلى الكاميرا التي أمامه، والتي يدورها تنقل هذا البث إلى جميع منازل مصر في تلك اللحظة..

-- عدنا معكم حضرات السادة المشاهدين، ونابع في آخر فقرات الحلقة اليوم قضية شغلت الرأي العام كثيراً ألا وهي قضية الشمس.. التي بات اسمها معلوماً للجميع داخل مصر، وخارجها، وتحقق الشرطة معه الآن.. سوف نستقبل تعليقاتكم على صفحات التواصل الاجتماعي الخاصة بالبرنامج، ونستقبل اتصالاتك على الأرقام الظاهرة على شاشة التلفزيون أمامكم، وتسمحو لي قبل ما نرحب بضيوفنا أذكركم بالتبرع لصالح صندوق العشوائيات التي يربعاها البرنامج لكي نستطيع أن نكفل الفقراء في هذا الوطن.. الأرقام على الشاشة الآن، و أعرّفكم بضيوفنا النهاردة.

يشير إلى عینه جهة كريم:

- السيد كريم حمدي، وهو صديق المتهم عادل مهران الشهير إعلامياً باسم الشمس.

ثم أشار إلى يساره جهة ضيوفه الآخرين:

- ونرحب ببقية ضيوفنا النهارده.. سيادة اللواء السابق محمود مأمون الخبير الأمني والاستراتيجي بمركز ابن سعدون، والأستاذ الإعلامي الكروي الشهير حمدي مساعد، والمستشار المحترم توفيق مندور.. أهلاً بكم جميعاً.

- نبدأ حوارنا بسؤال للخبير الأمني، والاستراتيجي سيادة اللواء محمود.. إيه رأي حضرتك في القضية بتاعت الشمساس؟.. شايف إن وجود النوع ده من القضايا في خطر على الأمن القومي المصري؟
كريم ينظر إليه مُستكراً ما يقوله، ولكن سرعان ما يتجاهله.
ويتابع كلام الخبير الأمني الذي بدأ حديثه مُتعمداً للكاميرا..

- أنا بحب أطمئن حضرتك يا أستاذ قاصي.. إن مصر الحمد لله محفوظة من أي شيء، وده من أيام الفراعنة، والفضل لده يعود لبقطة رئيسنا، وقواتنا المقدسة، وخبرات رجال الشرطة في النوع ده من أنواع الحروب الجديدة، وبالتحديد دلوقتي بيحاولو يدخلوا مصر في حروب الجيل السابع عن طريق إنهم يدخلوا بعض من جماعتهم، ورجاهم المزروعين في مصر.. من زها أطفال، ويبرمجوهم على الخطط دي في عقولهم وهما صغيرين علشان لما يكبرو يقو مزروعين ومسطين ويتكلمو زينا، ويقعدوا ينفذوا مخططات المجلس الأعلى للعالم.. اللي بيتحكم في مقدرات العالم، وشئونه دلوقتي.

فيصرخ به فجأةً كريم وهو غاضب:

- إيه يا عم النبي انت تقولك ده؟.. يزرعو إيه؟.. هيزرعو أطفال.. إنت بتخرف بأي كلام وخلاص.

ينفعل اللؤاء بشدة وهو يضرب المكتب بيده ..

- أنا مسمحلكتش بالإهانة دي إنت عارف انت بتكلم مين يا ولد إنت؟

ثم يصرخ كل من المستشار والإعلامي الكروي في وجه كريم بغضب ..

- آدي يا عم الشباب متوع اليومين دول.. عيال قليلة الأدب بيقول عليّ راجل كبير بيخرف.

المستشار صارخاً ..

- وحياة أمك.. لاعلمك تكلم الأكبر منك إزاي يا كلب يا خاين يا عميل يا صديق الخيرون القذر الشماس.

يقف كريم غاضباً، وهو يصرخ في باقي الضيوف، ويدخل المذيع قاصي بسرعة، ويحاول تهدئة الجميع، وبالفعل ينجح في تهدئتهم.. ثم يتحدث إلى كريم ..

- يا أستاذ كريم حضرتك من فضلك متقاطعش الضيوف ومتغلطش فيهم أرجوك دول بيمثلو قامات كبيرة وهم من صفوة المجتمع في مصر.

- كريم غاضباً.. يعني عايزني أسمع الكلام ده يا فندم واسكت..
هو أي حد يطلع يقول أي كلام ونصدقه؟

بيصرخ المستشار فيه:

- شفت.. شفت.. هيقول أدبه، وأنا، وحياة أمة لاعلمه الأدب.

فيصرخ كريم:

- إنت هتعلمني الأدب إنت؟

فيتحدث المذيع إليه غاضباً:

- يا أستاذ كريم أرجوك اسكت، وخلي كل واحد يقول رأيه،
وبعدين هيقول ليك مطلق الحرية في وقتك تقول كل اللي إنت
عايزه.. سجل حضرتك في الورقة اللي قدامك ملاحظاتك، وبعدين
ابقي رد عليها.

كريم يهز رأسه راضخاً:

- حاضر يا أستاذ قاضي حاضر.

فيتابع الخبير الأمني حديثه:

- وزي ما فهمت حضرتك يا أستاذ قاصم إن المدعو الشماس ده
جزء من مخطط ماسوني برعاية الصهيونية العالمية.. هدفه الأساسي
تدمير السياحة في مصر، وإظهارها أمام العالم بأنها دولة بدون أمن،
وإن الجرائم فيها تفوقت، وتوحشت.. وأنا جاللي من مصدر رفيع في

أحد الجهات السيادية التي مستحيل طبعاً نشكك في كلامها إنه
 نتحصل عمليات تفجيرية على نطاق واسع وقضايا خطف وحرق
 على مستوى مصر كلها علشان يقدرو يتقدر الشمس العميل بتاعهم
 المزروع في مصر ومن هو طفل، وعلشان كده يحذر أي عمليات
 خطف أو حوادث كبيرة تحصل في مصر دي تبقى هدفها البلية،
 وتنفذ المخطط بتاع المجلس الأعلى للعالم، ودورنا إن إحنا كشعب
 وإعلام لو حصل حاجة زي كده منجيش سيرتها أو نتكلم عنها
 والإعلام معروضات علشان تقدر تلغي المخطط الماسوني الصهيوني
 العالمي على مصر، ونلطف كلها ورا قيادتنا السياسية والشرطة بتاعتنا..
 ومنفتحت لأي إشاعات مغرضة بتقول، إن في تعذيب وانتهاكات
 بصحت من الشرطة.. الكلام ده محصلش، وأنا اتحدى أي حد يجيلي
 دليل على الكلام ده على الهواء أه.

فوقف كريم غاضباً:

- لا بقى.. تقولي في عيال مزروعة زي البطاطس أقولك ماشي..
 تقولي الناس تنفض لأي مصيبة والإعلام معروض عنها حاجة أقولك
 ماشي.. لكن تقولي مقيش تعذيب هنا أقف بقى.. أمال أنا كان
 بيحصلي إيه الأيام اللي فاتت في القسم، واللي في وشي ده إيه؟؟
 خاطط روج.. لأ في تعذيب، وانتم عالم كذابة.. جايلي لواء على
 المعاش وواحد بتاع كورة والثالث عمال يشتم في خلق الله وجاين
 تقطعوا في جنة الراجل الغلبان عادل ومش عايزي أتكلم!!

ينفجر به الحضور، ويتعونه بالحياة، والعمالة، والكذب،
والمستشار يقف له وهو يسب أمه وألقاه بكوب المياه في وجهه وظلوا
يصرخون به..

- أنت عميل، وخاين.. رجائي تدافع عن عميل، وخاين ذلك..
ضد بلدك، وأنا وحياة أهلك لعلمك إزاي تشمتني يابن ال.. أنا
هوريك يابن ال ..

وانقلبت الحلقة إلى صُراخٍ واتهاماتٍ لكريم بالعمالة، وانضم إليهم
مذيع الحلقة الذي أقمه بأنه أتى ليثير الليلة، والإشاعات في هذه
الحلقة، والتجني على السادة صفوة المجتمع، كل ذلك على الهواء
مباشر لجميع البيوت المصرية.. فصرخ كريم غاضباً ..

- إلم حابين تمزأوني هنا يا ولاد الكلب؟.. عاملين علي رباطية
في الحلقة، أنا هوريكم.

وأمسك بحذاءه فجأة وظل يركض وراء الضيوف في الاستوديو
ومن يلحقه يضربه بحذائه، فصرخ الجميع وهم يهربون من أمام كريم
وهو يركض وراءهم رافعاً حذاءه ويقوم بالإطاحة بهم جميعاً، ومن
بينهم مذيع الحلقة قاصي الذي ضربه على رأسه، وبدأ يركض هو
الآخر، وتدخل عمال الإضاءة، وحاملوا الكاميرات في محاولة لمنع
كريم من ضرب باقي الضيوف، وهم يضحكون، وهم يشاهدون
المستشار، وهو يسب كريم، وهو يجري، وكريم وراءه يضربه بالحذاء..

عدة لحظات، وانقطع البث من التلفاز أمام حاتم الذي ظلّ يضحك بشدة، وهو يجلس إلى أريكته، وكان يتابع اللقاء من خلال تلفازه.. ثم فطر إلى سيسيل الجالس بجواره بشكله الوسيم السابق، وهو يضحك هو الآخر:

- شفت يا عم سيسيل.. أهو البرنامج اللي مكنتش عاجبك قلب مسرحية كوميدية أهو على الهواء.
فنظر سيسيل إلى حاتم..

- خلاص إبقى إعمل المشهد ده في الفيلم الجديد بتاعك .. بس منهياي مش هتعرفو تعجب ممثلين يضحكو زي الواد كريم ده.

حاتم ينظر إلى التلفاز، وهو يعرض بعض الإعلانات ويمسك رأسه ويفكر بعمق.. فنظر إليه سيسيل مندهشاً.. ها لك يا حاتم؟.. إيه اللي شاغل تفكيرك؟

يتهد حاتم طويلاً ثم يتحدث..

- أنا عايز أقابل عادل يا سيسيل.

نظر إليه سيسيل مندهشاً:

- بتقول إيه؟ عايز تقابله إيه؟ لا تكون عايز تعتذرله إنه اتقموه إنه الشمس بدلالك؟!!

حاتم يتنسم ساخراً..

- إحنا مع بعض فوق العشرين سنة، ولسه مش عارف دعاغي يا سي.. أنا نفسي أشوف نظرة عينيه لما يقابلني تاني ويشوفني.

- إنت لسه منستش اللي حصل؟.. مش كفايه أهو إنه بقى مسجون مكانك في حاجة هو معملهاش؟!

نظر له حاتم بضيق.. فيحدثه سيسيل بحدة:

- متبصلش كده.. إنت عارف أنا بخلبك تعمل اللي إنت عايزه. عايز تقابله قابله.. بس هتقابله فين؟، وإزاي هو دلوقتي مسجون.

ينظر له بابتسامة متشفية "أنا هاروحه القسم .. وأشوفه هو متكبلش قدامي .."

بحدة:

- تروحله القسم؟.. إنت اتجنت؟!.. عايز تروح الحكومة برجليك؟!

- وإيه يعني .. لما أروح محدش عارف إني أنا الشمس؟!

- ولما عادل يقولهم إنك الشمس الحقيقي؟

حاتم مبتسمًا ..

- يقول، ونشوف هيصدقوا مين فينا .. ممثل مشهور زي، ولأ مجرم خطير زي عادل؟!

- إنت كده هتفتح على نفسك أبواب شك كثير، وهتخش في مشاكل إنت في غنى عنها يا حاتم.

- إيه.. مالك يا سيسيل؟.. إنت هتخاف، ولأ إيه يا أمير؟.. إنت نسيت إن إنت اللي علمتني أموت قلبي بإيدي؟..
نظّر إليه سيسيل بتحدّ:

- إنت عارف إني مخفش يا حاتم.. مش الأمير هو اللي يخاف..
عموماً اللي عايز تعمله عمله.. بس على الله متجيش تعيطلي وتقولي
إلحقتي زي قبل كده.

حاتم يتشم بسخريه.. ثم يرفع هاتفه الحمول ويضغط بعض الأرقام
ويتحدث من خلاله ..

- آلو.. أبوه يا باشا.. حبيبي.. الله يخليك.. أنا تمام الحمد لله..
بخير.. بخير.. حبيبي كنت عايز من مساعدتك خدمه.. الله يخليك يا
باشا.. معلىش بس أنا كنت عايز أقعد مع اللي اسمه الشماس ده بكره
يا ريت.. إيه.. صعب إزاي.. في حاجة تصعب علي الباشا.. يا باشا
لأ مفيش.. بس كنت عايز بس أقابله علشان عايز أعمل فيلم جديد
عن الشماس.. إنت عارف القضية دي شاغله الناس كلها، ولو عملنا
فيلم عنه بسرعة هيكسر الدنيا.. حبيبي.. حبيبي.. طيب الساعه كام..
تمام قوي واحده كويس جدا.. أروحلك فين.. تمام خلاص.. لا طبعاً
عارف إن الموضوع سر طبعاً متقلقش.. آه.. طيب يا حبيبي.. إنت
تؤمر.. هجيهالك معايا بكره حاضر.. حاضر سلام يا باشا.

يفلق الهاتف سريعاً ويتحدث إلى سيسيل:

- عايز هدية ابن الكلب.. مبيعتش حد خالص.

- هاتله هديه.. لما نشوف هتعمل إيه بدماعك الغريبة دي؟!!

حاتم يقف، وهو يشعر بالضيق..

- بقلك إيه ياسي.. أنا زهقت من المكان هنا.. عايزين نغير جو.

سيسيل يقف مبتسمًا..

- بس كده.. غمّض عيتك.

فيغمض حاتم عينيه بسرعة..

فيسمع سيسيل:

- افتح عينك خلاص.

فيفتح عينيه ليجد نفسه وسط الصحراء باريكته، وأمامه التلفاز الكبير ما زال يعمل دون أن يوصل بأي مصدر كهرباء، وخلفه بعض الشباب والفتيات يتراقصون، ويشربون المشروبات المختلفة، فيقف حاتم على الأريكة، ويدأ يتراقص على أنغام الموسيقى مع الشباب والفتيات وسيسيل يُراقبه بضحك.

يقف جابر وصديقه أمام باب القسم يتحدثون.. يرتشف جابر جرعات كبيرة من الشاي الاسود المحروق المحبب إلى قلبه، وهو يشتكي بضيق لصديقه حامد الذي ينقث دخان سيجارته المحشوة بما

لذ طاب من سموم تُغيب العقل وغير عابى بوجوده أمام القسم.. فإنه من وجهة نظره منهم وعليهم ..

- أنا زهجت يا حامد.. أنا طغشت من اللي اسمه شريف ده..
معملي غضب عني بعد مخلصت جيشي.. بيحولي استنى لما أخلص
جضية الشماس.. أنا مالي بالشماس ولا بالزفت اللي على دماغه؟!

- معلى يا جابر.. هانت يا صاحبي.. أهو هيتحول على النيابة
قريب، وهنخلص من الحوار ده.. بس نصحتي ليك.. متعاديش الباشا
شريف.. ده راجل إيديه طايله، وليه كلمه مسموعه في الوزاره.. أنا
عارف إن ليه عم كبير قوي هناك.

- أنا مش عارف بس هو حاططني في دماغه ليه.. أنا تعبان يا
حامد.. نفسي أغمض وأفتح الأقبني وأخذ شهادة الخدمه في إيدي ..
3 سنين، وشويه طالع عين أهلي فيهم خدمه، ومرمطه للبشوات
ومراتهم وعيالهم.. لو أعرف كده والله مكنت دخلت، ولا اتبليت..
واشتغلت في الأرض زي صميده واد عمي.. بس أجول إيه بجي.. في
عجلي الزنخ 1955

حامد يضحك بشدة فتظهر أسنانه السوداء وتخرج أنفائه الكريهة
مصاحبة لدخان السجارة في وجه جابر..

- وانت بعد مخلصت خلاص جاي تقول يا ريتني ما دخلت..
انت عيط يلا.

جابر يضع يده على فم حامد متأقفاً ..

- اجفل .. اجفل خشمك الله بحرب بيتك .. إنت واكل جلة على
الصبح .. الله يجرفك يا أخي هتخليني أحبيب اللي في معدتي!
فيضحك حامد، ويفتح فمه في وجه جابر ليحعله يشم رائحته
أكثر .. فيجري جابر مبعداً من أمامه، وهو يصرخ به بغضب ..
- اجفل .. اجفل الحرارة دي .. اجفل يابن الصرمة.
فيضحك حامد بشدة، وهو ينادي عليه ويشير له بيده ..
- خلاص .. خلاص .. تعالى .. أنا هاغسل بقى بالشامبو.
يقترّب منه حامد وهو مشمئز ..

- شامبو .. شامبو إيه يابو شامبو .. الله يرحم أمك .. كانت فاكره
الجأتوه صابون .. إنت إيه اللي جابك هنا يا ص .. إنت مش عندك
خدمه في مكان تاني؟

- بلا خدمه بلا بتتجان .. أنا ممستي الممثل حاتم فوزي .. يقولوا
جاي القسم النهارده.

- رده جاي يهيب إيه ده هنا في الجسم؟ الناس المشهورة دي ..
الجسم اللي يرحلهم مش هما اللي ييجوا.

- أنا سمعت إنه جاي علشان يقابل الشمس .. أنا سمعت كده من
الضباط النبطية إمارح .. حد كبير من الوزارة كلمهم وقال لهم إنه
هيجي النهارده.

- وده هيتبل بحابل الشمس ليه؟ هي الممثلين اتجنوا ولا إيه؟
وانت واجف كده من الصبح علشان عايز تشوف حته مثل.. بني
آدم زيه زيك .

- بابا.. زيه زي إيه.. ايش جاب جاب.. أنا لو مت دلوقتي
بطلقه، ولا يقبله حد يعيرني، ولا يعير أمي الغلبانه.. لكن ده لو اتعور
بس يسافروه بوه يتعالج على حساب البلد، ولو مات الدنيا تنقلب
صحافه، وإعلام، ومصورين، وشويه يعيطو عليه هنا، وشويه يصوتوا
عليه هناك.. لكن إحنا.. إحنا غلابه.. إحنا ننفرج على الناس دي من
بعيد، وبس يا جابر.

- يا عم مهما كان ده بني آدم زي زيه.. تعرف لو مين.. أنا
عمري لا أروحله، ولا أسلم عليه، ولا أتحرك من مكاني.. هو أنا
لمواخذه زيك؟!

تقف سيارة فارغة أمام باب القسم ويترجل منها حاتم.. الذي
يرتدي حلة سوداء ذات ماركة عالمية لا تقل فخامتاً عن سيارته
الألمانية الكبيرة.. يشاهده حامد فيقفز فرحاً، ويتعلق بذراع جابر:

- أهو يا جابر.. الممثل حاتم فوزي أهه.. وسّع لما أرحله.

ينظر جابر سريعاً بجواره فيجد حاتم فوزي يقف أمام مدخل
القسم، ويصعد الدرج.. فيزيح حامد الذي يقف بجواره بقوة:

- وسع.. وسع.. يابن الصرمه وسع.
- ويركض فرحاً جهة حاتم .. فيقف أمامه، ويسلم عليه بحرارة..
- فيركض بجواره حامد الذي يشاهده، ويتسم:
- منور.. منور يا باشا.. نورت الجسم، والله.
- فينظر إليه حاتم بابتسامة ..
- بنورك يا حبيبي .. إنت عارفني؟!!
- فيتسم جابر بشدة ..
- طبعاً.. طبعاً.. إنت الفنان حاتم فوزي.. أنا شفتك أفلامك كلها.
- كنت بتشوفها في السينما؟
- لأ .. كنت بتشوفهم على قناه نوكتوك.
- فيضحك حاتم بشدة ثم يقف أمام جابر، وينظر له بتمعن من أسفل قدميه إلى أعلى شعر رأسه.. فيلاحظ جابر ذلك فيحدثه مندهشاً: "في حاجه يا باشا؟
- إنت اسمك إيه يا دُفعه؟
- اسمي جابر يا باشا.
- حاتم يقترب منه، ويضع يده على رأس جابر ثم يزل بيده على كتفه..

- تعرف إن جسمك .. متناسق قوي يا جابر!

جابر يتلع ريقه في قلق، ويتعد عن حاتم قليلاً ..

- الله يخليك .. الله يخليك يا باشا.

حاتم يتسم بشدة ثم يحدثه متسائلاً ..

- هو فين المقدم شريف مندور؟

يحاويه حامد سريعاً ..

- في الدور الثالث يا باشا .. آخر مكتب على إيدك الشمال.

حاتم يهز رأسه ..

- متشكر.

ثم يشير بيده إلى جابر ..

- سلام يا جابر .. خليك فاكر .. هنتقابل ثاني.

ثم يُعطيهم ظهره، وينطلق في طريقه وهو يُحيي الجميع، وبعض الضباط يلتقطون الصور التذكارية معه في كل مكان يخطوه .. ظل حامد، وجابر يراقبانه حتى اختفى عن أعينهم .. فتحدث جابر إلى صديقه مُرتاباً:

- ماله الرجل ده يا حامد؟ .. شغته بيصلي إزاي؟

حامد يتسم بخث ..

- شكله عايز عسكري يمثل معاه الجزء الثاني من عمارة يعقوبيان
جابر يمتصن جسده في خوف ..
- يعقوبيان!! .. يا نمار إسود.

اقترب حاتم من مكتب شريف مندور فتوقف لحظة، وهمس
لنفسه..
- إيه اللي انت عملته مع العسكري تحت ده يا سي.. كده
هيقولو عليا إيه.
فيستمع إلى صوت هامس بجواره ..
- متقلقش .. هاقولك بعدين.

فيمسح حاتم على وجهه بيده بضيق .. ثم يطرق باب مكتب
شريف مندور .. ثم يفتح الباب، ويدخل .. فيجد شريف مندور جالساً
إلى مكتبه يقرأ في جريدة، ولا يُعيرُهُ أي اهتمام .. يقف حاتم، وهو
مبتسم أمام شريف:

- صباح الخير .. إزيك يا سيادة المقدم!؟

شريف ينظر له من طرف عينه ثم يتجاهله، ويتابع قراءة الجريدة..
فيشعر حاتم بالضيق من رد فعله، ويجلس إلى المقعد الذي أمام
المكتب .. فينظر له شريف باندھاش ..

- إنت مين يا بني!؟

شعر حاتم بالفضب الشديد.. ثم ابتسم، وهو يجز على أسنانه،
وأخرج هاتفه المحمول، وضغط على بعض الأرقام، وهو ينظر لشريف
ثم تحدث من خلاله ..

- آلو.. أبوه يا باشا.. أنا في القسم أه، وقدامي شريف.

ثم نظر له:

- خد كلمه أه.

وقام حاتم بإعطاء شريف الهاتف الذي أمسكه بيده، وسمع صوت
المستول من خلاله، وهو يقول: *آلو .. آلو .. شريف؟!

فنظر شريف إلى حاتم بلا مبالاة، وأغلق الهاتف، وتركه على
مكتبه، وهو يتحدث حاتم بحدة ..

- ما تقول يا بني إفت مين؟، ومين اللي دخلك عليا كده؟

سرعان ما رن هاتف شريف فرفعه بسرعة، وهو يتسم ..

- أهلاً يا باشا.. أهلاً يا باشا.. لا يا باشا إزاي.. أنا أقدر أقفل في
وشك؟.. تمام يا باشا.. عيني الاتنين.. هيقابله حالاً.. آلو.. آلو يا
باشا..

ثم أغلق الهاتف مرة أخرى، ونظر إلى حاتم، وعلى وجهه ابتسامة
خبيثة:

- مش تقول لي إنك الممثل؟ لمؤاخذه معرفتكش.. أصلي مش
فاضي أتفرج على الهيافات.

حاتم يتسم ساخرًا..

- هيافات.. ممكن علشان الفن بيتطلب انك تشغل محك،
ولأسف.. حضرتك.

شريف يهبط واقفا فجأة من كرسيه..

- "يعني أنا معتديش مخ؟"

ثم يقترب من حاتم ويقف أمامه ثم ينظر في عينه، ويجلس إلى
المقعد الذي أمامه.

- طول عمري يا أخي باستغربين مني يا اخدين أكثر من
حجمكم.. حوالكم دائما الناس، والصحافة، والمذيعات، وبنقبضوا
ملايين، وانتم مجرد مجرد أراجوزات، شهواتين.. بتجرو وراء متعتكم،
ويس.

- واضح إنك بتحقد علينا.

- لأ مبحقدش، ولا حاجه.. اللي تحقد عليه ده لازم يبقى أحسن
منك.. لكن إنتم شوية مدمنين، ولخورجيه وقت ما بتحصلكم مصيه..
بتجروا علينا تبوسوا أيدينا علشان نقذكم، ووقت ما نقبض على حد
فيكم.. بتعدو تعيطوا في كل حته علشان نخرجكم.

حاتم يهز رأسه مُتَأَفِّفًا ..

- دلوقتي إنأكدت إن الشعب بيكرهكم ليه.. علشان شايفين
نفسكم دايماً أعلى من باقي الناس.. لكن في الحقيقة إنتم غلابه..
غلابه قوي.

- إحنا مش غلابه.. إحنا أسياد البلد اللي بتنقذ القانون، وكله
لازم يطيعنا.. إوعى يا بني تكون فاكِر إنكم حاجه.. انتم مجرد
أراجوزات.. البشوات اللي فوق بتلهي الناس بيكم، ولكن في الحقيقة
إحنا اللي بنحكم البلد دي مش إنتم.

- فعلاً.. إنت عندك حق.. إحنا فعلاً أراجوزات بتلهي الناس عن
البشوات اللي فوق، وبتطلع في أعمالنا نقدهم، وتتريق عليهم
الصبح، وبالليل بتقعد مع البشوات دي نتعشي معاهم على طرابيزه
واحدة.. تنفكر الناس العاديه مش عارفه كده؟، ومش عارفه إن إحنا
بتلهيهم، ونضحك عليهم.. عارفين طبعاً.. محدش عيبط زي متوا
فاكرين.. بس على الأقل سمعوا الكلام اللي عايزين يقولوه من
شخص نافي غيرهم.. متأكدين إنه مش هيتقبض عليه، ولا هيروح ورا
الشمس، ومعظم الفنانين اللي ضد البشوات اللي فوق.. بيعارضوهم
علشان محدش إداهم نصيبهم في التورته لسه.. طبعاً مش كلهم كده..
في ناس صاحبة مبدأ، ودول بيقوا قاعدين في البيت يقشروا بصل
طبعاً.. أو هربانين برّه يعطو على القيس بوك، وده اللي بيحصل،

وهيحصل دائماً، وعلى الرغم من أننا إحنا الاثنين رجالة البشوات
اللي فوق.. لكن إحنا أراجوزات البشوات، وانتم كلاب الباشوات،
والناس بتحب الأراجوزات، وبتكره الكلاب.

- أنا عمري ماكنت كلب لحد.. أنا ديب بفترس أي شئ يقف
قدامه.

قال ذلك وهو مُنفعلٌ ويُشير إلى حاتم الذي يجلس أمامه بسباته..
ثم تابع حديثه ..

- أنا واثق إنك وراك حاجة.. أنا عملت بحث عليك عندنا،
وقتش وراك، وتعرف لقيت إيه؟!

ينظر له حاتم متفاجئاً.. فيتابع شريف حديثه:

- ملقتش وراك أي حاجة، ولا محضر سُكر، ولا سيجارة
حشيش، ولا حتى مخالفة عربية واحده.. سجلك أبيض خالص، وأنا
واثق من اللي هقوللك ده.. مفيش حد ميغلطش، والمشهور أكثر..
دائماً بتبقى غلطاته أكثر.. لكن إنت مفيش وراك غلطه واحده، وده
طبعا مستحيل.

- طب، وهتعمل إيه يعني؟ هتسجل مكالماتي، وتخلي صحفي
ينشرها في التلفزيون، وبعدين تَدْخُلُوهُ مجلس الشعب؟ مايهمنيش.
شريف مندور ينظر له بطرف عينيه..

- إنت عايز تقابل الشمساس ليه؟

حاتم باقتضاب ..

- والله مش شغلك .. هاتخليني أقابله، ولا أقوم أمشي؟!

- لا هتقابله .. هتقابله ياخويا.

ثم يضغط على مفتاح في مكتبه فيدخل الجند محيياً إيّاه ..

- أوامر ك يا باشا.

- هاتلي الواد الشمساس من الحجز بسرعة ..

- حاضر يا باشا.

يخرج الجندي مسرعاً، ويفلق خلفه باب الغرفة .. فيقف حاتم سريعاً ..

- أنا هتقابل الشمساس لوحدي.

فيقف أمامه شريف مُعترضاً ..

- إنت مجنون .. عايز تقابله لوحدهك إزاي؟ مش خايف على نفسك؟

- أنا أخاف؟

يتسم بشدة ..

- ثم انت زعلان ليه؟ خايف عليه؟!

يحدثه شريف بضيق ..

- إنت حر دي رقبته انت.. إن شاء الله يقطعها لك..

وأشار بيده جهة رقبته، ثم تركه وخرج خارج الغرفة.. خطوات قليلة، ودخل ثلاثة جنود من الباب، ومعهم عادل وهو مطاطيء رأسه، وحزين، ولم ينتبه لوجود حاتم بالغرفة.. ففركة الجنود واقفاً في منتصف الغرفة ثم خرجوا جميعاً للخارج.

فنظر حاتم بفurch شديد إلى عادل، وهو مُكبّل، واتجه إليه سريعاً.. ليقف أمامه، وهو يتسهم بتشفّ:

- إزيك يا عادل؟

عادل يرفع رأسه ببطء وينظر أمامه فيجد حاتم مبتسماً أمامه.. فيحديق فيه واجماً..

- إنت.. إنت.. إنت اللي كنت في الفيلا عند هدير.. انت اللي قتلتها.. إنت الشماس.. إنت الشماس..

ويصرخ فرحاً وهو يمسك حاتم من ملايسه..

- يا بوليس.. يا حكومه.. الشماس.. أهه.. الشماس الحقيقي هنا.

فيمسكه حاتم من رقبته وهو يصرخ فيه..

- إهدا يا عادل.. إهدا، واسمعي.. تفنكر البوليس هيصدقك

إنت، ولا هيصدق إن فنان مشهور زي هو الشماس؟!

عادل بمسك رأسه، وهو مُكَبَّلٌ مُصَدِّقٌ ..

- أيوه.. أيوه إنت الممثل حاتم فوزي.. الممثل حاتم فوزي هو الشمس..

فينظر له مندهشًا مُصَدِّقًا..

- ليه.. ليه.. إنت ممثل مشهور.. قتلت هدير ليه؟.. خلّيت كل ده يحصل ليه؟.. ليه.. ليه يا جدع؟.. عملت فيك إيه؟..

بمسكه حاتم من ملايسه غاضبًا..

- مش عارف عملت في إيه؟.. مش عارف؟!

يتركه حاتم فجأة ثم يتحدث إليه بهدوء..

- أنا هفكرك.

باي.. باي.. رشدي

في صباح فجر أحد الأيام الباردة في يناير عام 1986.. رجل
تعدى عمره الستين ربيعاً يرتدي جلباناً فضفاضاً قديماً، ويتعل بقدميه
شيشياً قديماً مُمزقاً، ويضع قبعة ريفية على رأسه، ويقف أمام أحد
أقسام الشرطة.. يصعد درجاته الصغيرة، وهو يجر شيشيه بقدمه
اليسرى.. يتقدم جهة ضابط البطشية، وهو يصرخ مُستغيثاً..

- سرقوني يا به.. سرقوني يا حضرة الضابط..

فيصرخ فيه الضابط غاضباً..

- إيه يا راجل إنت! بتزق كده ليه؟.. اتبيل اقعد على جنب.. لما

لفضالك.. إحنا ناقصينك على الصبح إنت كمان؟!

فجأة تتحوّل ملامح الرجل الستيقي إلى الغضب، ويصرخ بالضابط
بحدة..

- إنت بتعامل مع المواطنين كده.. فين المأمور بتاع القسم ده يا
بني انت؟

فينظر إليه الضابط باشمزاز..

- إنت اتجنت يا راجل انت؟! بتقولي يا بني.. إنت عارف إنت
بتكلم مين؟

فيصرخ فيه الرجل بحدة..

- إنت اللي مش عارف بتكلم مين؟ أنا أحمد رشدي وزير
الداخلية.. فين مأمور القسم ده؟

فصُعق ضابط الشرطة من حديث أحمد رشدي.. فهو قد سمع
بالفعل أن وزير الداخلية الجديد يتكرر في زي رجل بسيط، ويذهب
إلى الأقسام ليرى معاملة الضباط، والجنود لعامة الشعب، ولكنه كان
يظنها إشاعة لأنه لم يترك أحد من وزراء الداخلية في تاريخ عصر
الحديث كله سريره الدافئ في زمهرير برد يناير كي يتفقد معاملة
الشرطة لأفراد الشعب البسيط، ولكنه وجد بالفعل الأسطورة تنطق
أمامه.. فوزير الداخلية متكررًا أمامه ورآه مُلبسًا بالجُرم المشهود..
هل ما نتحدث عنه هو شيء خيالي ولم يحدث؟.. بالعكس فهذا كله
حقيقي، وقد فعله أفضل وزير داخلية قد مرَّ بتاريخ مصر الحديث

بشهادة معظم من عرفوه، وعاشوه.. إنه اللواء أحمد رشدي الذي استطاع في 19 شهراً فقط هي عمره في منصب وزارة الداخلية أن يُعيد العلاقة الجيدة، والثقة بين عامة الشعب وجهاز الشرطة.. اللواء أحمد رشدي الذي تولى الوزارة يوم 17 يوليو 1984، فاستهل عمله في الوزارة بالإعلان بأن إستراتيجية عمل وزارته تستند على ركيزتين أساسيتين هما: مكافحة الرشوة، واستغلال النقوذ، والقضاء على تجارة المخدرات، كما أعلن عزمه إعادة الانضباط إلى الشارع المصري، وأجبر قيادات الشرطة كافةً من مختلف الرتب على الزول إلى الشارع لتحقيق ذلك الانضباط، لم يصدر الرجل قراراً مكتيباً بوجود القيادات في الشارع، ولكنه دفعهم إلى الشارع دفْعاً بما كان يفعله بنفسه، فقد اعتاد التعامل بنفسه مع المخالفات المرورية أو التعديات الصارخة على الأرصفة أو أغر الطرق أثناء سيره في الشارع سواء كان متوجّهاً إلى مكتبه أو عائداً إلى منزله، كان لا يكتفي بتوقيع العقوبة على السائق أو المواطن المخالف، بل كان يوقع أشد الجزاء على ضابط المرور أو مأمور القسم أو الضابط المرافق المسئول عن المنطقة التي وقعت فيها المخالفة، كما كان يوقع أشد الجزاءات على القيادات المسئولة عن المناطق التي شهدت وقوع المخالفات ودرن تفرقة بين ضابط صغير أو كبير، أيضاً اعتاد الرجل - وبلا ترتيب - مفاجأة أقسام الشرطة ومرافقها للاطمئنان إلى حسن سير العمل، وكثيراً ما أصدر أوامره الفورية بنقل المُقصرين، كما أصدر عشرات

القرارات بمكافأة المجتهدين .. أيضاً استهلّ اللواء أحمد رشدي قيادته لوزارة الداخلية بالتخطيط للقضاء على «أسطورة الباطنية»، تلك البقعة التي كانت تُشوّء صورة عاصمة مصر، وكانت المخدرات تُباع فيها علناً، وكان المدمنون يفتقون طوابير وبنظام مُحكم للحصول على احتياجاتهم من الحشيش والأفيون مهدوء ودون إزعاج من رجال الشرطة الذين كانوا لا يستطيعون مهاجمة المنطقة، أو لأن أباطرة الكيف المسيطرين عليها، كانوا يستخدمون جيوشاً من «الناشورية» لإحكام الرقابة على مداخل المنطقة التي حباها جوهر الصقلي مؤسس القاهرة الإسلامية بالعديد من الموانع الطبيعية والجبليّة، التي جعلتها أشبه بالقلعة الحصينة، أيضاً استعان أولئك الأباطرة بالعديد من أفراد الشرطة الصغار، كانت كل مهمتهم الإبلاغ عن أية محاولة أمنية من ضباط مكافحة المخدرات للاقترب أو التسلل إلى الباطنية .. اللواء أحمد رشدي كان يعرف كل هذه المعلومات، فالرجل كان قبل سنوات قليلة من توليه مسؤولية وزارة الداخلية يعمل مديراً لأمن القاهرة، وعانى كثيراً وجود تلك البقعة السوداء في قلب القاهرة وحاولَ إزالتها دون جدوى، أما هذه المرة فقد وضع لها تخطيطاً شاملاً ودرس كل شيء بدءاً بتوقيف المجرم على المنطقة، ومروراً بتسلل القوات إلى شوارعها ودروبها، وانتهاء بشكل الحياة في تلك المنطقة بعد تطهيرها من أباطرة الكيف، وبالفعل ومع بدايات عام 1985 بعد شهور قليلة من توليه الوزارة، أعلن اللواء أحمد رشدي .. انتهاء

أسطورة الباطنية وبعدها فتح الرجل النار على الفساد والمفسدين ومستغلي النفوذ، وبدأ يحقق ما قال.. فمع بدايات عام 1986، تواصلت خطي اللواء أحمد رشدي على ذات النهج الذي سار عليه منذ أن تولى المسؤولية، وبدأ واضحاً للكافة أنه لن يجد عن سبيله ولن يحيل إلى التوازنات، وبدأ مُصرّاً على أنه لا استثناءات في مكافحة الفساد، ولا تمييز بين صغير وكبير، هذه المعاني والتأكيدات لم تكن كلمات مرسلة ردّها اللواء أحمد رشدي أمام وسائل الإعلام، ولكنها كانت أقوالاً تُساندُها أفعال ما أوغر صدور كبار القاسدين حياله، وشاء القدر أن تواصل على مدى أيام شهر فبراير عدة ضربات موجعة وغير مسبقة، فقد استهدفت مجموعة من كبار المسؤولين، وكانت هذه الوقائع «القشة التي قصمت ظهر البعير»، وبمعنى آخر كانت الدافع الرئيسي للتخلّص من اللواء أحمد رشدي الذي بات مع أجهزته يشكل خطراً دائماً على كبار القاسدين الذين نجحوا في النهاية وقُبيل انتهاء أيام شهر فبراير سنة 1986.. وكانت من أشهر أسباب هذه النهاية.. واقعة حدثت صباح يوم الأربعاء 4 فبراير.. قبل 22 يوماً من استقالة أحمد رشدي.. فقد سافر اللواء محمد عبد الحليم موسى مدير الأمن العام في ذلك الوقت وبصحبه مجموعة من مفتشي المباحث الجنائية بوزارة الداخلية إلى مدينة الإسكندرية، وهاجوا إحدى الشقق هناك وألقوا القبض على متهمين هارين من حكم صادر ضدهما بالسجن لمدة 10 سنوات في قضية

رشوة .. هذان المتهمان كانا عبد الخالق المحجوب وكان يعمل خبيراً بإدارة النقد بوزارة الاقتصاد رشيق رئيس مجلس الشعب د. رفعت المحجوب، أما الثاني فكان رفعت بشير وكيل أول وزارة الاقتصاد لشئون النقد الأجنبي.. كانت تلك هي المرة الأولى وربما الأخيرة في تاريخ مكافحة الجريمة في مصر، التي ينتقل فيها مدير الأمن العام بنفسه لتنفيذ مهمة أو مأمورية كما يسمونها في جهاز الشرطة .. وكان من الممكن أن يقوم بها ضابط صغير برتبة ملازم ثانٍ وبصحته مجموعة صغيرة من المخبرين، فقد كان المئات من الممارين من أحكام بالإعدام، وبالأشغال الشاقة المؤبدة يسقطون في أيدي الشرطة كل يوم بلا ضجة أو اهتمام، لا من الشرطة، ولا من الصحافة.. وإنما هذان المماربان، وإن صح التعبير واحد منهما كان غير عادي، كان شقيقاً لرئيس مجلس الشعب.. الرجل الثاني في الدولة يحكم الدستور في ذلك الوقت، ومن هنا كانت خطورة المأمورية التي قام مدير الأمن العام لتنفيذها بنفسه وبتعليمات صريحة ومباشرة من وزير الداخلية، والأكثر إثارة وخطورة أن شقيق رئيس مجلس الشعب لم يكن هارباً من حكم في قضية نفقة، أو جنتحة ولكن قضية رشوة وصادر ضده ومعه متهمون آخرون حكم حضوري بالسجن لمدة 10 سنوات لكل منهم!.. والغريب أنه بعدما أحييت هذه القضية إلى محكمة جنابات أمن الدولة العليا (طوارئ)، باعتبارها قضية رشوة واستغلال نفوذ، وتداولت القضية في عدة جلسات بحضور المتهمين الأربعة ومخامين

عنهم، إلى أن حُجزت للحكم بمجلسة 14 يناير 1986 ، ليصدر فيها الحكم حضورياً ضدهم بالسجن لمدة 10 سنوات، وبفاجأ الرأي العام باختفاء المحكوم عليهم الأربعة في نفس يوم صدور الحكم.. منهم عبد الخالق المحجوب.. شقيق رئيس مجلس الشعب د. رفعت المحجوب.. الذي قُبضَ عليه يوم 4 فبراير كما ذكرنا.. ليبدو للجميع أن أحمد رشدي لن يُهادنَ أحدًا أو يقف مع الفساد والفاستدين مهما يكن موقعهم في الدولة.. ليبدأ الجميع في الاتحاد ضده.. تجار المخدرات، وجماعة المفسدين.. لبدأ أحداث المؤامرة على ذلك الرجل.. (أحداث الأمن المركزي).

ففي يوم الثلاثاء 25 فبراير 1986 الساعة السادسة.. سُوِّت إشاعات عن زيادة مدة التجنيد الإجباري لقوات الأمن المركزي من 3 سنوات إلى 4 سنوات، وتخفيض المرتب الفضيل الذي يتقاضونه من أجل تسديد ديون مصر لبدأ الإشاعة في الانتشار كالنار في الحشيم، ولأول مرة في تاريخ مصر تقوم قوات نظامية مهمتها حفظ الأمن بالخروج المسلح على الأمن.. ففي السادسة من بعد ظهر الثلاثاء 25 يناير 1986، كان اللواء أحمد رشدي في منزله يستعد للذهاب إلى مكتبه، والتقط ضابط الحراسة المرافق له إشارة لا سلكية صادرة من مديرية أمن الجيزة تقول: إن مجموعات ضخمة من جنود معسكر قوات أمن الجيزة بأول طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوي تمردت وتحاول الخروج من معسكرها، قرر الوزير ألا يترك الأمر لمساعديه، يادر بالتوجه إلى مكان الأحداث، وهناك واجه مجموعات الجنود

المتمردة، تحاورَ معهم بعد أن قدّم لهم نفسه، فلم يكن أي منهم يعرف اسم وزير الداخلية أو شكله، ونجح الرجل في إقناعهم بالعودة إلى المعسكر رغم إصابته بجرح قطعي في جبهته متأثراً بإصابته بإحدى قطع الحجارة التي كان يُلقِيها الجنود المتجمعون. وأكد اللواء أحمد رشدي للجنود كذب الشائعة استمرارهم سنة رابعة بالأمن المركزي، تلك الشائعة التي انتشرت بينهم بسرعة البرق، وكانت السبب في إثارة الجنود الذين يعانون زيادة معدلات الساعات المضاعفة التي يقضونها في تنفيذ المهام التي يكلفون بها، فيما يعرف بالخدمات الأمنية، ولم يكن لها ما يبررها، حيث إن مدة التجنيد التي يقضيها مجندو الأمن المركزي لا تحددها وزارة الداخلية، ولكن تحددها جهات أخرى تتبع القوات المسلحة، كما تحدد الإجراءات المتعلقة بمدة خدمة الجنود ومواعيد إنهاء خدماتهم وتسريحهم، وعادت بالفعل جموع المتمردين إلى داخل معسكرهم مرة أخرى، ووعد الوزير الجنود ببقاء موسم يعقده معهم صباح اليوم التالي -الأربعاء 26 فبراير- للاستماع إلي شكاواهم وتذليلها جميعاً، بعد أن تطرق الحديث بين الوزير والمتمردين إلى الشكوى من سوء المعاملة، وسوء نظام تشغيلهم، وعدم كفاية الأغذية ووسائل الإعاشة لهم.

وعاد الرجل بسيارته قاصداً محافظ الجيزة بأول شارع الهرم لإبلاغ الرئاسة بتفاصيل ما حدث، فوجد هناك في مبنى المحافظة الدكتور عبد الحميد حسن محافظ الجيزة، وبصحبه اللواء عبد الحميد بدوي مدير أمن الجيزة، كما وجد اللواء حسن أبو باشا نائب رئيس الوزراء ووزير الحكم المحلي - وزير الداخلية السابق - بادر الدكتور



عبد الحميد حسن بتضميد جراح الوزير وكان اللواء رشدي سعيداً بقدرته على احتواء الأزمة بمقرده بعد ساعات قليلة مروت، ولكن حدث بعد انصرافه أن اشتعل بعدها الموقف من جديد لأسباب مجهولة في معسكر قوات الأمن المركزي الذي يبعد بضعة كيلومترات قليلة عن معسكر قوات الأمن، فقد كان المعسكر الأول يقع في نهاية شارع الهرم، بينما يقع الثاني في بداية طريق مصر الإسكندرية الصحراوي، فُرعَ المتخطفون إلى الشوارع فحطموا السيارات الخاصة، والعامّة، وأشعلوا النيران في العديد من الفنادق والمنشآت السياحية، وبذلت قوات الشرطة التي هُرعَت إلى المكان جهوداً جبارة لإنقاذ شاغلي تلك المنشآت السياحية من السياح والزوار الأجانب، ولكنها فشلت في وقف زحف المتمردين صوب باقي شارع الهرم، وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً طارئاً لتدارُس الأزمة، واستمرّ الاجتماع حتى الساعة الواحدة صباحاً، وتقرّر في أعقاب الاجتماع إعداد بيان بتفاصيل ما حدث وإذاعته على الرأي العام، فطلب اللواء أحمد رشدي إرجاء إذاعة البيان حتى الصباح، ولكن وزير الإعلام صفوت الشريف وعدداً من الوزراء عارضوا وزير الداخلية متحججين بضرورة مخاطبة الرأي العام بحقيقة ما جرى وطالبوا بضرورة إعداد بيان وإذاعته، ولكن وزير الداخلية اللواء أحمد رشدي الذي أكد أهمية الإعلام وأهمية إطلاع الرأي العام على ما يجري من أحداث وأهمية أن يعرف جميع الحقائق، إلا أنه طلب تأجيل إذاعة البيان لحين اتخاذ أجهزة الشرطة المعنية لإجراءات الاحترازية لمواجهة الانتشار غير المرر لشائعة السنة الزائدة التي سيقضيها جنود الأمن المركزي، وأضاف أن

إذاعة البيان يمكن أن تسهم في نقل الشائعة إلى باقي المعسكرات على مستوى الجمهورية، وقال الرجل: إنه يطلب إذاعة البيان مع ساعات الصباح الأولى بدءاً من إذاعته في هذا الوقت المتأخر من الليل، واعتقد أحمد رشدي أنه حاز على إجماع ومساندة من أعضاء مجلس الوزراء لوزارة الداخلية في مواجهة الأزمة، وانتهى اجتماع مجلس الوزراء على ذلك، ولكنه فوجئ بالشكوك التي تساوره وراء هذه الأحداث، ومنذ اللحظة الأولى تزايدت تلك الشكوك بداخله، وبدأت تتحول من شكوك إلى يقين، فقد علم الرجل بعد انتهاء اجتماع مجلس الوزراء أن خبر تمرد الجنود بمعسكري الهرم والجيزة بدأ إذاعته بشكل عاجل في مواقع الأنباء، ونشرت الأخبار التالية، كما علم أنه قد أبلغت الصحف اليومية بالبيان، ونشر بالطبعات الأخيرة الصادرة صباح الأربعاء، وتبين لوزير الداخلية أن صفوت الشريف وزير الإعلام وراء إذاعة البيان في مواقع ونشرت الأخبار وبالطبعات التالية من الصحف اليومية، وخلال الساعات الأولى من صباح اليوم التالي الأربعاء 26 فبراير، اشتعلت الأحداث التخريبية المماثلة من جنود المعسكرات التابعة لقوات الأمن والأمن المركزي بمحافظة القاهرة، والجيزة، والقليوبية، وأسيوط، وسوهاج، والإسماعيلية. اشتعلت الأحداث بصورة غير طبيعية، وغير مفهومة، وتقرر في الحادية عشرة من صباح الأربعاء فرض حظر التجوال في جميع المحافظات التي شهدت أحداثاً تخريبية، وعلى رأسها محافظات المنطقة المركزية (القاهرة - الجيزة - القليوبية).

كانت صدمة شديدة لجنود قوات الأمن المركزي وهم يركضون بأسلحتهم، وعصيهم، وملايسهم العسكرية عندما شاهدوا مدى الترف، والبذخ الذي كان يعيش به البعض.. عندما رأوا الفنادق، والملاهي، والسيارات، وسبل الراحة المختلفة التي يعيش فيها الأغنياء، وقارنوها مع ظروف الحياة الصعبة في المعسكر الذي يمثل بالنسبة إلى جندي الأمن المركزي حياة السجن تمامًا.. فبدأ شعورهم بالفيظ، والقهر يتفجر من صدورهم.. فهبوا يحرقون ذلك المبنى، ويسلبون ذلك الملهي، ويهشمون ذلك الفندق، وسعوا في الأرض فسادًا، وبدأ بعض المهمشين، والمجرمين، والبلطجية بالالتفاف حول هذه القوة المسلحة الجديدة التي ظهرت، ويبدو أن لها الغلبة.. فانتشر الجنود في الشوارع، والطرق، وأقاموا المناريس، وأصيب الناس بالهلع من ذلك المشهد غير المألوف لديهم، والتزموا بيوهم.. إلا من بعض المهمشين، والمنتهجين كما قلنا، وبعض من انتابهم الفضول مثلما حدث مع كوجي.. ذلك الطفل الذي لم يستمع إلى كلام أمه، وتسلل خارج المنزل في الليل لكي يرى ما يفعله هؤلاء الجنود الذين يعلم أنهم دائمًا كانوا يفضون المظاهرات، ولأول مرة يراهم يفعلونها.. أخذ يركض مع الفضوليين الآخرين، ويشارك الجنود في افتعال بعض الحرائق في السيارات والأشجار وبعض المباني، وهذه الأفعال لدى الأطفال هي الجنة.. يريدون أن يحطموا، ويحرقوا.. دون محاسبة أو لوم.. ظل في لعبته هذه حتى مساء اليوم التالي.. كان يقتطع بضع ساعات يذهب إلى موله لياكل، وليطمن والدته عليه التي كانت تصرخ فيه، وترجاء ألا يخرج من المنزل حتى لا يحدث له مثلما حدث لأبيه من

قبل، وكان يزداد عنادًا مع ازدياد صُراخها عليه.. فانتهي من تناول الطعام، وخرج سريعًا ليمارس هوايته من جديد.. فشاهد، وهو خارج من باب منزله حاتم، وهو بملابس العمل التي يكسوها الشحم والزيت من أثر عمله في ورشة الميكانيكا التي جعله كوجي يعمل بها.. فحيّاه فرحًا لرؤيته..

- علاء الدين.. حظك حلو قوي.. تعالى معايا.. شارع الهرم الدنيا موكله فيه.. تعالى نلعب هناك.

فيحدثه حاتم بتعب..

- أنا لسه جاي من الورشة تعبان يا كوجي.. أنا هنام، وباليل هاجيلك هناك.. إنت هتبقى فين؟

- هتلاقيني في الأريزونا.. في فندق هناك رهيب.. بتتجمع ونقعد في السراير والأرض اللي هناك، وفي حمام سباحة بنيلبط فيه، وهتلاقني أكل وكل اللي نفسك فيه.

- خلاص هنام شويه، وهبقى أجيلك على هناك.

- خلاص هستاك .. سلام.

- سلام يا كوجي..

ثم يتركة ويذهب إلى المخزن القديم لينام بداخله.

وينطلق كوجي في شارع الهرم الذي أصبح مدمرًا ويلعب الكرة مع بعض أقرانه، وبعض الجنود المتمردين الفرحين بطعم الحرية التي

نالوها أخيراً، وسار الأمر على ذلك الإطار حتى الساعة 8 مساءً، ففي تلك اللحظة شاهد كوجي مشهداً أشعره بالصدمة الشديدة، وكاد أن يخرج قلبه من جسده.. لقد رأى أحد الجنود يقف حارس مرمى وهو يرتدي ملابس العسكرية، ويفتح أزار قميصه ويخرج فائلته الداخلية البيضاء، ويصد الكرة ببراعة، وبالطبع لم يكن مشهد صد الكرة هو ما أصاب كوجي بذلك الخوف.. بل الجنود نفسه الذي عندما رآه تذكر حدثاً حاول أن ينساه مراراً، ولكنه لم يستطع.. توقف كوجي عن اللعب فجأة، وركض مخبئاً من الجندي لكيلا يراه، ويعترف إليه، وأخيراً بين إحدى الأشجار الموجودة بجوار الفندق، وظل يُراقبُ المُنجد من بعيد وهو يتصبَّ عرقاً، ويرتعد في خوف.. وهو يفكر في شيء.. واحد فقط.. إنما فرصته.. إنما فرصته الآن.. ظل يشاهد المُنجد بكل حرص، ويحقّق، ويدقّق في ملاحظه بكل حرص حتى يستأكد من أنه هو، وبعد ساعتين تيقّن بكل تأكيد أنه هو بالفعل.. ظل الجندي يتنقل من مكان إلى آخر بعد أن انتهى من لعب الكرة، وكوجي وراءه يتابعه بحرص حتى لا يكتشفه.. يتابعه، وهو لا يعلم ماذا سيفعل معه.. هو فقط يتابعه.. دون خطة واضحة.. دون تفكير أو تدبير.. كان يتحاشى أن يشغل بعقله، ولو قليلاً حتى لا يفقد تركيزه ويغيب هذا المُنجد عن عينه.. تحرك المُنجد، وهو يحمل سلاحه ومعه مجنّدان آخرون يتسامرون.. عند إحدى المناطق الزراعية المظلة على ترعة المريوطية، وجلسوا على حافة التربة يضحكون ويتسامرون، وكوجي ما زال يُراقبهم بكل تركيز، وهو يقف مُبتعداً

عنهم فوق سطح أحد المباني المحترقة بجوار ترعة المربوطية بذلك
يستطيع مراقبتهم دون أن يشعروا به ..

وبدا كوجي يتذكر ما حدث له .. عندما كان مع والده منذ عام ..
عندما كان يصطحبه والده لشراء حذاء جديد له بمناسبة لجهاده من
أحد ااحلات بمنطقة الحيزة، وهم عائدون عندما وجدوا بعض العمال
يركضون بسرعة جهتهم بعد أن خرجوا في مظاهرة، واستطاعت
قوات الأمن المركزي أن تفرقهم، وظلوا يُطاردونهم ويلاحقونهم في
الشوارع .. وقام والد كوجي بسحبه بقوة من يده .. وظل يركض
هرباً من قوات الأمن مع العمال الهاربين، ولكنه يتعثر فجأة في إحدى
الأحجار التي بالطريق، فيسقط على الأرض، ويسقط معه كوجي ..
فيلحقه أحد جنود قوات الأمن المركزي، وينهال عليه بعصاه الغليظة
فوق رأسه بكل قوة ظناً منه أنه متظاهر هو الآخر، ولم تغلج محارلاته
بإقناعه وهو يصرخ من الألم بأنه ليس من المتظاهرين، ولكن الجنود لم
يستمع إلى ما قاله، فهو مُرتج على هدف واحد فقط، هو تنفيذ الأمر
أيًا كان، وكان الأمر هذه المرة ألاً ترحم أحدًا، وأخذ ينهال بعصاه
وسبابه على والد كوجي الذي انبطح على وجهه، وهو يزود بجسده
عن ابنه كوجي الذي كان أسفل منه، ويرى كوجي مصدوماً .. ملامح
والده، وهو يتألم، وتسقط الدماء من رأسه، وتغطي جسده، ويرى
أيضاً ملامح الجنود الذي ينهال بكل ضراوة على أبيه الذي يحميه،
وعلامات الرضا على وجهه .. سرعان ما سقط والده أرضاً .. غارقاً
في دمانه، وقطع من رأسه من الخلف تساب خارج جمجمته .. فتوقف
هنا الجنود عن ضرب والده، وبدأت ملامح الدهول على وجهه،

ركوحي يحاول أن يحرك والده الذي يحتضنه دون أي مجيب.. ف يرى قطعاً من مخ والده على كف يده فيحاول أن يعيد كوجي هذه القطع مرة أخرى إلى داخل رأس والده ولكنه لم يستطع، واكتفى بأن نظّر مَصْدُومًا إلى الجندي والدموع تساق من عينيه ضد إرادته.. أحد الضباط نظر إلى الجنود وإلى كوجي وجثة والده.. فسحب الجندي من يده، وهو يُشيرُ إلى أحد المتظاهرين الذي يركض:

— هات الواد ده بسرعة.

في نظر الجندي إلى كوجي قليلاً ثم يتركه ويذهب بسرعة إلى جهة المتظاهر الذي أمره الضابط بملاحقته، وتبعه الضابط، وتركه كوجي، ووالده بجواره جثة هامده.. ملقيان في وسط الطريق.. بدون أي حديث أو كلمة ..

خُفِرَت معالم ذلك الجنود في ذاكرة كوجي إلى الأبد، ولكنه تناسى الأمر برُمته لاستحالة ظهور الجنود أمامه مرة أخرى، ولكن هنا لعب القدر لعبته، وأصبح الجنود قاتل أبه أمامه الآن.. لعل ما حدث من فوضى هذه الأيام هي من ترتيب القدر.. الذي أبى أن يَمُرَّ أمر قاتل أبيه بدون عقاب، وما قد أتى ميعاد الانتقام، ولكن كيف سوف أنتقم منه، والجنود في وسط أصدقائه، ومُنْقَلَد سلاحه الناري لا يفارقه.. لا يهم سوف أحصل على انتقامي بأي طريقة كانت هذا ما كان يدور في خلد كوجي، وهو يراقب الجنود، وهو يضحك مع أقرانه.. دون أن يتذكر لحظة وقوع والده ضحية له.. بدون أي سبب أو مبرر.. قطع

حل تفكيره ذلك.. مرور حاتم فجأة تحت المبنى.. فصرخ عليه من أعلى بصوت منخفض ..

- علاء الدين.. علاء الدين.

وقف حاتم ينظر حوله على مصدر هذا الصوت، وبعد ذلك نظر إلى أعلى فوجد كوجي يقف على سطح المبنى فيبتسم له ثم يدخل المبنى وبعد عدة لحظات سيُصبح بالأعلى.

- إيه يا كوجي.. إنت مش قولتلي إنك هبقى في الأريزونا.. إيه اللي جابك هنا؟

- إنت عرفت إني هنا إزاي؟

- مخيمو.. قصدي السندباد.. قال لي إنه شافك رايح على ترعة المروطيه.. إنت قاعد هنا بتعمل إيه؟

كوجي ينظر إلى الخندين بضيق ..

"لأ معملش حاجة.. تفكر إيه اللي بيحصل في البلد.. العساكر في كل حته، وعمالين يولعوا ويكسروا في الشوارع والعريبات.

وبدا الاثنان يتحدثان في تلك الأحداث مدة ساعة تقريباً، وعين كوجي لم تترك الخندين لحظة.. فشاهد فجأة الخندين يتحرك، وهو ممسك سلاحه، ويتحدث إلى زملائه ثم يعطيهم بعض السجائر، ويتركهم ويتبعد عنهم مسافة كبيرة ثم يتوارى بين بعض الأشجار في أحد

الحقول.. فيقفز كوجي فجأة من مكانه.. فيتعجب من أمره حاتم، ويسأله عما ألم به فجأة.. فيتركه كوجي سريعاً متجاهلاً إياه ودون أن يتحدث معه، ويركض سريعاً إلى أسفل المبنى، ويخترق الشوارع مسرعاً جهة الحقل الذي به الجندي، ويُشاهد حاتم من بعيد مندهشاً من فعله.

يقترّب كوجي من الأشجار التي توارى بها الجنّد، وظل يقترّب منه بهدوء، وترئّص شديد.. فوجد الجندي يجلس بجوار إحدى الأشجار، وهو نازع بنطاله ويشرب سيجارته وهو يقضي حاجته، وسلاحه بعيد عنه قليلاً.. دقت ضربات قلب كوجي وهو ينظر إلى الجنّد الذي ينشغل بما يفعله مبتعداً عن سلاحه.. حاول أن يتقدم ولكنه شعر بالخوف يمنعه من الحركة.. ها هو قاتل أبيه أمامه.. إلما فرصته لأخذ ثأره، ولكنه ما زال صغيراً، وضعيفاً، ولم يضع خطة في رأسه.. ماذا سيفعل؟.. كيف سيتصرف؟.. فجأة سمع صوت حاتم من خلفه يصرخ فيه ..

- كوجي .. إنت فين يا كوجي؟

فاتّبه الجنّد إلى مصدر الصوت.. فشاهد كوجي وهو يُراقبه من بعيد.. فنظر إليه غاضباً:

- بتعمل إيه هنا يا حن؟

وجد كوجي نفسه خائفاً، وهمَّ اتخند بارتداء بنطاله.. فقفز جسد كوجي فجأةً رغماً عنه، وأمسك بسلاح اتخند الذي وجده ثقيلاً للغاية، وكاد يسقط منه.. فصرخ اتخند عليه غاضباً..

- سيب السلاح يا ابن الكلب.. سيب السلاح يا ض.

وهب واقفاً فجأةً.. فوضع كوجي يده على الرناد خائفاً، وفيجأةً انطلقت دفعة كبيرة من الطلقات اخترقت جسد اتخند، واخترق دوتها صمت الظلام حوله، ووقف كوجي مشدوهاً موتعشاً.. وهو يرى اتخند يحاول أن يمنع الدماء التي تسقط من جميع أنحاء جسده.. وهو ينظر إلى كوجي مصدوماً.. حاول أن يتنطق.. أن يتحرك.. فلم يستطع.. لحظات، وأصبح جثة هامدة لا يتحرك فيه أي شيء غير الدماء التي أسقت جذور الأشجار الرافدة بجواره..

لحظات مرت كالأعوام.. لم ير عقل كوجي شيئاً بها غير الفراغ الأبيض.. لا يسمع إلا أصوات الرياح وهي تضرب أوراق الأشجار بقوة وعنّف.. شعر بيدٍ تمسكه من ذراعه.. نظر بجواره فشاهد حاتم الذي وقف مصدوماً وهو يرى كوجي ممسكاً بسلاح نارٍ وأمامه جثة اتخند.. عارية من أسفل، وتغطي الدماء الحمراء ملابسه الداخلية البيضاء.

هز حاتم كوجي بعنف وهو يسأله..

- أنت عملت إيه؟ .. عملت إيه؟

نظر إليه كوجي ويده ترتعش، ووضع السلاح الناري بيده،
وحذّته بصوت خافت مُرتعش:

- استنى هنا.

ثم اختفى كوجي فجأةً من أمام حاتم الذي أمسك بالسلاح
مصدومًا، وأخذ ينظر إلى جثة الجنود ولم يتحرك.. فجأةً.. أتى عدد كبير
من الجنود وهم يحملون أسلحتهم واخترقوا المكان.. فشاهدوا جثة
زميلهم وأمامه حاتم يمسك بالسلاح.. فصرخ فيه أحدهم..

- قتلته.. قتلته يا بن الكلب.

وبدا يركل حاتم وَيُسْقِطُهُ أرضاً ويضربه بعنف، وأخذ أصدقاؤه
السلاح من يده، وبدؤوا ينهاون عليه بالضرب، والسباب، وحاتم
مذهولٌ مصدومٌ لا يستطيع الحركة أو الحديث.. ثم سَحَبُوهُ بعيدًا،
وجَرُّوهُ على الأرض وهم يضربونه بشدة ويصرخون فيه، والتقى
الجنود بمجموعة جنود آخرين.. الذين بدؤوا أيضًا بسبه وضربه،
وكادوا أن يقتكوا به.. لولا تدخل بعض العقلاء منهم، وظل أحدهم
يركل حاتم بقدمه، ويضع حذاءه على رأسه، وحاتم يبكي والدماء
تسيل من أنفه، وفمه.. فيرى من وسط أحذية الجنود وهو مُلقَى على
الأرض.. كوجي، وهو يقف بعيدًا ينظر له، وهو يبكي ولا يتحدث..
فيصرخ فيه حاتم:

- إلحقني.. يا كوجي.. إلحقني.

فنظر كوجي إليه قليلاً.. ثم أدار له ظهره وظل يركض بسرعة، وهو يتعد عنه.. هذا المشهد دمر عقلية حاتم الصغيرة.. فكوجي لديه ليس صديقه فقط، ولكنه مثله الأعلى.. الذي يتمنى أن يصبح مثله، ويظهر فرحاً عندما يكونون معاً.. يتحدثون في أمور الفتيات، ومشاهدة الكارتون.. تحيل عندما ترى مثلك الأعلى وهو يهشمك ويحطمك، ماذا تنتظر من الدنيا بعد ذلك؟؟.. انهمرت الدموع من عينه وهو مصدومٌ حزين.. يتمنى الموت في تلك اللحظة.. لا يشعر بضرب البيادات فوق رأسه ولا الركلات في معدته.. جميع من أحبهم تركوه.. جميع من أراد أن يعيش معهم خانوه.. لماذا يظل حياً في هذه الحياة؟؟.. لماذا يستمر في هذه الآلام؟؟.. هل لا بد أن يرى كل تلك الآلام حتى يعلم ما السعادة؟؟.. أتوهنا سعادة.. أين هي تلك السعادة؟؟.. هذا العالم لا يوجد به سعادة.. إن لم يكن.. علم ما الآلم.. قدانما السعادة أكثر من الآلام.. الحياة.. الحياة.. هي الآلام..

في نهاية يوم الخميس 27 فبراير انتهت أحداث الأمن المركزي.. بزول قوات الجيش في الشارع، وسحقت تمرد قوات الأمن المركزي بكل قوة، واستُخدمت الطائرات المليكوبتر والدبابات في قتال الجيش أمام قوات الأمن المركزي ذات التسليح الخفيف.. وسط تعجب والذهاش عامة الشعب لما حدث، ولم يكن يُخيل اليهم في يوم من الأيام أن تُستخدم قوات الداخلية والقوات المسلحة في صراع سياسي دموي بين أعضاء النظام في ذلك الوقت.

وحدث ما تمته قيادات الفساد وشركائهم من أباطرة تجار المخدرات، وأطبخ بأفضل وزير داخلية حتى هذا اليوم اللؤاء أحمد رشدي، وقدم استقالته لعدم رغبته في التضحية بدماء أبناء الشعب في صراعه مع قوى الفساد التي اعتلى الظلام عقولها ورغبتها في أن تُحطّم أي شخص يطالب في أن يسود النظام والأمن وحقوق الإنسان هذه البلاد.. حصيلة تلك الأيام الثلاثة.. مقتل الآلاف من البسطاء من قوات الأمن المركزي الذين غرّر بهم، وحرق وتدمير الكثير من الممتلكات العامة والخاصة وترويع ملايين الأمنيين من أفراد الشعب العاديين.. ومر الأمر وتلك الأحداث حتى الآن دون محاسبة أحد من المتسببين فيها حتى الآن.. وحدث شيء غريب وعجيب.. ويكاد أن تبكي حزناً لأجله.. فاحتفالاً بنجاح اتحاد أباطرة الفساد وتجار المخدرات انتشر نوع جديد من المخدرات في الأسواق يحمل اسماً به من التشفي الكثير.. حيث أسماه تجار المخدرات باسم:

"باي .. باي .. رشدي"

عودة سيسيلي

أما ما حَدَّثَ خاتم، فقد حُوِّلَ إلى دار إصلاحية الأحداث لقضاء عقوبة السجن سبع سنوات بتهمة القتل الخطأ لجندي الأمن المركزي، ولك أن تتخيل إصلاحية لتهذيب صفار السن في مصر.. ما الحال فيها؟ ..

نعم تحبُّكَ صحيح.. فهنا المحرم لا يُعَالَجُ من إجرامه بل يمارسه بكل حرية وليس ذلك فحسب.. بل يتعلَّمُ أيضًا فنون إجرام أخرى من زملائه وأقرانه من المجرمين الصغار، وكل ذلك تحت بَصَرِ مُشْرِقِ الدار ومديرها وسمعهم..

ولنجح خاتم في التأقلم على ذلك الوضع الجديد في الإصلاحية .. مدة عامين .. لا يخالط أحداً أو يتحدث إلى أحد.. يتقذ ما طُلِبَ إليه أن يفعله أيًا كان هذا الطُّلُبُ.. حتى ولو كان مساعدة تيمور،

وعصابته المكونة من خمسة أفراد.. التي تخرج إلى خارج الإصلاحية كل يوم لتنشل، وتسرق، وتوزع الغلة كل يوم بواسطة المشرف الذي من المفترض أن يرعاهم، ويهذبهم، ولكنه أصبح بدلاً من ذلك زعيم تلك العصابة الصغيرة، وكانت مهمة حاتم اليومية هي الشجار مع أحد أفراد تلك العصابة لكي يصرف نظر المسروقين ليتيحوا الفرصة لزملائهم بسرقتهم.. هل كان يخرج حاتم كل يوم من الإصلاحية ويعود إليها؟.. نعم.. فلماذا لا يهرب؟.. لأنه لا يجد مكاناً يذهب إليه مرة أخرى.. سوى الشارع الذي كان يعيش بين جنباته منذ عامين، ورأى أن حياة الإصلاحية أفضل من حياة الشارع على الرغم من كل مساوئها، وظل حاتم مُنخرطاً في تلك العصابة الصغيرة، وصد كل محاولات الصداقة من أفراد تلك العصابة.. حتى لا يتكرر معه أن يخونه.. أحد أصدقائه مثلما فعل معه كوجي صديقه ومثله الأعلى من قبل، وبالطبع كان تيمور لا يعجبه هذا القرد غير الاجتماعي أن يكون بين أفراد عصابته، وكان يريد دائماً الشجار معه والفعل به.. لولا تدخل المشرف عليهم.. الذي كان يؤمن بفكرة عدم الاقتتال الداخلي بين أفراد العصابة.. لكي يكون هناك شرف للمهنة.. ظلت الأمور كما هي حتى اختفاء المشرف عليهم مدة ثلاثة أيام.. بدون سبب أو علم لدى تيمور وعصابته التي لم تخرج من الإصلاحية في تلك الأيام.. حتى مساء يوم الأربعاء 13/7/1988 كانت تجري مباراة مصر وتونس في بطولة كأس العرب بالأردن، وكان الجميع منشغلاً بتلك المباراة المهمة حتى تيمور، ورفاقه ظلوا جالسين في غرفتهم الكبيرة ذات السبعة أسِرّة.. يستمعون إلى تلك المباراة عبر المذياع..

أبدى حاتم عدم مبالاة بالأمر، وهو جالس فوق سريره مروراً على نفسه.. حينما فاجأ الجميع دخول أمين مشرفهم الذي اختفى عنهم منذ ثلاثة أيام وهو غاضبٌ بشدة، ويصرخ فيهم بكل قوته بعد أن أغلق باب الغرفة ..

- أنا.. يتعمل في كده يا شوية كلاب.. أنا أتقل أنا.. مين فيكم يا شويه خو.. اللي بلغ الإدارة عن اللي بنعمله؟.. مين اللي عمل كده يا شويه جرايع ؟

الجميع قفز من مكانه، وهم مندهشون من حديث مشرفهم، وتوجّه إليه أكبرهم وزعيمهم تيمور ..

- يا بيه.. محدش فينا اتكلم عن أي حاجه في الشغل.. إنت متأكد إن اللي عمل كده من عندنا هنا؟!

- أيوه يا عم الزفت.. المدير قالي.. إن في عيل من عندي .. قاضم إنه مش عايز يشتغل في السرقة معانا، وبلغ عني وعلشان كده عايزين يضحوا بجد علشان الموضوع ما يوسعش، وكانوا تاوين يرفدوني .. لولا المدير تقطني، وشتمني وهو بيقولي إني مش مسيطر على العيال اللي تحت إيدي .. أنا مش عارف أسيطر عليكم يا شويه .. خو ...

وصفّع تيمور على وجهه بقوة .. فنظر إليه تيمور غاضباً ..

- والله يا بيه.. ما حد قال حاجه.. أنا عارف الرجاله اللي تحت إيدي .. رجاله ومعلمين بجد .

- آمال أُمي هي اللي جت بلغت عني يا ولاد ...؟!

نظر تيمور إلى المشرف أيمن وهو مُغتاض ..

- أنا بقلك أنا متأكد من رجائتي .. لكن في ناس مش من رجائتي
ومش متأكد منه .. وتوجه بنظرة إلى حاتم الذي يُشاهدُهم بدون
تعقيب .. فنظر أيمن إلى حاتم بغيظ ..

- هو ابن الم... اللي بلغ عني؟

يهز تيمور رأسه بإتسامة ..

- أكيد .. يا بيه .. محدش غيره يقدر يعمل كده .

فنظر إليه أيمن بحقدٍ وأشار برأسه إلى تيمور ..

- خلّص عليه .

فصدم حاتم من كلامه وفقر خائفًا من سيوره، ونظر تيمور بوجوم
إلى أيمن ..

- أخلص عليه؟! عايزني أموته؟

فصفعه تيمور برفقٍ على وجهه ..

- هي يعني دي أول مره يا لك...

ثم أخرج سيجارة من جيبه، وأعطى تيمور إياها الذي أخذها،
وهو يتسهم .. ثم نظر إليه

- لا يا بيه .. كده مش جايبه همها .

فيتسّم أيمن له ثم يخرج سيجارة أخرى إلى تيمور.. الذي أخذها، وهو يضحك.. ثم التفت ينظر إلى حاتم، وهو يضحك بعين الصياد الذي يتلمس الفريسة بين يديه، ويضع يده في جيبه، ويخرج مطواة صغيرة ليفتحها باحتوائية شديدة، وهو يتحدث بصوت مسموع:

"أخيراً.. جه اليوم اللي كنت مستيه من مستين..

ثم صرخ في عصابته..

- إمسكو الواد هه..

فتجمّع الجميع بسرعة حول حاتم الذي حاول أن يهرب بخوف قبل أن يمسكوه من يديه بقوة وهو يصرخ في تيمور..

- إنت هتعمل إيه؟.. إنت اتجننت؟.. عايز تموتني ليه؟.. أنا عملتلكو

إيه.. مش أنا اللي قولتلهم والله العظيم، والله العظيم مبلّغت عن حد.

فيقترب تيمور منه، وهو يتسّم ابتسامة شيطانية..

- مش مهم.. قولتلهم ولا لأ.. كده كده هتوتك.

فيصرخ به حاتم مترجياً إياه..

- ليه هتموتني؟ ليه؟.. أنا عملتللك إيه؟

- ولا تقدر أصلاً إنك تعملي حاجة.. أنا هتوتك علشان..

شكلك كده، وهيانك مش عجائبي.

شعر حاتم بالخوف الكبير، وهو يرى طفلاً أكبر منه بقليل يحمل
سكينته، ويقرب منه ببطء لينهي حياته، وهو يحاول الخلاص من
الأطفال اغيظين به ولا يستطيع، وخلف تيمور المشرف الذي تحطى
الثلاثين عامًا يقف على الباب ويراقبهم وهو ينفث دخان سيجارته
برود.. ينتظر أن يذبح حاتم أمامه.. شعر حاتم بالخوف الشديد،
والفرع.. لماذا يحدث له ذلك دائماً؟ إنه لم يفعل شيئاً خاطئاً لم يُحاول
أن يؤذي شخصاً في يوم من الأيام، والجميع يقف ضده، ويريد أن
ينهي حياته وقف أمامه تيمور وهو يضحك بشدة، ويمد سكينه بقوة
ويدفعها جهة قلبه.. تحولَ شعور الخوف لديه إلى الحقد.. أنا أكره
الجميع.. سوف أقضي على الجميع.. أنا لن أموت قبل أن أرى هذا
العالم دماراً، وصرخ بقوة شديدة، وبأس كبير.. أخرج نفساً لم يخرج
مثله في حياته كلها.. يحمل كم المعاناة، والألم الذي عايشه، ونفس
الوقت يحمل رغبات الانتقام، وشهوة الدمار.. صرخ من أعماقه،
وبكل جوارحه:

- سيسلي.. إلحقني يا أمير.

فجأة تحولت إضاءة الغرفة إلى اللون الأحمر، والاضاءة بلون
خافت للغاية، وحبّ رياح قوية للغاية، ويسود الظلام المكان، ويقف
الأمير سيسيل في منتصف الغرفة، فيشعر الجميع بالخوف والفرع من
هذا المشهد؛ لظهور سيسيل في منتصف الغرفة من العدم.. إلا حاتم
الذي شعر بالفرح الشديد لرؤية سيسيل بعد تلك المدة الطويلة..
صرخ المشرف أين في سيسيل بشدة..

- أنت مين؟، ودخلت هنا إزاي؟

فنظر إليه سيسيل قليلاً ثم تركه وظلَّ يعدُّ الأشخاص الموجودين في الغرفة .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة .. ستة ..

قام بعدَّ جميع من في الغرفة عدا حاتم .. ثم أشار إلى المشرف أيمن ..

- في ستة في الأرضه .. إنت ملكش لازمه.

ثم وضع كف يده أمامه .. فنظر إليه أيمن مندهشاً من فعله .. ولكنه وجد نفسه يُسحبُ بقوةٍ باتجاه سيسيل .. حاول أن يُمسك بباب الغرفة .. وهو يُسحب بقوة فلم يستطع، فوجدَ وجهها فجأةً أصبح في يد سيسيل فمسك يد سيسيل بكل قوة، وحاول أن يخلص وجهه من يده وهو يصرخ فيه ويسبّه ..

- سيبي .. سيبي يابن الم...

لم يكد ينهي جملته حتى دفع سيسيل يده بكل قوة، وهو يقفز جهة الحائط، ودَقَّ يَدَهُ التي تحمل رأس المشرف بقوة في الحائط فاصطدم رأس المشرف بقوة في الحائط خلفه وسقط جسد أيمن صريعاً، وهو يهتزُّ في الأرض دون رأس .. فصرخ تيمور ورفاقه بشدة وهم مرتعبون ومذعورون، وتفرقوا في أنحاء الغرفة بعيداً عن حاتم الذي أغلق عينيه بقوة حتى لا يرى مشهد مقتل المشرف أيمن .. فصرخ به سيسيل:

- قافل عينك ليه يا حاتم؟

فنظر إليه حاتم، وهو يتلع ريقه، وسيسيل يهؤه بيده بقوة حتى
تنطير بقايا رأس المشرف من يده:

- إيه يا حاتم؟ لسه معقلتش؟ لسه مصدق كلام الشمساس الأهيل
ده؟ إن الآلام هي الأحلام، وإن السعادة هي إنك تمر بالآلم؟.. ده
كلام فارغ.. إنت سعيد، وإنت بتضرب، وبتتهان كل يوم؟.. إنت
كده سعيد؟!

يصرخ فيه حاتم مترجياً:

- أرجوك متسينش لوحدي تاني.. أنا هاسمع كلامك كله، وهبقى
صاحبك، وهعمل معاك عهد، وكل اللي إنت عايزه.. بس متسينش
مع البني آدمين لوحدي تاني.

- أنا عرضت عليك العهد قبل كده بشروطك يا حاتم.. وإنت
رفضت، وسبتك تعيش براحتك وسط البشر، وتشوفهم على
حقيقتهم، ومادخلتش في حياتك خالص.. شفتك وإنت بتعذب
وبتتهان، وبتنام في الشوارع وبأكل من الزبالة، وأنا أقدر أعيشك زي
الملوك كل يوم.. بس سيبتك.. علشان لما تختارني.. تختارني يا وادتك،
ولكن إنت لسه مش جاهز إنك تعمل عهد معايا..

حاتم خالقاً بشدة..

"لأ أنا جاهز.. أبوس إيدك متسينش لوحدي تاني."

- مدام جاهز.. يبقى أقولك شروطي علشان أعمل معاك العهد..
إقتل كل اللي موجودين هنا دلوقتي.

حاتم ينظر إلى تيمور ورفاقه الموتعيين حوله وهم يتابعون حديثه مع
سيسيل .. ثم يتوجه إلى سيسيل هندهشا:

أقتل؟ .. أنت بتقول إيه؟ .. مقدوش .. مقدرش.

ابتسم إليه سيسيل بقوة..

- مش بقلك مش جاهز.. مش عايز تقتل ناس كانوا مستعدين
يقتلوك علشان مييجارين.

ثم جلس على أحد الأسرة .. وصرخ في تيمور ورفاقه:

- بص إنت وهو.. قدامكم حل من الاتنين.. يا إما تموتو على
إيدي دلوقتي زي الجذع اللي ورايا ده .. أو ..

ثم يشير جهة حاتم ..

- أو تقتلو حاتم، وهسيكم كلكم تعيشوا.

فنظر تيمور ورفاقه إلى سيسيل ثم ابتسم وهو ينظر إلى حاتم،
ويريد أن يفتك به.. فصرخ به حاتم، وهو غير مصدق..

- إنت هتخليهم يموتوني يا سيسيل؟ .. إنت مش قلت إنك هتبقى

صاحبي؟ .. إنت مش قلت إنك هتحميني؟

فنظر إليه سيسيل بضيق ..

- أنا الأمير يا حاتم، ومش مستعد أنتظر تاني.. لو مبقتش جاهز
إنك تعمل العهد معايا تبقى تموت هنا دلوقتي، وأشوف غيرك

ويصرخ في تيمور ورفاقه :

- اقتلوه ..

بركض تيمور، ورفاقه وهو يحمل مطواته جهة حاتم المصدوم من رد فعل سيسيل، ولكنه رأى في عيونهم الموت يجنو بداخلها.. فقرر الدفاع عن نفسه، وانزلق سريعاً تحت أحد الأسوة.. فتوقف تيمور بجوار السرير، وأمر أتباعه أن يحضروا حاتم من أسفله، وذلف الجميع خلف حاتم الذي ظل يقاومهم بقوة، ولكنه عجز عنهم فسحبوه من أسفل السرير، وأوثقوه بقوة.. فدفعهم حاتم بشدة للخلف، وسقط على السرير الذي خلفه وسقط معه بعضهم.. نظر إلى يمينه فوجد المدياع الذي كانوا يستمعون إلى المبارزة من خلاله، فسحبه واندفع به بقوة وضرب تيمور به على وجهه.. فتألم تيمور بشدة وسقط على الأرض وهو يمسك أنفه.. فسقطت منه المطواة الصغيرة، فحملها حاتم بسرعة ووقف يُشهرُها فتراجعت عصابة تيمور للخلف مترددين.. فنظر حاتم إلى سيسيل خلفه.. الذي حدّثه بحدة..

- متردد ليه؟.. يا حياتك يا حياتكم؟.. هي دي الدنيا.. يا تعيش قوي، وتبقى سعيد.. يا تموت عبيط وإنك مصدق إن السعادة في الآلام، وواضح إنك هتموت عبيط.

كلام سيسيل يسري كالسحر في جسد حاتم الذي أغلق عقله تماماً وتحول إلى إله قتل.. يقتل بعنف شديد.. قتل جميع زملائه.. ما عدا تيمور.. الذي أصبح واقفاً بمفرده ويتقدم حاتم إليه وهو مغطى بالدماء بالكامل، وبعض القطع الآدمية المبعثرة فوق وجهه وملابسه.. شعر تيمور بالذعر الشديد، ولم تستطع قدماه أن تحملاه.. فسقط أرضاً وهو مذعور ويحبو على يديه وقدميه هرباً من أمام حاتم.. كان منظر حاتم يلقي الرعب في أي مخلوقٍ معاصرٍ لتلك اللحظة.. فحاتم أصبح مغطى بالكامل بالدماء حتى شعره الأسود الذي تحول إلى الأحمر، والدماء متناثرة بشكل غريب على الحوائط البيضاء والجثث متناثرة فوق الأسرة وعلى الأرض وتيمور ما زال يحبو حوياً جهة الباب.. لا تقوى قدماه أن تحملاه من الخوف الذي يشعر به، وسيسيل يشاهد حاتم بسرور، وبدأ يتراقص خلفه وهو يحبه.. نظر حاتم إلى وجه تيمور المرتعب، واقترب منه وتيمور يترجاه أن يُمسك على حياته، ووقف أمامه وهو يتنسم ابتسامة مخيفة وهو يضع المطواة في أذن تيمور اليمنى ويغرزها بقوة وتركها بداخل أذنه وبوأسه، وظلَّ يُشاهد تيمور الذي وقف سريعاً وهو يصرخ ويمسك أذنه يُحاول أن يُخرج المطواة من رأسه، وظلَّ يركض في الغرفة بلا حدي عدة لحظات، وحاتم يتابعه، ويركض وراءه وهو يضحك بجنون، وظلَّ تيمور يصرخ، وهو يركض ثم يتعثر في إحدى جثث زملائه، وهو يعدو ثم يقف مرة أخرى ويتجه إلى الحائط الذي يسد طريقه في نهاية

الغرفة، ثم يلتفت خلفه ليرى حاتم أمامه وهو يضحك بجنون، ومغطى بالدماء.. ثم يسقط على الأرض جثة هامدة تحت قدمي حاتم.. فتقدم سيسيل ببطء، وهو يخطو فوق الجثث التي بالغرفة، وهو ما زال يتراقص برقصات غريبة، ويضحك.

- نجحت يا حاتم.. نجحت في إنك تكتسب حق العهد مع الأمير سيسيل.

ولكنه توقّف فجأة، وهو مندهش عندما رأى حاتم يرسم على الخائط بالدماء التي على جسده وعلى الأرض تحت جثة تيمور، وظل سيسيل يتابعه وعلى وجهه ابتسامة رضا، وانتهى حاتم من الرسم التي على الخائط، والتي كانت لشمس صغيرة وبجوارها قوس قزح، وكتب بجوارها بعض التراجم القبطية من أسبوع الآلام التي حفظها من فوزي.. نفس الرسم التي رسمها حاتم، وهو بعمر الأربع سنوات.. الذكرى الأولى السعيدة التي كوّنها حاتم وهو صغير.. رسمها في تلك اللحظة، وهو يتمنى أن يتذكر تلك اللحظات السعيدة.. عسى أن تخرجه من حالة التبلد التي كان يشعر بها بعد أن قتل زملاءه، ولكن لم يشعر بشيء.. لم يشعر بأي شيء على الإطلاق.. فانسابت الدموع من عينيها بتلقائية، والتفت إلى سيسيل وراءه.. الذي يادره بسؤال..

- إيه رأيك في القتل يا حاتم؟

ردّ حاتم سريعاً، وهو يتسم ابتسامة حزينة، والدموع تنساب من مقلتيه..

- سهل .. سهل قوي.

اقرب منه سيسيل، وهو سعيد.

- هو ده شعور القوة يا حاتم .. أفضل شعور في الدنيا .. إنك تمد إيدك قدامك وهي مغطية بدم أعدائك .. وجششهم تحت رجلك.

وتمدُّ سيسيل يده أمامه باتجاه حاتم وهو ما زال يحدثه ..

- هو ده شعور السعادة الحقيقية .. مش شعور الألم، والحزن .. حظ إيدك في إيدي يا حاتم هتفتح صفحة جديدة في حياتك كلها قوة، وسعادة، وهيفقى فيها الألم والحزن بس لأعدائك مش ليك .. أقم العهد يا حاتم.

وأصبحت يد سيسيل يسطع فوقها لونٌ أسود قوي، وشديد .. نظر حاتم إلى سيسيل لحظات، ثم مَدَّ يده المخطبة بالدماء ببطء ليضعها فوق يد سيسيل .. ليتحول سيسيل إلى شيءٍ مثل الدخان الأسود .. ثم يدخل سريعاً في أصابع يد حاتم .. فينتفض جسد حاتم لحظات، ويثني على ركبتيه متألماً .. ثم يهبط واقفا فجأة، وعلى وجهه علامات الفرح والسرور، ويفرد يديه إلى أعلى، وهو يصرخ بقوة .. صرخة شديدة .. اسمعت جميع مَنْ كان بجواره في تلك اللحظة .. ثم صرخ بسعادة

- أخيراً .. أخيراً .. رجعت لقوتي ثاني.

ثم نظر حوله في الغرفة فوجدها مليئة بالدماء، وبالجثث المنثارة في جميع الأركان ورسمه حاتم التي ما زالت على الجدار.. فحدث نفسه بابتسامة ..

- دي مشكلة كده..

ثم فرقع أصبعيه.. فاشتعلت الأسورة بالنيران بسرعة شديدة، وامتلات الغرفة بالدخان الأسود الكثيف، وجميع ما في الغرفة أصبح أصفر بلون النيران التي انتشرت بسرعة شديدة للغاية.. ثم نظر إلى باب الغرفة.. فالتلع من مكانه، وتطأير، وتقدم من خلاله سيسيل وهو في جسد حاتم، وترك ما خلفه من دماء، وأجساد تحرقها النيران ..

علامات الاندهاش بادية على وجه عادل وهو يقف أمام حاتم يستمع إلى حديثه .. وحاتم يُحدِّثه بضيق ..

- ومن ساعتها، وأنا بقيت قاتل.. قتل علشان زمايلي في الإصلاحية ميقتلونيش.. الإصلاحية اللي دخلتها بسببك إنت يا كوجي.

احمرَّ وجه عادل من صدمة الخبر الذي وقع على مسامعه.. فصرخ مصدوماً..

- إنت؟.. إنت علاء الدين؟! أنا مش... مش عارف.. أنا..

ثم طلق رأسه خجلاً من وجه حاتم الذي ابتسم بسخرية..

- عرفت بقى يا عادل.. إني أنا مظلمتكش..! وإن كل اللي
حصلي ده بسببك إنت.. حاتم بقى الشماس القاتل.. بسبب عادل
مهران، وإن من العدل إن عادل مهران يبقى هو الشماس من تاني.

عادل ما زال ينظر إلى الأرض، ولكن خرجت منه ضحكة شديدة
للغاية.. أربكت حاتم وأدهشته وأغضبته للغاية:

- بتضحك على إيه؟.. كلامي بيضحك في إيه؟.. فهمي.

فنظر إليه عادل فجأة وهو يحمل ابتسامة كبيرة..

- إذا.. جميع ما حدث لم يكن من قبيل المصادفة.. هذا من تدبير
تلك الملعونة.. فعلت ذلك محاولة إيقافي.. أليس كذلك أيها الصغير؟
حاتم مندهشاً..

- مين دي؟.. إنت بتكلم عن مين يا عادل؟

- أنا لا أتحدث إليك أنت أيها البشري.. أنا أتحدث إلى مَنْ
بداخلك.. الشماس الحقيقي الذي يقع مخبئنا في الظلال بداخلك..
الصغير مي سي.

علامات الدهشة والغضب أصبحت على وجه حاتم فجأة..

- إنت مين.. انطق بسرعة.

يضحك إيواس بشدة ..

- أنسيختي أيها الصغير؟.. لم يمر على لقائنا الأخير سوى القليل ..
تقريباً ألفي عام إلا بضع سنين.. هل نسييتَ مَنْ قَتَلَ جدَّكَ؟، وجعل
أباك قعيداً؟.. هل نسيختي أيها الأمير الصغير؟

سيسيل مندهشاً مصدوعاً ..

- إنت .. أنوريس !!

ميتسماً ..

- أدعي إيواس الآن.. كيف حالكَ أيها الصغير؟ هل ما زلت
تُبَلِّل ملابسكَ؟

حاول سيسيل صفع إيواس بقوة.. أو بمعنى أدق حاول أن يُزيع
رأسه من على جسده، ولكن أمسك إيواس يده بسرعة شديدة في
جزء من الثانية.. بسرعة لا يستطيع البشر أن يلاحقوها بعيونهم..
فبعد ثانية واحدة من إمساك إيواس ليد سيسيل.. تسبب ذلك في
صوت انفجار ضخم اهتزت له المباني وانكسر زجاجها، وتخطَّم بسببه
جميع ما بالغرفة من مقاعد، وأثاث، وذلك كان بسبب سرعتهم الرهيبة
التي تعدت سرعة الصوت.

أنزل إيواس يد سيسيل وهو يصرخ به ..

- اهدأ.. اهدأ.. فجسد البشري الذي تملكه لن يستطيع أن
يحاري تلك السرعة، وسوف يهلك.

دخل شريف مندور مسرعاً ومعد عظام وبعض الجنود يحملون أسلحتهم إلى داخل الغرفة ليروا مصدر هذا الصوت الرهيب.. فوجد حاتم يقف أمام عادل، وكلّ منهما ينظر إلى الآخر بحقد، وجميع الأثاث والمقاعد والزجاج الذي بالغرفة مُحطّم من حولهم، وظهرت بعض الشروخ الكبيرة في الجدار بجوارهم.. نظر الجميع مندهشين من ذلك المشهد، وتحدث شريف مُرتاعاً..

- في إيه؟ .. إيه اللي حصل .. الصوت ده جه منين؟

نظر مسيل إلى شريف والجنود حوله.. فأمسك قبضة يده بقوة، وفي غضب، ونظر إلى ابواس بحق، وهو يغادر الغرفة، وشريف ينظر له مندهشاً.. فتحدث إلى عصام

- نفذ اللي قلته عليك عليه مع حاتم مسرعاً ومعد عظام

هزّ عصام رأسه وهو يتلع ريقه عندما شاكد أن من يتسم له.. ثم ركض مسرعاً خلف حاتم الذي تلاشى جميع من يحده وتركهم إلى خارج القسم، وهو يحزّ على أسنانه بغضب . لئفاجاً بشيء غريب أمامه.. لفيف كبير من الصحفيين والفنوات الإخبارية يقفون أمام القسم.. اهلوا عليه بالأسئلة وهو خارج من القسم كالصقر الجارح وهو يُمسك بعصفور صغير..

- إيه اللي جابك القسم النهارده؟.. هل إشاعة إنك تعرف الشمس دي حقيقة؟.. "هو حد من قرابيك اللي ما تكلمش عنهم .. إحكنا قالك إيه الشمس جوده؟

سبل من الأسئلة، وسبل من كاميرات التصوير تقوم بالقاط صور له، وهو يركب سيارته ويقودها مُنفردًا، وهو غاضبٌ بشدة، وجميع الصحفيين يدؤوا يتابعونه في سيارتهم الخاصة وسيارات القنوات الإعلامية التي يعملون بها، وأشار عصام إلى ثلاثة يجلسون في إحدى السيارات أمام القسم .. فانطلقوا خلف حاتم مُسرعين ...

بعد انتهاء جلسة الصحفيين أمام القسم.. تقدّم رجل يرتدي بنطالًا قماشياً وجاكت أسود، ويحمل علبة متوسطة الحجم مغلفة بغلاف فضيٍّ ومربوطة بشريط أحمر كهديّة، ويتقدّم إلى داخل القسم مرتعشًا.. فيجد ضابطاً يجلس إلى مكتبه في غرفة الاستقبال وأمامه بعض الأوراق يُراجعها .. فيتحدث الرجل إلى الضابط ..

- لو سمحت .

فينظر له الضابط سريعًا..

- أيوه .. عايز إيه ..؟

فيحدثه الرجل بصوت مُضطرب وهو يكاد أن يبكي ..

- أنا هنا علشان الشماس.

يقود حاتم سيارته بسرعة شديدة، وهو بضرب مقود السيارة بغيظ:

- مين اللي قال للصحفيين إني هنا؟

يظهر سيسيل على المقعد المجاور لحاتم، وهو يتحدث بمدوء:

- الطباط شريف مندور.. هو اللي سرب للصحفيين إنك هنا،
وكمان بعث ظباط من عنده براقبوك.. حط سماعة البلوتوث في ودك
علشان اللي حوالينا.

يُخرج حاتم سريعاً سماعة البلوتوث ويضعها على أذنه..

- إيه اللي حصل هناك مع عادل.. أنا مقهمش حاجة؟

- عادل صاحبك.. طلع زيك هو كمان.. شكله عامل عهد مع
أنوريس أشد أعدائي، وأعداء عائلتي.. إحنا في حالة حرب مع بعض
من آلاف السنين لحد دلوقتي.

حاتم يضحك بسخرية شديدة..

- يعني عادل هو كمان.. هههههههههه.. يعني إتحق العدل
أخيراً!.. بقي متهم في قضية معملهاش، وكمان عمل عهد مع واحد
زيك.. نفس الكاس اللي انا شربته.. داق منه..

نظر له سيسيل بغضب..

- واحد زي.. إنت بتقارني انا الأمير سيسيلي المرووف.. بواحد
زي أنوريس.. إنت نسيت نفسك، ولأ إيه يا حشره.. عايزني أحولك
تراب دلوقتي؟

حاتم متراجعاً ..

- إهدا.. إهدا يا سيسيل.. إنت متطلع غضبك عليّ أنا.. أنا في صفك.. إهدا كده.. أنا عمري ما شفتك متعصب كده في حياتي.

صارخاً:

- إنت متعرفش أنوريس ده بيمثلي إيه.. أنا مكرهتش حد في الدنيا قده.. قتل جدي، وقطع رجلين أبويا، ودمر نصف مملكتي، وبعدين خدوه مني سجنوه في عالمنا، ومعرفتش أوصله.. بس هو كده باين إنه هرب وجالي هنا برجله.. فرصتي إني انتقم منه وأدوقه كأس الندم، وأوريله مين هو الأمير سيسيلي المرزوف.

قالها سيسيل، وهو يضغط على قبضة يده أمامه، وهو يقسم بالانتقام، ولكنه صرخ في وجه حاتم فجأة ..

- حاسب.. حاسب.

ف نظر حاتم أمامه بسرعة.. فظَهَرَ فجأةً أمام سيارته عربة أطفال. فحاول أن يوقف السيارة بسرعة، ولكنه لم يستطع.. فاصطدم بها.. فطابت العربة في الهواء أمام عينيه ببطء شديد، وتصادعت مع سقوط عربة الأطفال أمامه صوت ضربات قلبه.. فتوقف حاتم بالسيارة فجأة، ولكن بعد أن صدمت عربة الأطفال وقُذِفَ بها بعيداً أمامه.. اختفى سيسيل من جواره، ونزل الصحفيون الملاحقون له

بفضول شديد، وبدءوا تصوير عربة الأطفال، وحاتم يترجل من سيارته وهو غير مصدق لما حدث، وترجل من خلفه ضباط الشرطة الملاحقون له يأمر شريف مندور ليقفوا أمامه وهو ينظر إلى عربة الأطفال الملقاة على الأرض وهو منهار يجثو على ركبته ..

الرجل يقف مرتعشاً أمام الضابط في القسم ويعدله يخوف وبصوت مرتعش ..

- أنا هنا علشان الشمس.

فينظر له الضابط باهتمام شديد ..

- الشمس.. علشانه إزاي فهمني .. بسرعة.

ويقف مُسرِعاً وهو ينظر إلى الرجل الذي ينهار فجأة، وهو يصرخ بالضابط ..

- إلحقني يا به إلحقوني.

ثم يفتح الجاكت الخاص به.. فيجد الضابط متفجرات ضخمة للغاية ملتصقة بجسد الرجل.. فنظر إليه مصدوماً، والرجل يصرخ فيه مُستنجداً ..

- إلحقني يا به .. محمود سالم، وأحمد القناوي .. قالولي ..

ثم يتحدث انفجاراً كبيراً جداً يداخل القسم ..



ปธาทิเทศการ (๓๓๓๓๓๓)

* في الجزء الخاص باحداث الامن المركزي تم الاستعانة بعدة مقالات
للكتاب / محمد صلاح الزهار

* تحت الاستعانة في احداث تلك الرواية بوقائع حقيقية حدثت
بالفعل.

الشماس

صرخ عادل بأعلى صوته أمام الكائن الشيطاني الذي كان يفتك بجموع الشباب:
- أنا هنا.. أنا هنا.. أنا الشماس تعالى هنا، وأنا أخلص عليك.. أنا الشماس.. تعالى.
نظر الكائن جهة مصدر الصوت ثم قفز سريعاً من على باب إحدى الغرف بالأعلى إلى منتصف غرفة المعيشة بقفزة واحدة.. فقام عادل بوضع قطعة من القماش داخل زجاجة الخمر ووضع الشمع بداخلها بعد أن قام بتفتيتها ووضعها في الزجاجة، وأمسك بيده اليسرى القداحة وهو على أهبة الاستعداد أن يشعل النيران في زجاجة المولوتوف ويلقيها على هذا الكائن.. الذي وقف في منتصف غرفة المعيشة وبدأ يحاول تتبّع مصدر أي صوت.. فصرخ به عادل:
- أنا هنا قدامك.. أنا الشماس.



الشماس

الشماس - الجزء الأول



دار النشر: دار النشر
www.sa7eralkutub.com